مجلة فصلية يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة

العربيّة لساني

السنة الأولى - العدد الثالث - مايو ٢٠٢٠م

جسر ثقافي بين هانكوك ومجمع اللغة العربية بالشارقة

اختتام فعاليّات الشارقة العاصمة العالمية للكتاب لعام ٢٠١٩/٢٠٢٠

دور القصص في تنمية اللغة لدى الطفل

أبو جعفر ابن النحاس «ومضات في فكره ومؤلفاته»

على أعتاب الموت: قصة شاعر جاهلي

تأدب النحاة مع الله عزَّ وجل

وقفة مع كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري

المتصاحبات اللغوية: وقفة مصطلحية

القاموس المحيط صورة غير نمطية

نسخة بي دي إف (PDF)

وهبت نفسي للغة العربية

صاحب السموّ الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة - الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة

الشارقة عاصمة عالمية للكتاب 2019

SHARJAH WORLD BOOK CAPITAL

افتح كتاباً. تفتح أذهاناً.

Open Books. Open Minds.

SharjahWBC
www.sharjahwbc.com

العربيّة لساني

مجلة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السنة الأولى - العدد الثالث - مايو ٢٠٢٠ م

رئيس التحرير

د. امحمد صافي المستغانمي

المشرف العام

د. مصطفى رابح بن عاشور

أعضاء التحرير

أ.د. بن عيسى باطاهر

د. مصطفى بن عاشور

د. فكري النجار

أ. عبد الستار الشيخ

منسق العلاقات العامة

أ. ماجد الهولي

التصميم والإخراج

محمد خيّال

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 410 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae

الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

المحتويات

افتتاحية العدد ٦

جسر ثقافي بين هانكوك ومجمع اللغة العربية بالشارقة ١٢

شكر وعرفان ١٦

اختتام فعاليّات الشارقة العاصمة العالمية للكتاب ١٨

من أسرار النظم في آيات تسلية النبي ﷺ ٢٠

تناوب الأفعال المتماثلة الأصل في القرآن الكريم ٢٤

أبناؤنا في مهبّ العُجْمَة المعاصرة ٣٠

دور القصص في تنمية اللغة لدى الطفل ٣٦

الفصحى والظاهرة اللهجية في الإعلام المرئي والمسموع ٤٠

أهمية الانغماس اللغوي في تقوية الملكة اللغوية ٤٤

قصيدة فخر العروبة ٥٠

بحث في التأصيل الدلالي من خلال الشعر ٥٢

تأدب النحاة مع الله عز وجل ٥٨

موقف الإسلام من الشعر ٦٤

من جهود علماء ليبيا في خدمة اللغة العربية ٦٦

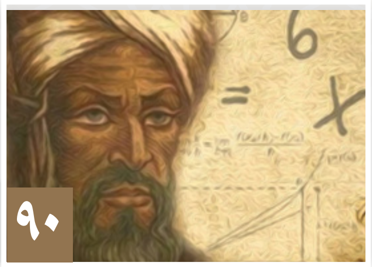

المحتويات

شعر المعجم التاريخي للغة العربية ٧١

متصاحبات لفظية أم متلازمات المتعلقات ٧٢

تدقيقات صرفية في قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧٨

التطور الدلالي لكلمة (أدب) دراسة لغوية تاريخية ٨٢

الاشتقاق ودوره في تنظيم الرصيد المعجمي ٨٦

القاموس المحيط..صورة غير نمطية ٩٠

كتب الترجمة الجزائرية «الذاكرة الحية» ٩٤

وقفة مع كتاب النوادر في اللغة ١٠٢

عالم وكتاب (الباقولي وكتابه جواهر القرآن) ١٠٦

من أدب المنصة «قف المنصة» ١١٠

على أعتاب الموت «قصة شاعر جاهلي فيها العبر» ١١٢

بين النص السردي والتاريخي ١١٨

ماذا سيضيف المعجم التاريخي للغة العربية ١٢٤

قراءة في المسيرة العلمية لأبي حيان الأندلسي ١٢٨

أبو جعفر ابن النحاس «ومضات في فكره ومؤلفاته» ١٣٢

غلاف العدد

السنة الأولى - العدد الثالث - مايو ٢٠٢٠ م

مجلة فصليّة يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة

مجلة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني amal.a@alashj.ae

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة امسح رمز الاستجابة السريع بكاميرا الهاتف

هل من سبيلٍ إلى ملَكَةٍ لُغويّةٍ سليمة؟

د. امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

دأب كاتبو افتتاحيّات المجلّات في العلوم الإنسانية والآداب واللغات أن يخطّوا كلمةً جامعةً في مستهلّ كلّ عدد تعبّر عن روح المجلّة ورؤية أصحابها، وتُعطي نُبذةً مختصرةً عن أهمّ الموضوعات التي يتضمّنها هذا العدد أو ذاك. وتلك، لَعَمْري، عادةٌ محمودةٌ تُدني القارئَ من موضوعات المجلّة ومقالاتها، وتُذلّل مَهْيَعَ القراءة أمام السّالكين.

أعلمُ وجاهةَ هذا الرّأي وقيمتَه، ولكنّي حين امتشقتُ حُسامَ البيان لأخُطَّ مقدّمة هذا العدد، وجدتُني دَنِفًا عليلا، تتجاذبُني فِكَرٌ مُؤلمةٌ وضاغطة. تُنغّصُ عليّ نومي، وتُبعدُ الكرى عن أجفاني، وتقُضُّ عليّ مضجعي فأبيت منها أتقلّبُ ذات اليمين وذات الشمال، وتصرُخ في أذنيّ: كيف يحلو لك أن تنام، وكيف يهدأ لك بالٌ وواقعُ العربيّة في بلاد العُرْب يُثيرُ الأشجان ويُحرّكُ الوجدان؟ إنّ واقع لغة الضّاد في بلادي العربيّة الحبيبة كئيبٌ حزينٌ. لو كنتُ رسّامًا ماهرًا لتمثّلتُه في صورة طفل يتيم، بائسٍ فقير، عيناهُ غائرتان تفيضان بعبرات سخينة تسيلُ على وَجْنتين حمراويْن في أخدودَيْن عميقين حفرهما اليُتمُ والإهمالُ وقسوة مجتمع لا يرحم.

ولو كنتُ شاعرا مطبوعا، ذربَ اللسان، فصيحا بليغا، عارفا خرّيتًا بأوزان الشّعر وبحوره لحبّرتُ فيه مرثيّةً ذاتَ إيقاعٍ شجيٍّ نديّ، تُثير لواعجَ الحُزن والأسى، وتَهزُّ مُتذوّقي الأدب هزًّا، وتؤزُّ العارفين بالبيان العربيّ أزًّا.

ولو كنتُ من عشّاق فنون الأداء والتراتيل والأنغام لأنشأتُ في واقع لغتي الأسيف أعظمَ سمفونيّةٍ عاطفيّةٍ وجدانيّةٍ تُطربُ السامعين طربًا، وتأطِرُهم أطْرا، وتشدُّهم إلى قضيّتي شدًّا، وتستميلهم وتُمتعُهم، وتُثيرُ فيهم نخوةَ الفرسان الأماجد والكماةِ الأشاوس الذين يفزعون إلى سيوفهم ورماحهم حين يُنتهَكُ عرينُ القبيلة ويُستباحُ حماها.

تُرى، ماذا دهى أُمَّتَنا العربيّة؟ ماذا دهى مدارسنا؟ ماذا اعترى مناهجنا التعليمية؟ هل تَبْني دروسُ اللغة العربيّة في مؤسّساتنا التعليمية اليوم الملَكة اللغوية السليمة؟ أوتستطيعُ منظومتُنا التربويّة والتعليميّة في بلادنا العربيّة أن تُخرّجَ لنا أجيالا من الفصحاء الأبيناء؟ ليت شعري هل ستكتحلُ أعيُنُنا يوما برؤية أبناء جيلنا المعاصر، وهم يتراقصون ويتغَنّوْن في المحافل العالميّة ومسارح الآداب والفنون على مرأى ومسمع من العالمين، مُتحدّثين بلغة الضاد، مُفصحين بأعذب بيان، وأمتع كلام يُطربُ الوجدان؟ هل سنَحيا، – وأملُنا في العيش كبير، والمرءُ يأمُلُ، والحياةُ شهيّةٌ – إلى أن نرى خرّيجين من مدارسنا في ريْعان الفُتوّة، وشرخ الشباب يتحدّثون، ويُفصحون ويُبينون، ويعتلون منابر الخطابة، ومنصّات الإبداع، يُطربون السامعين، ويَسُرّون النّاظرين، ويهزّون نفوس الحاضرين ببيان رفيع، وأساليب من القول البديع؟

ليس ما أقولُه ضربا من الخيال، ولا نَسْجًا من الأوهام ولا أضغاثا من الأحلام. إنّ العقل العربيّ الذي وعى المعلّقات، وحفظَ أشعارَ الهُذليين، واستظهرَ سورَ القرآن، وتشرّبَ مئاتِ الآلاف من النصوص النّبويّة، من الرّعيل الأوّل، ودوّن أمّاتِ الكتب في شتى العلوم والفنون في صدر الإسلام والعهود الذهبيّة التي وَلِيَتْهُ، هو العقلُ نفسُهُ الذي ورثناه عن آبائنا الأقربين وأسلافنا الأقدمين. **إنّ الأرض العربيّة التي خرجَت امْرَأ القيس والمُهلهل، وزهيرا والسَّمَوْأل، وعنترة وطرفة وجَرْول، وجريرا والفرزدق والأخطل، ومسلم بن الوليد وأبا العتاهية ودعبل خُزاعة الفطحل، ونُظراءَهم من جهابذة الشعر، وأبيناء النّثر، ومصاقعة الخطابة، ورُوّاد الأقلام السيّالة في شتى الفنون والعلوم والآداب، إنّ تلك الأرض العربيّة المباركة التي أنجبت أولئك الأفذاذ، ليست عقيما، وليست عاجزة اليوم أن تُنجبَ أمثالهم من النُجباء الأذكياء، ونُظراءَهم من الفصحاء البلغاء، وأولي الرّأي السديد، والفكر الرّشيد.**

أمير الشعراء / أحمد شوقي

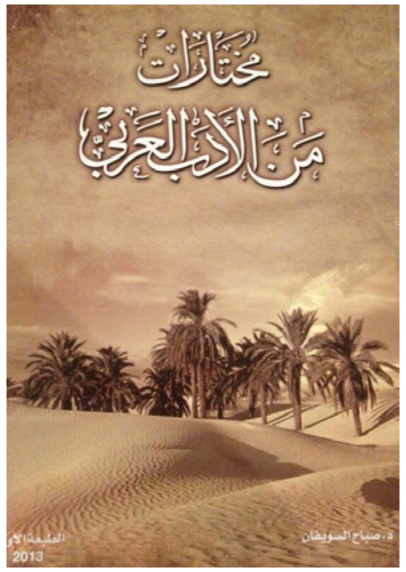

إذن، ما السبيل؟ وما الثمن؟ وما المطلوب؟

السبيل أن يصلَ القائمون على التربيّة والتعليم في بلادنا العربيّة إلى قناعات صحيحة سليمة في كيفيّة تكوين الملَكة اللغويّة لدى أبناء الجيل. مناهجُنا المعاصرة اليوم جديرةٌ بالاحترام حين تُعلّم المهارات العلمية المتنوّعة، وتغرسُ في أبنائنا أساليبَ التفكير النّاقد، وطرائقَ التفكير الإبداعي، وتُعوِّدُ التلاميذ على السؤال، والاستفسار، والبحث عن الحلول، فهذه طرائق محمودةٌ تُفتّقُ أكمامَ الإبداع في شتى العلوم والفنون والتكنولوجيا. وها نحن أولاء اليوم نرى ونبتهج لما تُنتجُه العقول العربيّة في شتى أصقاع بلادنا الحبيبة، وفي عُقْر ديار الغرب من إبداعات واكتشافات في شتّى المواد العلمية والهندسيّة والتكنولوجية، وهذا شيء طيّب نُباركه ونُزكّيه.

ولكن بالمقابل، فإنّ هذه المناهجَ أخفقت في بناء الملكة اللغوية والقدرة التعبيريّة عند أبنائنا؛ ذلك لأنّها ضلّت عن سواء الصّراط في تعليم اللغة، والوصول بالتلاميذ والطلاب إلى درجة من الإتقان في الإبانة والتبيين بها، والتبس لديها أمْرُ إنشاء الملَكة اللغويّة بطرائق تعليم المواد العلميّة والفروع المعرفيّة الأخرى.

وحين نتحدّثُ عن الملكة اللغويّة فإنّا نعني بها تلك **الصّفة الرّاسخة التي يمتلكها المتكلّم وينطلقُ منها في فهم النصوص واستيعاب أغراضها، ويصدرُ عنها حين يُعبّر عمّا يدور في ذهنه، ويساوره في خاطره. وهذه المنظومة اللغويّة المتكاملة هي التي تمكّنُه من فقه المقروء والمسموع من كلام العرب الفصيح البليغ، وتُمكّنه من التعبير السليم الصحيح المؤنّق الجميل حين يُطلَبُ منه الكلام.** والواقعُ يُخبرُنا أنّ هذه الملكة عزيزةُ المنال، لا يحصل عليها طالبُ العلم بين عشيّة وضحاها؛ فهي لا تُرى في المنام، ولا تُقسَم بالأزلام، ولا تُشترى في الأسواق، ولا تُمنَحُ ضمن هدايا المواسم والأعياد، ولَوْ كانت كذلك لزالَ الكرْب، وهان الخَطْب، واستطعنا تعويض الحَصَر والعيّ الذي نراه في مؤسّساتنا التعليمية، ونَشْهَدُه في هيئاتنا الإعلامية، ونتشرّبُ جرعاتٍ غير سائغة منه من فوق منابر الجُمُعات والأعياد، وَلَكِنّا قد وجّهنا مندوبي هذه المؤسّسات وأمثالها إلى توفير النّصيب الأوفى من الملَكات لأبنائها والمنتمين إليها بالشراء من الأسواق المحليّة أو بالاستيراد من وراء البحار.

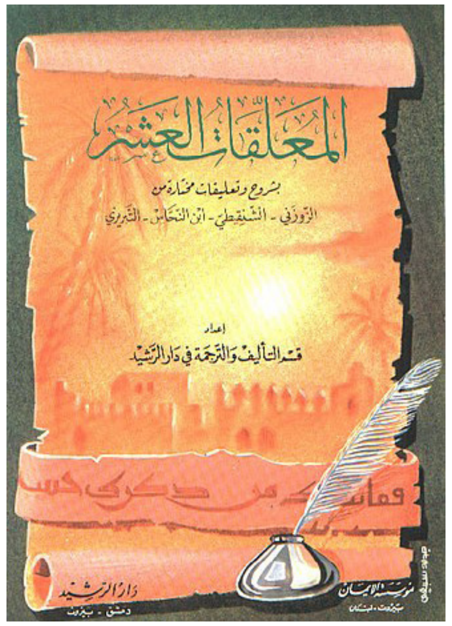

إنّ الملكة اللغوية عمليّةٌ تراكميّة هرميّة، تبدأ بصغار الحصى ثمَ تكبُرُ ويتكدّسُ فوقها رُكامُ الحجارة والصخور والأتربة إلى أن تُكوّنَ جبلا شامخا. أُشبّهُها بالقصر المشيد العالي الذي يبنيه صاحبُهُ الغنيّ لبنةً لبنةً، بعد أن يكون قد وضع له مخطّطا مفصّلا واضحا، ووظّف مهندسين مَهَرة، واستأجر بنّائين طائعين بَرَرَة، عارفين بأدوات البناء المتنوّعة، ومع كل ذلك، يُتابع البنيان من أساساته إلى أن يُطلّ بعنقه فارها باسقا مُونقا باسما، ينقدُ بفكره وعيونه ومُحاوراته حتى إنّه ليكادُ يضعُ كلّ لبنة في موضعها بيديه.

إذا كان هذا شأن تشييد بَيْت أو قَصر في دنيا المدَنية والعمران، فإنّ إنشاءَ صَرْح الملكات اللغوية يتطلّبُ هذا ومثلَه معه من التخطيط السليم، والرّوافد والأدوات والمتخصّصين. **إذا أردنا أن نصنعَ أجيالا من الذين يُحسنون العربيّة، فإنّه يجب أن نرسم لهم مهْيَعا واضحا لتعلّمها**، وهذا الطريق هو نفسُه الذي سطّره العلماءُ السابقون، وسلكه الفصحاء الأقدمون، والصراطُ المعبّدُ دائما تصنعُهُ أقدامُ السّابلة.

وتسهيلا للأمر أضع بين أيدي القائمين على تعليم اللغة العربيّة، والرّاغبين في تعلّمها الخطوط العريضة الآتية:

١ - **ضرورة إتقان علوم الآلة**، وعلومُ الآلة المتعلقة باللسان العربي هي النّحو والصرف والإملاء والبلاغة بعلومها الثلاثة (البيان والمعاني والبديع) وعلم العروض. في المرحلة الأولى، لا مناص أن يبدأ المتعلّم بالإلمام بالمبادئ الأساسيّة في كلّ علم منها. فإذا أتمّها بنجاح، وأحاط بأساسيّاتها علْما، يعودُ إليها في المرحلة الثانية، تحت إشراف مُعلّمه، مُغْترفا من كتبها الموسّعة، يُعمّق معلوماته بدراستها، ويُوسّعُ مداركه فيها فنّا فنّا، مُتعرّفًا على مسائلها وأصولها وفروعها ومباحثها، ثمّ تأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلةُ البسط والتّفصيل والبحث والنقاش والمقارنة والتّحليل والنقد والتقييم، ويمتلك المتعلّم بنفسه فيها زمام عمليّة البحث والتّنقيب، خائضًا لُجج هذا العلم أو ذاك مُستخرجا دُرَره ولآلئه، مُكوّنا نظراتٍ وملحوظات ليس من الضرورة أن يكون قد امتلكها السابقون.

وإذا كان لي أن أمثّل لعلم النحو في المراحل الثلاث، فإنّه يحسن بطالب النحو المبتدئ أن يدرس بادئ ذي بدء **نظم الآجرّوميّة** وأحد شروحها وكتاب **النّحو الواضح** في المرحلة الأولى، فإذا استوعب ذهنه أهمَّ مباحث علم النحو من خلالها، يعود إلى علم النحو في المرحلة الثانية منفتحا على **قطر النّدى وبل الصّدى، وشرح شذور الذهب**، ثم ينبري في المرحلة التي تليها إلى **ألفية العلامة ابن مالك وشروحها مثل شرح ابن عقيل والأشموني والمكودي**، غائصًا في لجج التسهيل وشروح كافية ابن الحاجب ونظائرهما من الأسفار المتخصصة.

وقُلْ مثل ذلك في فنّ الصرف، وعلوم البلاغة وعلم العروض.

٢ – في الوقت نفسه الذي ينبري فيه طالبُ العلم لتعلّم علوم الآلة وإتقانها في مستوياتها الثلاثة، أقول: بالتوازي، وفي أيّام الطلب ذاتها، عليه أن يمتلك مفتاح القراءة منذ نعومة أظفاره. الفعل (اقرأ) هو جوهرة أفعال الأمر في القرآن الكريم، فاتحة

التقاء السّماء بالأرض، وإذا كان علماء التنمية البشريّة قد حدّدوا مفاتيح كثيرة للنجاح من مثل تحديد الرّؤية ورسم الأهداف والتخطيط وحسن إدارة الوقت، وضرورة امتلاك الرّغبة المشتعلة وغيرها من المفاتيح، **فإنّ المفتاح الأعظم الذي يفتح جميع أبواب النجاح في شتى مناحي الحياة هو مفتاح القراءة**.

من هنا أقول: يجب أن يمتلك المتعلّم مفتاح القراءة في سنّ مبكّرة، ويُحسن التعامل معه. يتعلّم مخارج الحروف وصفاتها، ويتقن قراءة الكلمات والجمل والفقرات، ويعرف أين يقف، ويتعلّم مواضعَ الفصل والوصل، وكيف يقف على ساكن، وكيف يقف على التنوين، وكيف يُعطي الحروف حقوقها من ترقيق وتفخيم وهمس وصفير وغيرها من الصّفات، ولا يقولنّ أحدكم إنّ هذه بَدَهيّات تجاوزها الزّمن، لأنّي أقول: تعالَ أيّها الغيور، واسمع إلى نشرات الأخبار، وأصْغ إلى المذيعين والمذيعات، وهذه شريحة مجتمعيّة مهمّة جدا، ولا أعمّم في قولي هذا، وانظر ماذا تسمع، وأخبرني: هل يحتاج الأمر إلى إعادة النّظر في أساسيات القراءة أم لا؟ إنّ الخطبَ جلَلٌ، والرّزيّة عظيمة، والبلوى جسيمة، قد يغُضّ أحدُنا الطرف حين يُخفقُ ابنُه في مادة الفيزياء أو الكيمياء، أو لا يُحسن الرّسم، أو لا يُجيدُ علم المحاسبة، فهذه أذواقٌ وفروقٌ فرديّة نحترمها، ولكن حين يصلُ الأمر ببناتنا وأبنائنا أن لا يفرّق الفردُ منهم بين الماضي والمضارع والأمر، بل حين يتدنّى مستوى التلاميذ في الابتدائية والإعدادية بل في المراحل العليا، ولا يفرّقون بين الاسم والفعل والحرف، ولا يحسنون قراءة فقرة قراءة جهرية سليمة بعيدة عن اللحن والفجور في الإعراب، فقُلْ: إنّ الصاخّة قد حلّت، وإنّ الغاشية قد نزلت، واعلمْ أنّنا نعيش عصر الطامّة الكبرى في المسألة اللغوية، وهذا يفرض على صُنّاع القرار أن يقفوا وقفة حازمة للمراجعة والتصحيح وإعادة توجيه القافلة.

وحين نتحدّثُ عن القراءة، يحسنُ أن نُرشدَ النّاشئ فينا إلى الشروع في مطالعة كتب المنفلوطي، وأحمد حسن الزيات، وأحمد أمين، وطه حسين، ومصطفى صادق الرافعي وضربائهم ممّن حسُنَت لغتُه، وعلا أسلوبُه، واتّسمت كتاباتُه بالنّقاء والجزالة وجَودة السّبك. هذا في المرحلة الأولى، ثم نوجّهه إلى مطالعة أمّات كتب الأدب ابتداء من **جواهر الأدب** للسيد أحمد الهاشمي **وجمهرة خُطب العرب**، مرورا **بمختارات الأدب العربي** لحنا الفاخوري إلى أن يمتلك ناصية المطالعة، ويستلذّ مُخالطة **البيان والتبيين وأدب الكاتب والعمدة** لابن رشيق وما يَسْتصفي لنفسه من **الأغاني والعقد الفريد ويتيمة الدهر، وخريدة القَصر وجريدة العصر** وغيرها.

وإذا امتلك المتعلّم ناصية القراءة، وفَهِم ما يقرأ، فنَمْ أيّها التربوي، فالأخطار كلّها أمان.

٣ - **الحفظ هو الرّافدُ الأكبر لخزّان الملَكة اللغوية**، وينبغي في هذا الشأن توجيهُ المتعلّم إلى حفظ نصيب وافر من سور القرآن الكريم، وإذا أتمّ حفظه كاملا فذلك من نِعم **الله** عليه، ثمّ يتوجّهُ إلى حفظ نصيبٍ طيّبٍ وافٍ من أحاديث نبيّنا محمد ﷺ الذي رزقه **الله** المنعم الوهّاب جوامع الكلم، وجملة وافرة من عيون الشعر العربي الرّصين من جميع عصور العربية ابتداء **بالمعلقات وأشعار الجاهليين الستة، والمُفضّليات، والأصمعيّات، والحماسة، وعيون قصائد صدر الإسلام وأشعار الأمويين والعباسيين إلى أن يصل إلى فطاحل الشعر العربي في العصر الحديث من أمثال شوقي وحافظ والجواهري وأشياعهم.**

وعملية الحفظ هذه تُكوِّنُ لدى النّاشئ مخزونا من الألفاظ والأنساق التعبيرية المُحكمة النّسج، البديعة النّظم، وتكون جاهزة في ذهنه، تُمكنّه من التعبير القويّ حين تكِلُّ القرائح، وتجِفُّ الأذهان، ويُصابُ بالعِيّ اللسان.

٤ – بعد أن يتربّع المتعلّم على عرش خزّانٍ فيّاضٍ من المحفوظ الأدبي شعرا ونثرا، وتُصبحَ روائعُ كتب التراث العربي أنيسَه في حِلّه وحِلْسَه في تَرحاله، ويُحكمَ قبضتَهُ على علوم الآلة، مُتعرّفًا على أوابدها وشواردها وغرائبها، وتتوثّقَ صُحبتُهُ مع أسفارها وقراطيسها، وتُغيثُهُ الذّاكرة المتوقّدة بمعرفة موضع المسألة في كلّ كتاب، **هنا يحْسُنُ بهذا المتعلّم الهُمام أن يتوجّه بجميع قواه العقليّة والوجدانيّة إلى النّسج على منوال الأدباء المُجيدين، والشعراء المطبوعين، والكتّاب المترسّلين المتأنّقين، ويَحْذُوَ حذوَهم، ويلْبَسَ لَبوسَهم**، ويُغامرَ في تقليدهم ومُحاكاتهم.

وهذه الخطوة ضروريّة لكل من يصبو إلى امتلاك ناصية البيان، ويشرئبُّ إلى الانخراط في صفوف حُرّاس العربيّة، الذين يُبدعون بها شفويا وكتابيا. لا محيصَ لكل مُبدع أن يمتطيَ صهوةَ جواد المُضاهاة والمُحاكاة، ثمّ إنّي أَبْشُرُهُ بأنَّ ملكتَهُ ستُصقَلُ، ولسانَهُ سيُفصِحُ ويُبين، ولَسَوْفَ تُورقُ معالم شخصيّته الأدبيّة، ويُكتَبُ اسمُه في دفتر التّفرّد والتّميّز والتألّق.

وقبل أن يَسْطُعَ نجمُه ويتلألأَ كوكبُهُ في سماء الآداب والإبانة اللغوية، **فإنّه يجب أن يُوقّع عَقْدَ عملٍ يوميّ يُخصّصه للتدريب العمليّ على التعبير الكتابي، ويَصْطفِيَ أوقاتا للتطبيق الشفوي**، مُتحدّثًا مع نفسه تارة، ومُخاطبا المِرآةَ أخرى، ومُتمثّلا جُموعَ المثقّفين والأدباء في مسارح عكّاظ والمربد وذي المجنّة، وهم يُلقون إليه السّمع، وهو يتبختَرُ في أثواب الفخر والخُيلاء مزهُوًا بفصاحته، مُتصرِّفًا في فنون القول والخطابة والإلقاء رابطَ الجأش غيرَ هيّابٍ ولا خوّار.

هذا، ولا يتأتّى ذلك دون رعاية معلّم مُربٍّ حكيمٍ مُتقن للغة، عليمٍ بفنونها، حاذقٍ في أساليبها، حصيف الرّأي، شَغوف بالعربيّة، عاشقٍ لنحوها وصرفها، مُستهام ببلاغتها، قُدوةٍ في إجادة التعبير بها، هاجرٍ للعامّيات يُضمرُ ويُبدي البغضاءَ والشّنآن لها. لا تُؤتي دروسُ العربيّة ثمارَها إلاّ إذا تعهّدَ المتعلّمَ الفتيَّ جهبذٌ ذاقَ حلاوةَ العربيّة، وهام في حبّها، وأسَرَه بيانُها الفتّانُ، وسَحَرَهُ تعبيرُها الأنيق، ولفظُها الرّشيق.

هذا المعلّمُ القُدوةُ هو الذي يزرعُ حبَّ العربيّة في نفوس تلاميذه، ويتعهّدُهم كالنّبتة الطّيّبة في الأرض المباركة غَرْسًا وسَقْيا وتنميةً إلى أن يغلُظَ ساقُها، ويشتدَّ عودُها، وترتفعَ هامتُها، وتُؤتي ثمارَها بإذن ربّها.

هذه دعوتي إلى أبناء العروبة والإسلام، وهذه صيحتي في أسماع قرّاء العربيّة لساني في كل مكان، ويا ليتَ قومي يعلمون عظمةَ اللغة العربيّة التي اصطفاها لهم الملكُ الدّيّان في الحياة الدّنيا، واجتباها حاملةً للقرآن الكريم.

وكتبه د. امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

الشارقة ١٦ أبريل ٢٠٢٠
الموافق لـ ٢٣ شعبان ١٤٤١ هـ

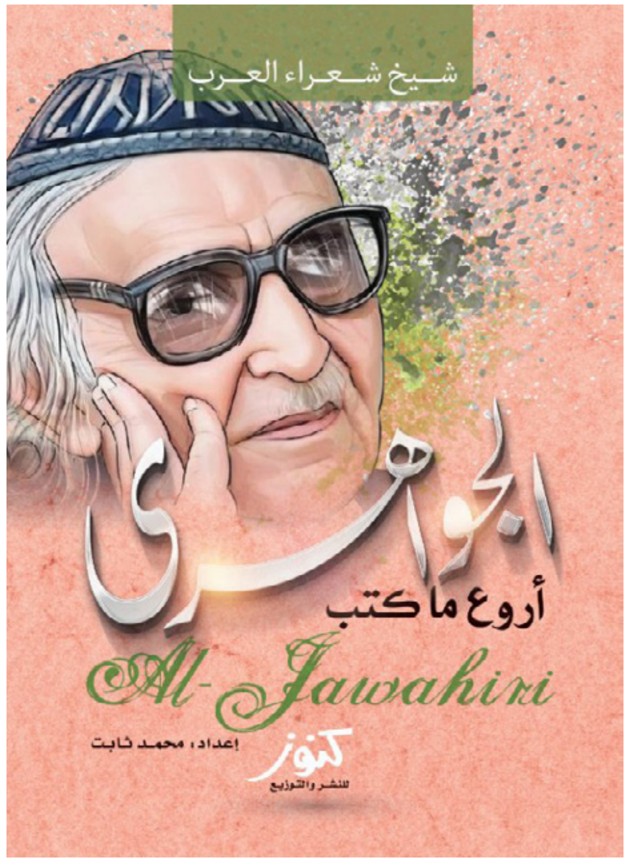

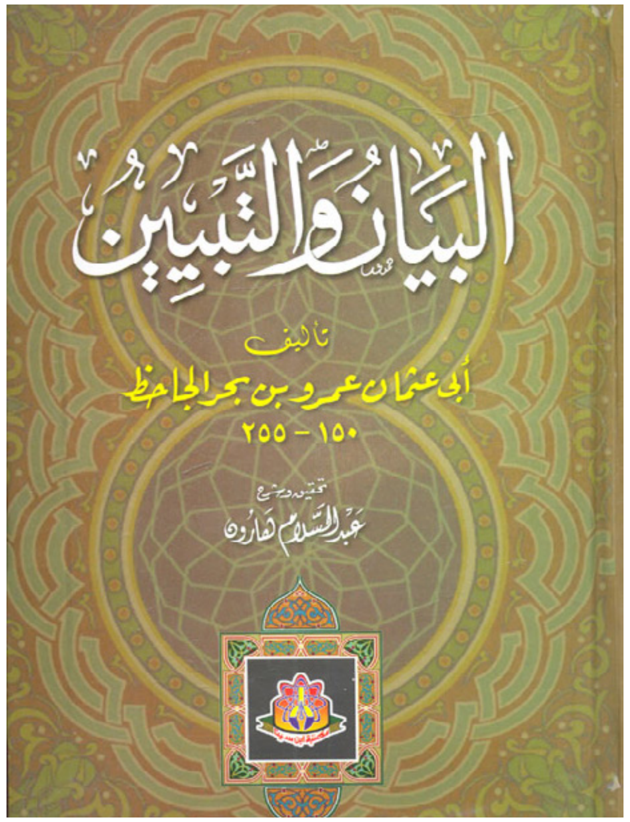

جسر ثقافي بين هانكوك ومجمع اللغة العربية بالشارقة

طلاب جامعة هانكوك

يحظون بمكرمة سموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي

- حفظه الله ورعاه -

في تجربة فريدة من نوعها، وبمكرمة سخيّة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي - حفظه الله ورعاه- استضاف مركز اللسان العربي (الذي يهتم بتعليم اللغة العربية للناطقين بغير العربية من الكبار) بمجمع اللغة العربية بالشارقة أحداً وعشرين طالبا من طلاب جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية - كوريا الجنوبية من مستويات جامعية مختلفة، بدءاً من السنة الأولى جامعي وانتهاء بمرحلة الماجستير.

يأتي ذلك، بعد توقيع مذكرة تفاهم بين الجانبين، في شهر مايو ٢٠١٨م، بهدف دعم قسم اللغة العربية في جامعة هانكوك، بتوجيهاتٍ من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ونصّت المذكرة على تبادل الخبرات الأكاديمية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتدريب المدرّسين وإرسال الأساتذة المُختصّين لإعطاء دورات مكثّفة والتعاون في مجال البعثات الطلابية وتقديم منح دراسية للطلاب المتفوّقين، إلى جانب تنفيذ الدورات المكثّفة للمحاضرات المخصّصة للطلاب وتنظيم اللقاءات العلمية في المجالات ذات الاهتمام المشترك.

ويعد مجيء الوفد الكوري تجسيدا عمليا لهذه الاتفاقية، رغبة من هؤلاء الطلاب في صقل مهاراتهم في اللغة العربية في فترة دامت شهرا كاملا؛ وذلك في إطار عمل مجمع اللغة العربية بالشارقة على تعزيز كينونة اللغة العربية وحضورها على المستويين المحلي والعالمي، وتبنيه للجهود الداعمة للغة العربية ولمتعلميها.

وأقام مجمع اللغة العربية بالشارقة حفل استقبال مميزاً للوفد، تخللته ترحيب أمين المجمع الدكتور امحمد صافي المستغانمي –حفظه الله ورعاه– الذي أشاد بالوفود والمشرفين القائمين عليه، قائلا: «يأتي هذا الحفل اليوم، كإحدى ثمار مذكّرة التفاهم بيننا وبين جامعة هانكوك، والتي جاءت استجابةً لرؤية وتوجيهات وتطلّعات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، بأنّه من الواجب نشر اللغة العربية في كل مكان، وبذل الغالي والنفيس في سبيلها، وللتأكيد على أن العربية لها من يُدافع عنها، ومن هؤلاء صاحب السموّ حاكم الشارقة، الذي يقدّم لها الدعم السخيّ، بوصفها جسرًا للتواصل والتآلف والمحبة والتعاون، حتّى يفهم الآخرون عقلية وتاريخ العرب وحضارتهم العظيمة».

وأضاف مبرزا أهمية إمارة الشارقة: «أحيي الطلبة على اختيارهم الشارقة، فهي اليوم، وبشهادة الجميع من المشرق والمغرب، عاصمةٌ للغة العربية، وعاصمةٌ عالمية للكتاب، وعاصمةٌ للثقافة. وعمّا قريب سنقطف ثمرات يانعة لتعلّم لغة الضاد عبر هذه الإمارة العربية الرائدة في شتى نواحي العلم والمعرفة والثقافة، وفي دولة الإمارات المعروفة باهتمامها الاستثنائي ببناء الإنسان ونشر التسامح».

بدورها قالت د. يون أون كيونغ، مشرف الوفد الكوري من جامعة هانكوك: «نشكر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، على تقديم كل الدعم لتعليم اللغة العربية في كوريا الجنوبية، وعلى الكرم الذي تغمرنا به الشارقة عند زيارتنا لها، وعلى إتاحة الفرصة لطلابنا للمشاركة في دورة تعليم اللغة العربية في مجمع اللغة العربية في الشارقة».

وتابعت: «نشعر بالسعادة والفخر، لأنها الدورة الأولى من نوعها، وهي فرصة عظيمة، لتشجيع طلابنا على تعلّم اللغة العربية، ليفهموا الحضارة العربية والإسلامية، ويكون ذلك حلقة وصل بين كوريا الجنوبية والعالم العربي».

وحرصا من إدارة مركز اللسان العربي على إنجاح هذه التجربة العلمية، فقد تمّ إعداد خطة تعليمية شاملة تعزز وتنمي مهارات اللغة العربية الأربع –الاستماع، والقراءة، والتحدث، والكتابة– بما يتناسب مع مستويات الطلبة، ويضمن لهم أكبر قدر من الاستفادة، هذا بالإضافة إلى توفير بيئة تسمح لهم بالانغماس اللغوي الذي يعد من أهم إستراتيجيات تجويد العملية التعليمية التعلُّمية وتحقيق معرفة لغوية سليمة وممتدة، وهو أسلوب لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الأنشطة الصفية المعتادة، حيث يكتسب المتعلمون المهارات اللغوية اللازمة للفهم والتواصل حول موضوع محدد في البرنامج الدراسي، ومن خلال الحوار مع أهل اللغة الأم (العربية) أثناء الرحلات والجولات الثقافية التي نظمها مجمع اللغة العربية بالشارقة للوفد.

المستويات التعليمية للطلبة:

انقسم الوفد المكون من ١٢ طالبًا وطالبة إلى ثلاثة مستويات:

- **المستوى المتوسط**: ويضم الطلاب الذين هم في المستوى الأول والثاني جامعي، وتمّ التركيز في تعليمهم على ضبط مخارج الحروف العربية، ودعم حصيلتهم اللغوية من خلال إمدادهم بالمزيد من المفردات والقواعد التي تم تعليمها تداوليًا، كما مُنحوا فرصة استعمال اللغة تفاعليًا أثناء الدرس تحدثًا وكتابة مما أزال من أنفسهم التّهيُّب من استعمال اللغة العربيّة.
- **المستوى الجيد**: ويضم طلبة المستوى الثالث والرابع جامعي، وتمّ دعم مهاراتهم التواصلية باللغة العربية عن طريق تعليمهم النطق العربي السليم أثناء الحوار واستعمال اللغة، والدروس المكثفة التي اشتملت على نصوص القراءة والاستماع التي أمدتهم بالكثير من المفردات، إضافة إلى دعم قدرتهم على فهم تلك النصوص مما يطور لديهم المهارات الإنتاجية المتمثلة بالتحدث والكتابة، إضافة إلى مناقشة مواضيع متعددة فتحت لهم نوافذ على الثقافة العربية عامة وعلى ثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة خاصّةً، وذلك للعلاقة الوثيقة التي تربط بين اللغة والثقافة العربية.
- **المستوى المتقدّم**: الذي يضمّ طلبة الماجستير في الترجمة، فقد كان التركيز على إكسابهم القدرة على فهم اللغة المنطوقة والمكتوبة فهمًا سريعًا ودقيقًا، من خلال الدروس المكثفة التي ضمت نصوصًا مسموعة ومقروءة من لغة الإعلام الرسمي السليمة، وعرض أفكار تلك النصوص للنقاش والتلخيص، هذا ما أثرى حصيلتهم اللغوية بالمزيد من المفردات العربية المتقدمة التي تغطي مجالات عديدة (الاقتصاد، الصحة، المجتمع..)، وقد مثلت تلك النصوص جولات في الثقافة العربية التي تمتد بجذورها نحو الماضي، وتنبسط بفروعها نحو الحاضر والمستقبل، إذ أدركوا الاتصال الوثيق بين اللغة العربية والتاريخ العريق للثقافة العربية وانعكاسات هذه الثقافة الثرية على اللغة، كما تعرفوا على المشاريع الثقافية والاقتصادية في دولة الإمارات العربية المتحدة عامة وفي إمارة الشارقة خاصة التي تتسم بالأصالة والحداثة، هذا وقد انعكس ذلك على تطور مهاراتهم الإنتاجية في اللغة، إذ قاموا بعروض تقديمية وكتابة مقالات متنوعة تتصل بمواضيع الدروس التي قُدمت لهم.

أهمية الرحلات في تنمية المعرفة اللغوية للناطقين بغير العربية:

قد كان للرحلات التي نظّمها مجمع اللغة العربية دور ايجابي في دعم معرفتهم اللغوية من خلال تفاعلهم بمحادثة أهل اللغة الأم، وقد تعرفوا من خلال تلك الزيارات على الثقافة العربية بجانبيها (التراثي والمعاصر) الحاضرة حضورًا متألّقًا ومتأنّقًا في معالم إمارة الشارقة عاصمة الثقافة العربية والإسلامية التي

رحبت بهم وأكرمت مثواهم.

وقد شملت الرحلات زيارة الصروح العلمية والمعرفية التي تزخر الشارقة بها، إذ زار الوفد كلّا من جامعة الشارقة، والجامعة القاسمية، وتعرّف الطلاب على البرامج التي تعتمدها الجامعتان وعلى المرافق العلمية والتعليمية التي يضمها الحرم الجامعي، وعلى آليات دعم الطلبة على المستوى العلمي والعملي والاجتماعي من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية في كل جامعة، كما زاروا أكاديمية الشارقة لعلوم وتكنولوجيا الفضاء والفلك الذي يمثل مركزًا بحثيًا ووجهة لمحبي الاطلاع على علوم الفضاء والفلك وآخر ما يستجد في هذا المجال، وتعرفوا من خلال زيارتهم لمكتب التربية العربي لدول الخليج على آخر الأبحاث والاستراتيجيات المتبعة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ودار بينهم وبين العاملين في المكتب حوار شائق عن تاريخ اللغة العربية واتساع استعمالها حول العالم، وقد سعدوا كذلك بزيارة بيت الشعر الذي قرّب لهم الأدب العربي وقربهم منه، ودارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية التي تضم مقتنيات غنية ومهمة من خرائط ومخطوطات وكتب قيمة، وشملت الرحلات العلمية زيارة العديد من المتاحف التي تعكس اعتناء الإمارة الباسمة بالفن والتراث كمتحف الخط العربي ومتحف الشارقة للحضارة الإسلامية ومتحف الشارقة للفنون، ومركز مليحة للآثار.

وكما شغفهم عمق الثقافة وازدهار العلم في إمارة الشارقة، فقد سحرتهم المعالم الترفيهية والسياحية في الإمارة الباسمة، إذ تجولوا في جزيرة النور، وأطلوا على الخليج العربي الذي تغنى به التاريخ من خلال الواجهة المائية في منطقة المجاز، وسحرهم البناء المعماري الجميل في قناة القصباء، وسحرهم أكثر حسن الاستقبال وشهدوا بأنفسهم الكرم العربي الأصيل، وعاينوا بأنفسهم الرؤية الحكيمة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي –يحفظه الله– التي كانت انعكاساتها حاضرة في ربوع إمارة الثقافة.

لقد كان لهذه التجربة التعليمية الثقافية المتكاملة أعظم الأثر في نفوس الطلبة الكوريين الذين وجهوا رسائل الشكر العميقة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي –يحفظه الله– ولمجمع اللغة العربية بالشارقة، وسعدوا بقيم التسامح والحوار الثقافي التي تنبض في دولة الإمارات العربية المتحدة والتي شهدوها في إمارة الشارقة، كما أعربوا عن استفادتهم العلمية والمعرفية العميقة من خلال الدورة المكثفة التي قدمت لهم، بعد هذا التطواف الواسع الممتد المليئ بالمعارف القيمة والذكريات الطيبة شدَّ الضيوف رحالهم عائدين إلى وطنهم حاملين صورة مشرقة عن الثقافة العربية وعن دولة الإمارات العربية المتحدة.

وبهذه الخطوة العلمية الرائعة يكون صاحب السمو – حفظه الله ورعاه– قد جسد فعليا مقولته (وهبت نفسي للعربية) على أرض الواقع، فجزاه الله تعالى خير الجزاء على هذه الخدمة الجليلة للغة الضاد لغة القرآن الكريم.

شكرٌ وعِرْفان

د. نبيلة يون أون كيونغ

أستاذة مشرفة الوفد الطلابي قسم اللغة العربية
جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية سيول، كوريا الجنوبية

يسعدنا أن نتقدم بخالص الشكر وعميق الامتنان وبالغ التقدير لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم إمارة الشارقة منارة العلم والثقافة، والشكر موصول –أيضا– لسعادة الدكتور محمد صافي المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة ، ولجميع القائمين على المجمع وفا ء لما تفضلوا به من دعوتهم الكريمة لاثنين وعشرين طالبًا من الدارسين في قسم اللغة العربية من جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية لزيارة إمارة الشارقة العريقة، مع الإقامة الكاملة والدراسة المكثفة التي ساهمت وستسهم بالتأكيد في النهوض بمستوى طلاب القسم.

وكان من دواعي سرورنا أن شاركنا الوفد الطلابي في هذه الرحلة الدراسية والثقافية الرائعة في ربوع إمارة الشارقة التي رأينا فيها عظيم الكرم، وحسن الضيافة، وكان الهدف من هذه الزيارة تعلم وتطبيق قواعد اللغة العربية والتعرف على الثقافة العربية عن كَثَب، واشتملت الرحلة على دورة لغوية مكثفة شملت جميع الطلاب على اختلاف مستوياتهم اللغوية في مجمع اللغة العربية بالشارقة، بالإضافة إلى جولات ثقافية في إمارة الشارقة والتعرف على معالمها البارزة الجديرة بالاهتمام.

وقد جاءت تلك الزيارة تحقيقاً لخطة مجمع اللغة العربية بالشارقة لنشر اللغة والثقافة العربية في البلدان الأجنبية، وتنفيذا لمذكرة التعاون التي تم التوقيع عليها بين المجمع وجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية في عام ٢٠١٩. حيث قام المجمع الموقر بالتنسيق مع قسم اللغة العربية بجامعة هانكوك فور إعلان قسم اللغة العربية عن أسماء الطلاب والطالبات المرشحين.

وتم استقبال الوفد الطلابي في المطار بكل حفاوة، ومن ثم مرافقته إلى الفندق المعد له مسبقًا، إضافة إلى إقامة حفل استقبال كبير في المجمع بحضور عدد من الشخصيات العلمية والأدبية. ومن ثمّ تمّ تقسيم الوفد الطلابي إلى ثلاثة مستويات من خلال اختبار تحديد مستويات جميع الطلاب اللغوية وتوزيعهم على ثلاثة صفوف؛ لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة لهم.

كما تضمنت الرحلة العديد من الجولات الممتعة والمفيدة خلال فترة الاستضافة، كانت أولها إلى معالم الشارقة الأثرية والثقافية والتي استهلت بزيارة إلى متحف الشارقة للحضارة الإسلامية وبيت الشعر العربي، حيث تمت مناقشة العديد من القضايا التي تتعلق باللغة العربية والشعر العربي، أما عن الجولة الثانية فقد كانت إلى أكاديمية الشارقة لعلوم وتكنولوجيا الفضاء والفلك، والتي من خلالها تعرف الوفد الطلابي على أهم مرافق الأكاديمية ودور الشارقة في النهوض بعلم الفضاء والفلك.

وكانت الجولة الثالثة في ربوع المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، وذلك بهدف الاطلاع على مرافق المركز وما يقدمه من جهود وإنجازات في سبيل خدمة اللغة العربية على المستوى التربوي إقليميًا وعالميًا، وفي جولة استثنائية كانت الزيارة الرابعة متميزة في غايتّها، حيث تعرف الوفد على طبيعة البيئة وأساليب الحياة التقليدية في الإمارات العربية المتحدة في مركز مليحة للآثار.

كما سنحت الفرصة بزيارة جامعة الشارقة إحدى أهم الصروح الأكاديمية والعلمية الرائدة، ثم تلتها زيارة إلى الجامعة القاسمية منارة التميز في التعليم العالي والبحث العلمي. وكذلك متحف الخط ومتحف الشارقة للفنون.

وكانت دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية التي تحمل في طياتها إرثًا عظيمًا من تاريخ تطور الحياة في منطقة الخليج ختام الجولات التي استمتع بها جميع الطلاب والتي كانت مصدرًا حقيقيا من مصادر المعرفة بكنوز الشارقة، إضافة إلى إتاحة الفرصة للتعرف على الثقافة العربية والتاريخ العربي القديم وتحقيق الانغماس الثقافي بأقصى درجاته. وفي هذه الرحلة العلمية والثقافية المفيدة والممتعة أدرك الوفد الطلابي ما وصلت إليه الشارقة من مكانة علمية وثقافية مرموقة في العالم، إضافة إلى تاريخ إمارة الشارقة العريق.

لقد شعر كل الطلاب أثناء إقامتهم في الشارقة أنهم لم يغادروا بلدهم كوريا الجنوبية، وأنهم بين أهاليهم وعائلاتهم، فيسعدنا أن نرسل لكم ثناءَ طلابِ القسم – ممن كانوا في ضيافتِكم – وإبلاغكم بأنهم استفادوا من تلك الرحلةِ أيَّما استفادة، كما تَلْهَجُ ألسنتُهُم بعظيمِ الثناء على كل مَن كانوا في استقبالهم في الشارقة، وكل من مدَّ لهم يدَ العون من الأساتذة والمشرفين الذين بذلوا مع الطلاب جهودًا جبارة أعطت لهؤلاء الطلاب دَفْعَةً عظيمة من الطاقة، كما جعلتهم أكثر حماسةً وإصرارًا على بذل كافة الجهود في إتقان اللغة العربية تثميناً لما رأوا من كرم أهلها وسماحتهم التي لا نظير لها.

ويأمل جميع الطلاب أن تتاح لهم مثل تلك الفرص الثمينة والرائعة لدراسة اللغة العربية والتعرف على الثقافة العربية بشكل أعمق. كما يتمنى قسم اللغة العربية بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية أن تستمر علاقات التعاون مع مجمع اللغة العربية بالشارقة.

حفظ الله صاحب السمو ووفقه لما يحبه ويرضاه وبارك في جهوده وجعل ذلك في ميزان حسناته.

بهاءُ ثقافيٌّ ورُواءُ أدبيّ في لؤلؤة الثقافة

اختتام فعاليّات الشارقة العاصمة العالمية للكتاب لعـام ٢٠١٩/٢٠٢٠

لكلّ مدينة في العالم صِبغةٌ تُميّزُها، وطابَعٌ جماليٌّ تُعرَفُ به يشمُّه زائروها، ويَعْرِفُه أهلوها ومُرتادوها. أمّا الشارقة فلها طابعٌ خاصّ، لها بين المُدن العالميّة شخصيّةٌ تتفرّدُ بها، لها أريجٌ عَطِرٌ زكيٌّ يشمّهُ ويعشقُه المثقفون، ويُسَرُّ به العلماء وحملة الأقلام، وينجذبُ إليه شُذاة المعرفة، والمشغوفون بالعلوم والآداب واللغات. إنّ صبغة الشارقة التي أكرمها الله تعالى بها هي الجمال المعرفي والبهاء الثقافي والرُّواءُ الأدبيّ...

عُرِفَت الشارقة بالثقافة وحبّ المعرفة وتقديس الكتاب. يَعْرِفُ ذلك كلُّ مَنْ يرتادُ أحياءها، ويتعرّفُ على مؤسساتها ومعالمها ومناراتها العلمية ومكتباتها العامّة. لها مع الكتاب تاريخٌ مجيد مُشرّف. لها مع الثقافات العالمية وشائجُ قُربى، ومع الحياة الثقافية والمعرفية في العصر الحديث روايةٌ أبدع فصولَها حُبُّ المعرفة، والشَّغف بالكتاب، والهُيامُ بالقلم.

لم يأت ذلك من فراغ، وإنّما أخذت صبغتَها من بانيها ومؤسّسها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حفظه الله ورعاه وأعزّه حاميا للثقافة ورافعًا لواءَها وذائدا عن حياضها. للكتاب في قلبه مكانةٌ لا يُحيطُ بها الوصف، ويعجز عنها التعبير. له رؤيةٌ في نشر الكتاب والقراءة لم يُعرَف في تاريخ الحكّام والقادة مَنْ يحملها، وله شغفٌ بالقراءة والمطالعة يغبطه عليه العلماء المتخصّصون فضلا عن المثقفين بشكل عام، وتلك نعمةٌ يمُنُّ الله بها على من يشاءُ من عباده.

إنّ الأنشطة الثقافية والفعاليات المعرفية، والمبادرات التي تُعنى بالكتاب والقراءة في الشارقة لا حصر لها، يَعُدُّ منها القارئ العربيّ ولا يُعدّدها، ولا غَرْوَ في ذلك ولا عجب بعد جهود أكثر من أربعة عقود في ترسيخ جذور ثقافة الكتاب في المجتمع الإماراتي، وفي نفوس جميع الوافدين القاطنين في هذه البلاد الطيّبة، لا غَرْوَ أنْ يتمّ اختيارها عاصمة عالمية للكتاب للعام ٢٠١٩ م.

إنّ الشارقة لا تُعنى بالسّعي وراء الألقاب العالمية، وهذا آخر ما يفكّر فيه بانيها والقائمون على الثقافة فيها، ولكنَّ الاعتراف بأمجاد ذوي المجد، والإشادة بأفضال ذوي الفضل صفةٌ إنسانية أصيلة، وحينَ اختارَتْها منظمةُ الأمم المتحدة للثقافة والعلم والتربية عاصمةً عالمية للكتاب فإنّ ذلك، تالله، لَهُوَ عينُ الرّشاد، ولُبُّ السّداد، وصريحُ الصّواب، ولقد أحسنوا صُنعًا لأنّه من المروءة أن يُقال للمُحسن أحسنت، وإذا قطف الزارعُ في دنياه بعض الثمرات اليانعة ممّا زرع فنِعِمّا الثمرات، ونِعِمّا القطاف. هذا وقد عمّت الفرحة، وسادَ الجذل، وغشّى السّرور والحبور كلّ المتابعين للمشهد الثقافي العالمي خلال الفترة كلها بين أبريل ٢٠١٩ إلى أبريل ٢٠٢٠م، وازدادت المناسبة العالمية جمالا وبهاءً حين تعلّق الفوز بالكتاب.

إنّ الشارقة منذ تأسيسها في الماضي السحيق تُعنى بالثقافة والكتاب، ويؤمن حاكمُها أنّ المعرفة هي العُملة الرابحة، والبضاعة الرّائجة في رحابها وأفيائها، وأنّ الثقافة جِسْرُ التواصل المتين مع النّاس أجمعين، ويؤمن بأنّ المعرفة حقٌّ إنسانيّ، وفي هذا الإطار، يعجبُ الذي يزور هذه الشارقة اليوم من كثرة المؤسسات التربوية والمنارات العلمية والصروح الجامعيّة التي تُعظّم الكتاب وتشدو به وتفاخر به، ويعودُ به الذّهنُ المتوقّدُ إلى أمجاد غرناطة وسؤدد قرطبة وأخواتهما الأندلسيّات حيث ترعرع العلم ونما وازدهر في فترة مجيدة من تاريخ المسلمين.

تجدر الإشارة إلى أن شهر أبريل المنصرم شهد احتفالا كبيرا بمناسبة اختتام فعاليات الشارقة عاصمة عالمية للكتاب، وقد أشرفت على هذا الحفل سمو الشيخة بدور القاسمي رئيس اللجنة الاستشارية للشارقة عاصمة عالمية للكتاب، وأشادت بالفعاليات التي تمّت، والمبادرات التي أقيمت، والمنجزات التي تحقّقت، والفوائد العظيمة التي جناها جميع شرائح المجتمع أطفالا وشبابا وكهولا وشيوخا، ووعدت العاملين في الحقل الثقافي ودُور النشر العالمية أنّ تجارتهم لن تبور، ما دامت الشارقة تحمل على عاتقها نُصرة العلم والعلماء وحماة اللغات والآداب العالمية.

امحمد صافي المستغانمي

من أسرار النظم في آيات تسلية النبيّ ﷺ

د. عادل أحمد الرويني
أستاذ البلاغة والنقد

وردت آيات قرآنية في سورٍ قطب رحاها تسلية الرسول ﷺ وتثبيته؛ فسورة (ق) فيها تنويه بشأن القرآن الذي جاء به الرسول ﷺ، وفيها استدلال على صدق ما دعا إليه ﷺ من الوحدانية، وفيها وعيد لمخالفيه، ووعد للمؤمنين به، ولك أن ترجع كل هذه المعاني إلى الغرض الأصيل الذي يجمعها، والتي تنبثق منه وهو تسليته ﷺ

قال تعالى في سورة (ق): ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٣٩].

وقال تعالى في سورة الطور: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩،٥٠].

وقال تعالى في سورة (الإنسان): ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٣-٢٦].

فالمتدبّر للآيات الكريمة يبصر معنى تسليته ﷺ جليًا ظاهرًا في بعضها، وخفيًا مستوراً في بعض آخر منها «واتصالها بمركزها وقطب رحاها، واختلاف درجات آياتها في القرب والبعد منه، والجلاء والخفاء شأنه شأن الأنساب في عالم الإنسان، وكأن السورة في الذكر الحكيم قبيلة في أمة يربطها أصل واحد، وإن اختلفت صور أفرادها وأشكالهم وألوانهم .. لكنهم جميعًا إلى رجل واحد[1]».

وسورة الطور أقول – والله أعلم – : إنّها السورة التي خلصت لمعنى جلي في كل آياتها ألا وهو تثبيت النبي ﷺ، ولك أن تتأمل القَسَم في بداية السورة لتأكيد الوعيد الشديد لمخالفي النبي ﷺ، ثم تنتقل الآيات إلى الوعد للمؤمنين به بالنعيم الدائم لهم ولمن تبعهم من ذريتهم، وتتصاعد الآيات فتتحدى المكذبين بالإتيان بمثل ما كذبوا به الرسول، وتفنِّد مزاعمهم، ثم تختم السورة بخطابه ﷺ خطابًا يشرح به صدره ﷺ؛ لما فيه من الرعاية والكلأ والحفظ والتسلية والتثبيت – كما سنرى[2].

ولا تعدم غرض التثبيت والتسلية للنبي ﷺ في سورة « الإنسان» التي فيها إقرار بصحة ما في الرسالة المحمدية من الدعوة إلى التوحيد، وفيها وعد للمؤمنين برسالة محمد ﷺ ووعيد لمخالفيه.

وبعد هذه المقدمة أحب أن أشير إلى أن هذه السور مكية، والدعوة الإسلامية في تلك المرحلة لم تثبت بعد ولم يقْوَ عودها؛ لما كانت تلاقيه من صد وإعراض وكفر وعناد؛ لذا فإنك قلما تجد سورة مكية إلا رأيت فيها روح التثبيت للنبي ﷺ تارة، ولمن معه تارة أخرى تسري في أوصالها سواء أطل هذا المعنى برأسه في بعض السور، أم توارى في البعض الآخر.

وهنا تدور عدة تساؤلات:

– وجه الربط بالفاء في قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، والربط بالواو في قوله ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾.

– لماذا تعدى الصبر بحرف الاستعلاء في قوله – سبحانه – ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، ولماذا تعدى بحرف الاختصاص في قوله ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؟

– ما وجه اقتران الأمر بالصبر والأمر بالتسبيح؟

– وما وجه جمع العين في قوله ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ وإفرادها في قوله ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾

– وهناك تساؤلات أخرى مرتبطة بهذه التساؤلات سأتناولها في موضعها – إن شاء الله –، ولوجود تداخل كبير بين الإجابة عن هذه التساؤلات وما يتصل بها؛ لترابطها ترابطًا يصعب فصل الحديث فيه عن كل تساؤل على حدة؛ فإنني رأيت أن أتناولها جميعًا ممتزجة أو منفصلة على حسب طبيعة الحديث من حيث السياق والمقام.

وقد بين محمد الطاهر بن عاشور وجه ارتباط مقام آيات سورة الإنسان بالسياق السابق عليها بقوله: «إنه استئناف للانتقال من الاستدلال على ثبوت البعث بالحجة والترهيب والوعيد للكافرين به، والترغيب والوعد للمؤمنين به بمرهبات ومرغبات هي من الأحوال التي تكون بعد البعث، فلما استوفى ذلك ثُني عِنان الكلام إلى تثبيت الرسول ﷺ والربط على قلبه لدفع أن تلحقه آثار الغم على تصلب قومه في كفرهم، وتكذيبهم بما أنزل عليه مما شأنه أن يوهن العزيمة البشرية، فذكره الله تعالى بأنه نزل عليه الكتاب لئلا يعبأ بتكذيبهم، وفي إيراد هذا بعد طول الكلام في أحوال الآخرة قضاء لحق الاعتناء بأحوال الناس في الدنيا، فابتدئ بحال أشرف الناس، وهو الرسول ﷺ[3].

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ تزاحمت المؤكدات في هذا الخبر تزاحمًا لافتًا للنظر؛ حيث أكد الخبر بـ « إنّ» واسمية الجملة، والضمير المنفصل « نحن»، ونون العظمة، والقصر المستفاد من تقديم المسند إليه «إنا» على الخبر الفعلي «نزلنا»، والتأكيد بالضمير المنفصل «نحن»، ثم بالمفعول المطلق «تنزيلا»، ولكن ما الداعي إلى كل هذه المؤكدات والمخاطب ﷺ غير منكر الخبر، المتضمن الإشارة إلى مصدر تكليف الرسول ﷺ بهذه الدعوة؟

الجواب: إنّ الغرض من التأكيد زيادة الرغبة في تقرير الخبر وتثبيته وتحقيقه في نفسه ﷺ حتى يبلغ عين اليقين، «وفيه تعهد للإيمان الراسخ في يقينه ﷺ حتى ينهض بأثقال

---

(١) إشكالية الجمع بين الحقيقة والمجاز في ضوء البيان القرآني د . محمود توفيق ص١٥٣

(٢) راجع التحرير والتنوير جـ١٣ ص٣٦ .

(٣) التحرير والتنوير جـ١٤، ص ٤٠٢.

الدعوة[٤] وجاء الربط في (ق) و(الإنسان) بالفاء الفصيحة[٥] التي طوت خلفها مقولات التكذيب والتشكيك في رسالة النبي ﷺ، ولتضع هذه الفاء وبسرعة مذهلة رسول **الله** ﷺ على مدارج الثبات والتحدي، وكأنّ كل ما يسمعه من مقولات الشرك والتكذيب ما هي إلّا حافز له للوصول إلى فلك الصبر والتحدي في إصرار وعزيمة وسرعة تمثلها هذه الفاء – **والله أعلم** –.

وجاء الربط بالواو في (الطور) ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ لأنّ القصد إلى إبراز الأمر بالصبر في صورة مستقلة؛ تعظيمًا لشأنه، وتأكيدًا لأهميته، وتحفيزًا للنبي ﷺ ليتمسك به، ولعل هذا يعود إلى طبيعة السورة وما فيها من حملة رهيبة ومطاردة عنيفة لهؤلاء المكذبين لرسول **الله** ﷺ ولما جاء به، والتي كأنها كانت ردًا على تمادي المشركين في تكذيبهم.

ولعل مما يغري بالقول بأن تلك الحملة القرآنية المزلزلة إنما كانت ردًا على اشتداد حملة المكذبين على الرسول ﷺ، هو ما تراه في هذه الجملة ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، والتي جاءت في ختام تلك السورة. وأقف هنا وقفة أخرى متأنية أمام بيان هذه الجملة لأجد أن فعل الصبر قد تعدى بحرف الاختصاص كما في سورة الإنسان: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ وفي المدثر: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾، أما في سورة (ق) فقد تعدى الصبر بحرف الاستعلاء ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، وقد قيل في تفسير هذه المخالفة: إن اللام في قوله – سبحانه – « لحكم ربك» يجوز أن تكون بمعنى « على» أو «إلى»، ويجوز أن تكون للتعليل[٦]، وأرى – **والله أعلم** – أن عدول النظم إلى اللام في المدثر والإنسان لحث الرسول ﷺ واستنهاضه للصبر على أعباء رسالته «حكم ربه» بهمة موفورة، ورغبة قوية، وثبات لا يتزعزع، وكأني ألمح في نظم تلك الآيات ما يرشح معنى الاختصاص في هذه اللام؛ لتدل على أنه ﷺ أولى الناس بالصبر والاستسلام والانقياد لحكم ربه تعالى، كما أشارت اللام إلى انتفاعه ﷺ بالصبر لحكمه تعالى، وقد رشح ذلك قوله ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ و﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾؛ حيث لم يقل: واصبر لحكمي أو لحكمنا أو لحكم **الله**، وإنما عدل عن ذلك إلى ما عليه النظم الكريم؛ للدلالة على وجوب قيام المربوب بما يطلبه منه سيده – **والله تعالى أعلم**، وأعوذ به من الزلل –.

وتأمل حرف الاستعلاء في (ق)، وكيف جسد روح التعالي – التي دعا القرآن رسولنا ﷺ إليها في مواجهة ما يقوله المشركون من التكذيب بما أخبروا به ، فالرسول الكريم ﷺ مدعو لقهر آثار تلك الأكاذيب، والتغلب عليها بروح الواثق من نصر ربه ووعده. أرأيت لماذا عدل النظم الكريم إلى اللام في الإنسان والمدثر، وكيف كشفت اللام عن مدى وجوب انقياده ﷺ واستسلامه لأمر ربه ؟! أرأيت كيف أخذ حرف الاستعلاء بيدي رسول **الله** ﷺ لينفض عنه آثار ما أحزنه، وليرشده إلى وجوب التعالي في مواجهة الشدائد؟!

ولتعد إلى بيان آية الطور لِتَرَ كيف عدل القرآن إلى الجمع في قوله ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾؛ وذلك للدلالة على كثرة حفظ **الله** تعالى لرسوله ﷺ والمبالغة في رعايته والعناية به، ولا تفوتك الإشارة إلى ما أفادته الباء من معنى الإلصاق والمصاحبة، وما يوحي به ذلك من دوام معية **الله** تعالى لرسوله ﷺ وقربه منه؛ لتهدأ نفسه وهي تواجه عواصف الكفر والتكذيب والاستهزاء، وقد جاء على هذا النسق من تعدي الفعل بالباء قوله تعالى في هود:

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ (هود:٣٧).

أما قوله تعالى في خطاب موسى فقد جاء مخالفًا؛ حيث تعدى الفعل بحرف الاستعلاء وذلك في قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، وقد رمق السهيلي سر ذلك من سماء البلاغة العالية فقال: «ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي لأجله قال تعالى ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ بحرف «على» وقال تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ بالباء ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ وما الفرق؟ فالفرق: أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفيًا، وإبداء ما كان مكتومًا؛ فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يُغَذَّون ويصنعون سرًا، فلما أراد أن يصنع موسى ويُغذَّى ويُربَّي على حال أمن وظهور، لا تحت خوف واستسرار دخلت «على» في اللفظ تنبيهًا على المعنى؛ لأنها تعطي الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وإبداء، فكأنه يقول – سبحانه –: ولتصنع على أمن لا تحت خوف، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة، وأما قوله تعالى ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، فإنه يريد: برعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء، ولا إظهاره بعد كتم فلم يحتج في الكلام إلى معنى «على[٧]» .

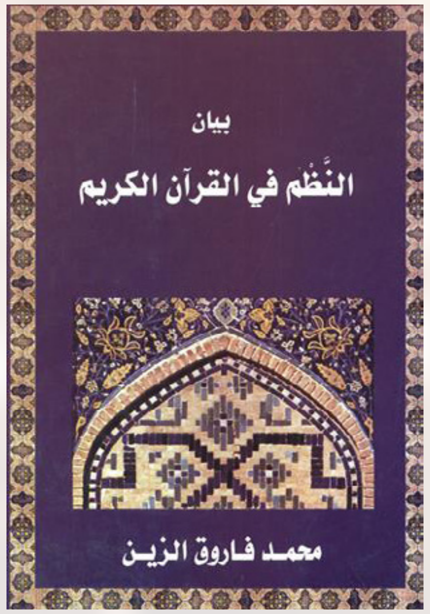

وقد جاءت العين مفردة في خطاب **الله** تعالى لموسى عليه السلام ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾؛ وذلك كناية عن الحفظ والرعاية .. وقد جمعت العين في خطاب **الله** تعالى لخير خلقه ﷺ؛ إجلالاً لمقامه ﷺ وتأكيداً للكناية عن حفظ **الله** تعالى لرسوله ﷺ مبالغة في الرعاية والشمول كما سبق القول.

ومن الملحوظ في سور (ق) و(الطور) و(الإنسان) إتباع الأمر بالصبر بالأمر بالصلاة والتسبيح، وكأنّ القرآن يرشد الرسول ﷺ إلى الزاد الذي يعينه على الصبر.. إنه الزاد الذي تعرج فيه روحه ﷺ إلى أسمى كمالات الصفاء والمناجاة ، وذلك حين تخلو بربها مسبحة مصلية ذاكرة شاكرة، ولذلك عطفت الصلاة على الصبر في قوله سبحانه ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ (البقرة: ٤٥) للدلالة على العلاقة الوثيقة بينهما.

ومما يلحظ أيضًا في (ق) و(الطور) تقديم المتعلق (الجار والمجرور) على الفعل، وإدخال الفاء بينهما حين قيد التسبيح بالليل .. أما حين قيد التسبيح بالنهار فقد ترك ذلك .. اقرأ قوله تعالى في (ق) ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ (ق:٣٩، ٤٠)

فلم يقل: وسبحه بالليل كما قيل في أول الآية: «وسبح بحمد ربك ..»، ولك أن تلحظ ذلك نفسه في الطور، ولعل في هذه المغايرة تنبيهًا على فضل صلاة الليل وأهميتها.

ودخلت الفاء ترغيباً له ﷺ في تأدية صلاة الليل والالتزام بها، و«كأن الليل سبب يرتبط بها، وذلك لما في عبادة الليل من المشقة والكلفة. إذن تأكد الأمر له ﷺ لقيامه ليلاً بطريقين: هما التقديم والفاء المفصحة عن شرط محذوف، كأنه قيل: إن كنت مسبحًا بحق، أو متهجدًا، فخص الليل به؛ لأنه أعظم أوقات العبادة، وأكثرها تعرضًا لنفحات ربك، وهي الجديرة بأن تبلغك المقام المحمود[٨]» .

---

(٤) خصائص التراكيب، ص ٦٠ .

(٥) إذا كان المفرع عليه مذكوراً فالفاء تفريعية، وإن كان محذوفاً فهي الفاء الفصيحة.

(٦) التحرير والتنوير جـ١٣ ، ص٨٣ .

(٧) بدائع الفوائد لابن القيم جـ٢ ، ص ٥-٦ .

(٨) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم الفاء وثم ص ١٣٣ - ١٣٤ بتصرف يسير جداً.

هل تتناوب الأفعال المتماثلة الأصل المختلفة الفرع في سياقاتها في القرآن الكريم؟

د. أحمد إبراهيم أحمد
محاضر في الجامعة الأردنيّة عمّان - الأردن

تتبّعت أفعالًا في القرآن الكريم أصولها واحدة، وفروعها مختلفة جاءت في سياقات متنوّعة يؤدّي المعنى المُرادَ في سياقٍ منها فعْلان يشتركان في الأصل ويختلفان في الفرع (الوزن) إذا استُعمل أحدهما مكان الآخر[1]، ولكنّ هذا لا يطّرد في سياقاتٍ أُخرى يُستعمل فيها أفعال لها أصلٌ واحد وتختلف في أوزانها. ودفعني هذا كلّه للتساؤل المُعَنْونِ به هذه المقالة: هل تتناوب أفعالٌ متماثلة الأصل مختلفة الفرع (الوزن) في سياقاتها في القرآن الكريم؟

تُحاول هذه المقالة الإجابة عن هذا التساؤل باختيار بعض هذه الأفعال وأوزانها والسياقات التي استُعملت فيها والوقوف على بعض الأمثلة الموضِّحة. ومن هذه الأفعال ما جاء على وزنَي: (أَفْعَلَ وَفَعَّلَ) المتفرّعَيْن من أصْل لغويٍّ واحد[2]، مثل: أَبْدَل وبدَّلَ من الأصل: «بدل»، وأَبْصَرَ وَبَصَّرَ من الأصل: «بصر»، وَأَبانَ وَبَيَّن من الأصل: «بين»، وأَعْظَمَ وعَظّمَ من الأصل: «عظم»، وأَنْكَرَ وَنكَّر من الأصل: «نكر»، وَأَحْدثَ وَحَدَّثَ من الأصل: «حدث» وغيرها ...

وستقف هذه المقالة على بعض سياقاتٍ تستعمل الفعلَيْن ذَوَي الأصل الواحد من وزنَي: «أَفْعَلَ وَفَعَّلَ»، فتُظهر حدوث التناوب أو بطلانه في تلك السياقات، وسيُكتفى بالتفصيل في بعض تلك الأفعال توضيحًا للمقصود.

ومن الأمثلة التي يظهر فيها التناوب بين الوزنَيْن: (أبان وبيّن - أعظم وعظّم) موضَّحةً كما يأتي:

(١) وهنا أتحدّث عن التناوب في استعمال الفعلَيْن من حيثُ المعنى العامّ، ولكنّ ذلك لا ينفي - بحال - أنّ بين الاستعمالَيْن فروقًا بلاغيّةً تظهر من استعمال صيغةٍ منهما دون الأُخرى في سياقٍ معيّنٍ واحد.

(٢) على اختلافٍ في أزمنة تلك الأفعال (الماضي والمضارع والأمر).

التناوب في (أبان وبيّن) في القرآن الكريم

لم تُستعمل صيغة: (أَفْعَلَ: أَبَانَ) في القرآن الكريم إلا مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢]

في حين أنّ صيغة (فَعَّلَ: بيّن) وردت في تسعة وعشرين موضعًا في القرآن الكريم، مع أنّ كلتا الصيغتين تحملان معنى متقاربًا إلى حدّ كبير، ولا يختلّ المعنى العامّ إذا استعملت صيغة منهما مكان الأخرى، فلو قلنا: (ولا يكاد يُبَيّنُ) بدلًا من: (ولا يكاد يُبِينُ) لجاز ذلك، ولما خرج المراد من الآية عن مجراه الذي أريد منه؛ إذ (يُبِينُ): «يُفْهِمُ»[3]، و(أبان) أفصح[4]، و(يُبَيّن) بالمعنى نفسه؛ فبانَ الشيءُ بَيانًا اتَّضَح فهو بَيِّنٌ والجمع أَبْيِناءُ، وكذلك أَبانَ الشيءُ فهو مُبينٌ، وأَبَنْتُه أي أَوْضَحْتُه واستَبانَ الشيءُ: ظهَر، وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَر، وقالوا بانَ الشيءُ واسْتَبانَ وتَبيَّن وأَبانَ وبَيَّنَ بمعنى واحد[5]. ولو قلنا: (ويُبِينُ آياته للنّاس) بدلًا من (يُبَيّنُ) في مواضِعِها لظلّ المُراد هو إيّاه كذلك دون تغيير؛ إذ (يُبَيّنها) ويُبينها بمعنى كما ذُكر.

لكنّ المتمعّن في هذه الآيات الكريمة يرى فروقًا بلاغيّة بين استعمال الصيغة الأولى والصيغة الثانية، فيعرف أنّ الأولى استعملت للتعميم، واستعملت الثانية للتخصيص، والأمثلة توضّح ذلك؛ فقوله تعالى: (يُبِينُ): يعني أيّ شيء، ولم يخصّص شيئًا بعينه، ولو قال: (يُبَيّنُ) لانتظر السامع أو القارئ شيئًا مخصوصًا يبيّنه، وكذا يعود استعمال (فعّل) في المواضع التسعة والعشرين لطبيعة موضوعات تلك الآيات الكريمة؛ ففي معظمها كان الأمر متعلّقًا بتبيين الآيات للنّاس وليس بيانها؛ لما فيها من أحكام يرتقي استعمال الصيغة المشدّدة لاستيفاء معناها؛ فالله تعالى نزّلها بيّنة بأن جعلها كذلك في أنفسها[6]، واستعمال (بيّن) المشدّدة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟

(٣) الماوردي، النكت والعيون. ج٥، ص: ٢٣٠،

(٤) السعدي، كتاب الأفعال. ج١، ص: ١٠٢.

(٥) انظر ابن منظور، لسان العرب. ج: ١٣، ص: ٦٢ ـ ٧٠.

(٦) انظر الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج: ١، ص: ٤٨٦.

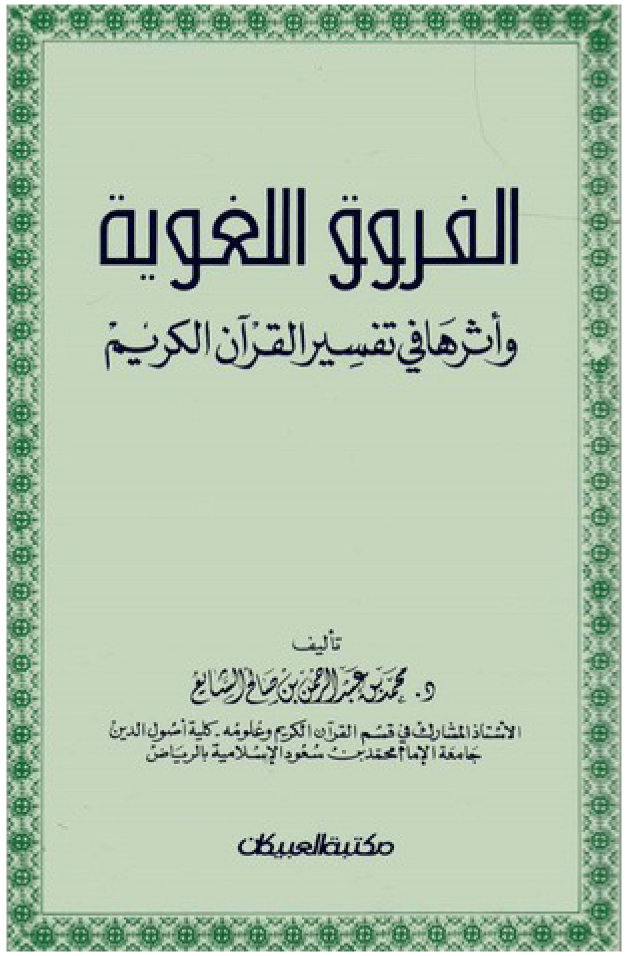

فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠]

يدلّ على شدّة تمسّك أولئك الذين آمنوا بتوبتهم «فأظهروا ما أحدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم»[7]، وكذا استعمال الصيغة المشدّدة لتأكيد المعنى، بتضمّنه معنى القسم[8]، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

والضمير للكتاب؛ أي بالله لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار[9]، وقال الزمخشريّ: «أكّد عليهم إيجاب بيان الكتاب

(٧) انظر روح المعاني. ج: ٢، ص: ٧٧.

(٨) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٣٥٢.

(٩) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٣٥٢.

واجتناب كتمانه»[١٠].

ومُجمل القول: إنّ الوزنَيْن (أَفْعَلَ وَفَعَّلَ) في الفعلين (أَبَانَ وَبَيَّنَ) يتناوبان في الاستعمال وبينهما فروقٌ بلاغيّة.

التناوب في (أعظم وعظّم)

يظهر تناوب الفعلين صحيحًا بالقراءة العامّة لهما، لكنّ فروقًا دقيقة بينهما تظهر في استعمال كلٍّ منهما في موضعه؛ فلو أنعمنا النظر في موضوع الآية الخامسة من سورة الطلاق المستعملة صيغة (أَعْظَم) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥]

لوجدنا أنّ السياق فيها يقتضي استعمال هذه الصيغة؛ لأنّ إعظام الأجر، وإكثاره ليس كتعظيم الشعائر والحرمات ـ في الآيات التي استخدمت صيغة عَظَّمَ ـ وهي من باب «أعظم الأمر فهو معظَم: صار عظيمًا»[١١]؛ ولذلك جاءت الصيغة مناسبة لما جاء من موضوع هذه الآية الكريمة على أنّ الآية قُرئت بالتشديد: (عظّم)، لكنّ تخفيفها أولى.

وقرئ في آيتَي (الحجّ) الثلاثين والثانية والثلاثين بالتشديد؛ في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج:٣٠] و ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢]

لأنّهما متعلّقتان بحرمات الله، وحرمات الله تعظّم ولا تُعْظَم، وهي من باب «اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة»[١٢]، وليس من باب «صار عظيمًا»[١٣]، وحاشا لله ذلك؛ فالله عظيم جلّ شأنه «وعظمة الله سبحانه لا تكيّف ولا تحدّ ولا تمثّل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنّه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفيّة ولا تحديد»[١٤]، «ومعنى التعظيم: العلم بأنّها واجبة المراعاة والحفظ

والقيام بمراعاتها»[١٥]، «والتعظيم التبجيل»[١٦].

ومستلزمات تعظيم حرمات الله كثيرة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما هي جميع المناهي في الحجّ من فسوق وجدال وجماع وصيد، وتعظيمها أن لا يحوم حولها[١٧]، ولذلك استُعملت صيغة (فَعَّلَ) وليس صيغة (أَفْعَلَ) لما فيها من تعظيم وتشديد.

وفي آية (الحجّ) الثانية والثلاثين: قد يختلف معنى الشعائر، وبذلك تُستعمل صيغة (عَظَّمَ) وليس (أَعْظَمَ)؛ لاختلاف المعنى؛ فقد جاء في تفسير الألوسي لهذه الآية: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾: أي البُدْن الهدايا كما روي عن ابن عباس ومجاهد وجماعة، وهي جمع شعيرة أو شعارة بمعنى العلامة كالشعار، وأطلقت على البُدْن الهدايا؛ لأنّها من معالم الحجّ أو علامات طاعته تعالى وهدايته[١٨]، فعن ابن عباس: تعظيمها: استسمانها واستحسانها[١٩]، فنقول عظّمها: استسمنها واستحسنها وليس أعظمها.

إذن يظهر من ذلك كلّه أنّ الوزنَيْن يتناوبان في الاستعمال مع وجود بعض الفروق البلاغيّة كما هو مُوضّح.

ومن الأمثلة التي يظهر فيها التنافر بين الوزنَيْن: (أنكر ونكّر – أحدث وحدّث) موضّحة كما يأتي:

التنافر في (أَنْكَرَ وَنَكَّرَ) في القرآن الكريم

إنّ الاستعمال اللغويّ لكلتا الكلمتين يحمل دلالتين مختلفتين، تفسّر كلّ واحدة منها سبب الاستعمال في المواضع التي جاءت فيها؛ فأنكر من الإنكار وهو الجحود، ونكّر من التنكير وهو التغيير، وفي المعجم: «الإنكار: الجحود، والنَّكرة بالتحريك: الاسم من الإنكار، كالنفقة من الإنفاق، والنكرة: إنكارك الشيء،

(١٠) انظر الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج: ١، ص: ٤٥٠.

(١١) انظر لسان العرب. ج: ١٢، ص: ٤٠٩ ـ ٤١١.

(١٢) نفس المصدر.

(١٣) نفس المصدر.

(١٤) نفس المصدر.

(١٥) انظر الكشّاف. سورة الحجّ الآية (٣٠)

(١٦) انظر لسان العرب. ج: ١٢، ص: ٤٠٩ ـ ٤١١

(١٧) وعن ابن زيد هي خمس: المشعر الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والمُحْرِم حتي يَحِلَّ. «انظر روح المعاني: الحجّ ٣٠»

(١٨) انظر روح المعاني: «الحجّ :٣٠»

(١٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٥، ص ٤٢١. «الحجّ :٣٢»

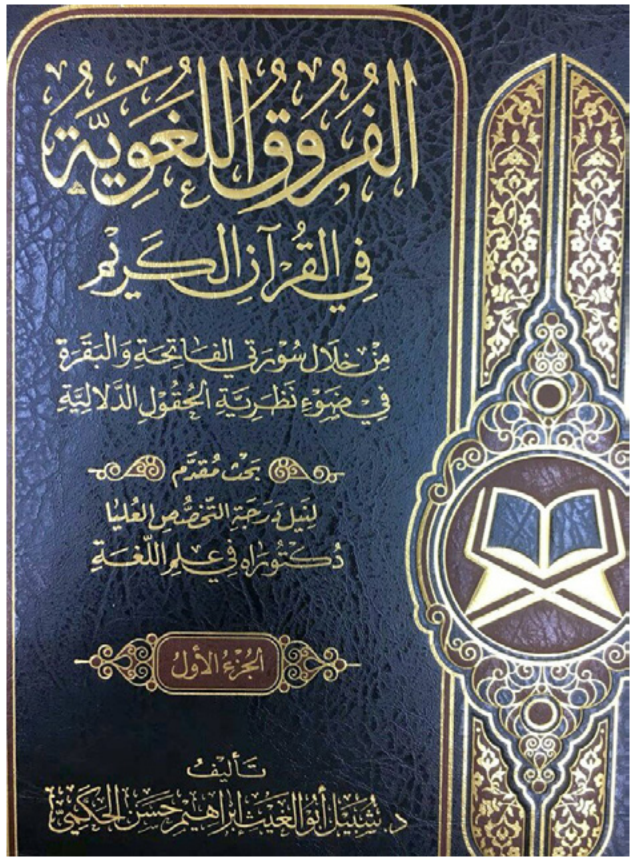

وهو نقيض المعرفة، ونكر الأمر نكيرًا وأنكره إنكارًا ونكرًا: جهله، والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر وهو ضدّ المعروف، وكلّ ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرهه فهو منكر، والتنكر التغير ... عن حال تسرّك إلى حال تكرهها منه، والنكير: اسم الإنكار الذي معناه التغيير، وقد نكّره فتنكّر، أي غيّره فتغيّر إلى مجهول»[٢٠].

والسؤال: هل الصيغتان متنافرتان في الاستعمال؟

ويجيب عن هذا دائمًا السياق؛ ففي آية (الرعد) السادسة والثلاثين:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ [الرعد:٣٦]

«أي: ومن الطوائف من يكذّب ببعض ما أنزل إليك»[٢١]. وفي آية (النحل) الثالثة والثمانين:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣]

كذلك: «وينكرونها بترك الشكر عليها»[٢٢]، وآية (غافر) الحادية والثمانين: ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر:٨١٨٣]

جاءت الصيغة فيها بمعنى الإنكار: (التكذيب) لا التنكير (التغيير)، وأمّا في آية (النمل) الحادية والأربعين: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:٤١]

فجاءت الصيغة بمعنى التنكير (التغيير) لا الإنكار (التكذيب) «نَكِّروا: اجعلوه متنكرًا متغيرًا عن هيئته وشكله، كما يتنكّر الرجل للناس لئلا يعرفوه»[٢٣]، و«قال ابن عباس: نُزع عنه فُصوصه ومرافقه، وقال مجاهد: أمر به فغُيِّر ما كان أحمر جُعل أصفرَ، وما كان أصفر جُعِلَ أحمرَ، وما كان أخضر جُعِلَ أحمرَ؛ غُيِّر كلّ شيء عن حاله، وقال عكرمة: زادوا فيه ونقّصوا»[٢٤]؛ فالفعل إذًا مختلف؛ ولذلك اقتضى هذا الاستعمال.

التنافر في (أحدث وحدّث) في القرآن الكريم

بعد استقراء مواضع الصيغتَيْن في القرآن الكريم؛ وُجِد أنّهما لا تتناوبان في استعمالاتهما في آيات القرآن الكريم؛ لأنّهما مختلفتان في معنييهما اللغويّ؛ إذ الأولى (أَحْدَثَ) من الإحداث والإيجاد والحدوث. والحُدُوثُ كونُ شيء لم يكن، وأَحْدَثَه الله فَحَدَثَ، وحَدَثَ أمرٌ أي وَقَع، وأَحْدَثَه هو فهو مُحْدَثٌ وحَديث، وفي الحديث: «إياكم ومُحْدَثاتِ الأُمور»[٢٥] جمعُ مُحْدَثة بالفتح، وهي ما لم يكن مَعْروفًا في كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع، وبالفتح (مُحدَث) هو الأَمْرُ المُبْتَدَعُ نَفْسُه، والحديثُ الجديدُ من الأَشياء[٢٦]، والثانية من التحديث و الحديث. والحديث الخَبَرُ يأْتي على القليل

(٢٠) انظر لسان العرب. ج: ٥، ص: ٢٣٢ ـ ٢٣٣

(٢١) تفسير القرآن العظيم. ج: ٤، ص: ٤٦٧.

(٢٢) النكت والعيون. ج: ٣، ص: ٢٠٧.

(٢٣) الكشاف ج: ٥، ص: ٨٥.

(٢٤) انظر تفسير القرآن العظيم، ج: ٦، ص: ١٩٤.

(٢٥) أبو داود، سنن أبي داود. ج: ٤، ص: ٢٠٠.

(٢٦) انظر لسان العرب. ج: ٢، ص:١٣١.

والكثير والجمع أَحاديثُ كقطيع وأَقاطِيعَ وهو شاذٌّ على غير قياس، والحديثُ ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثًا وقد حَدَّثه الحديثَ وحَدَّثَه به، ومصدر حَدَّث إنّما هو التحديثُ، وأَمّا الحديثُ فليس بمصدر[27]، ويدلّل على ذلك في معنى (حدّث) آية «الضحى» الحادية عشرة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١] فحدّث: «أَي بَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به وحَدِّث بالنبوّة التي آتاك الله وهي أَجلُّ النِّعَم»[28]، ويؤكّد هذا كذلك قراءة عليّ رضي الله عنه في الآية نفسها (وأمّا بنعمة ربّك فخبّر)[29]؛ وبذلك يختلّ المعنى إذا وضعت واحدة مكان الأخرى، على عكس بعض الصيغ التي أشرت إليها سابقًا.

وما جاء في التفسير يدعم ذلك؛ فالمقصود بأُحْدِثَ في آية «الكهف» السبعين: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠] -على سبيل المثال لا الحصر - «أن لا تفاتحني بالسؤال، ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك»[30] والمقصود بـ «أتُحَدّثونهم» في آية «البقرة» السادسة والسبعين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٦]

«أي تخبرون المؤمنين بما بيّنه الله تعالى لكم خاصّة من نعت نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم أو من أخذ العهود على أنبيائكم بتصديقه صلّى الله عليه وسلم ونصرته، والتعبير عنه بالفتح للإيذان بأنه سرّ مكتوم وباب مغلق»[31].

إذن يظهر من ذلك أنّ الوزنَيْنِ في هذه المواضع لا يصح تناوبها بحالٍ في سياقاتها اللغويّة؛ ذلك أنّ معناها مُختلف تمامًا مع أنّهما من وزنَيْنِ متقاربَيْنِ وأصْلٍ لُغويّ واحد.

(٢٧) انظر لسان العرب ج: ٢، ص: ١٣١.

(٢٨) المصدر نفسه

(٢٩) الزمخشري، الكشاف. ج: ٤، ص: ٧٦٩.

(٣٠) المصدر نفسه نفسه، ج: ٤، ص: ٣٧.

(٣١) روح المعاني. ج: ١، ص: ٣٧٥.

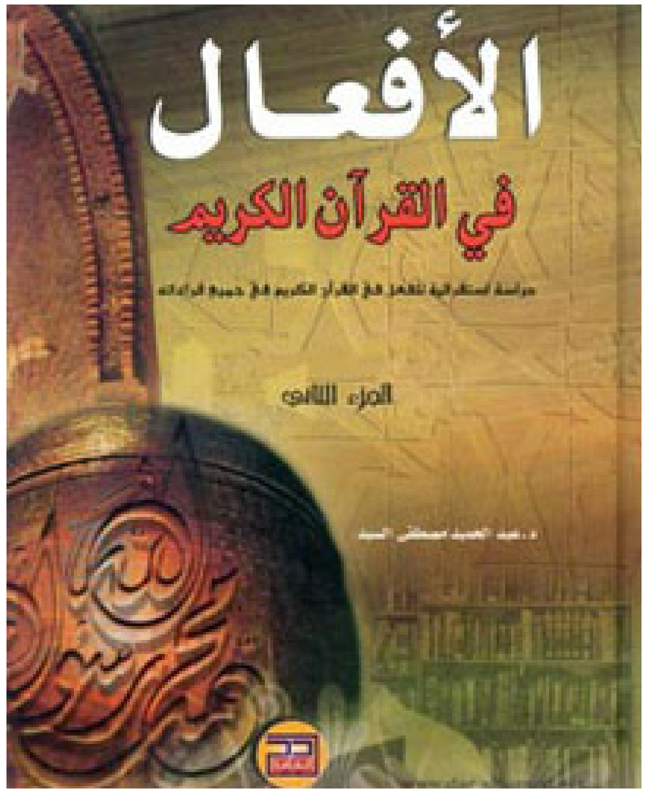

وصفوة القول: إنّ في القرآن الكريم أفعالًا بعينِها من وزنَي: أَفْعَلَ وَفَعَّلَ من أصل لغويّ واحد تتناوب في سياقاتها اللغويّة يحتّم استعمالَها في مواضعها التي ذكرت فيها قضايا بلاغيّة مثل: أبدل وبدّل – أبصر وبصّر – أبان وبيّن – أثبت وثبّت – أثاب وثوّب – أعظم وعظّم – أكرم وكرّم – أمسك ومسّك – أمهل ومهّل – أنبأ ونبّأ – أنجى ونجّى – أنزل ونزّل – أنشأ ونشّأ – أوصى ووصّى – أوفى ووفّى، وأنّ في القرآن الكريم أفعالًا بعينِها من وزنَي: أَفْعَلَ وَفَعَّلَ من أصل لغويّ واحد تتنافر في سياقاتها اللغويّة ولا ينوب أحدها عن الآخر مثل: آذن وأذّن – أحبّ وحبّب – أحدث وحدّث – أكبر وكبّر – أكره وكرّه – أكفر وكفّر – ألقى ولقّى – أمكن ومكّن – أنكر ونكّر. وقد وقفتُ على بعضها في هذه المقالة بالإيضاحِ والتجلية.

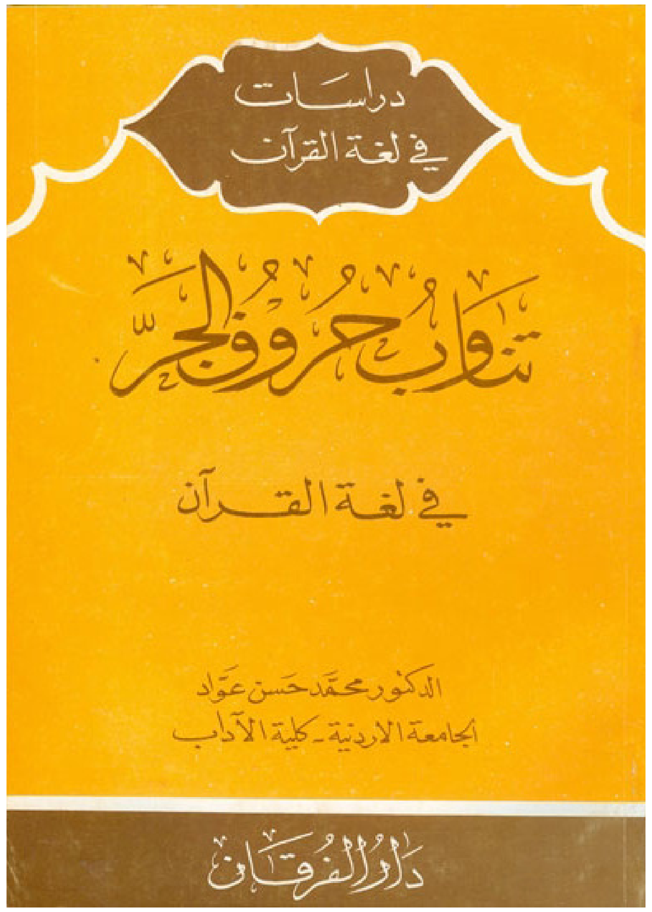

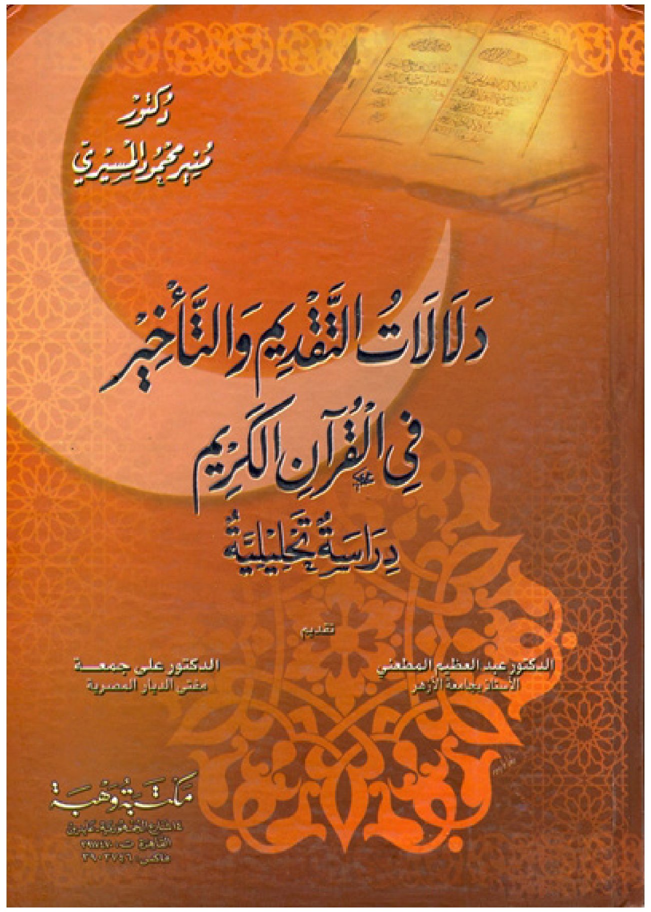

مسؤولية الأسرة نحو أبنائها
في الحفاظ على اللغة العربية

أ.د. علي عبد الله النعيم
مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية السودان

اهتمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتعليم أبناء العرب المهاجرين استجابة لرغبات الأسر المهاجرة، وحرصًا على تأكيد الهوية العربية لأبنائها، وترسيخ قيم الانتماء إلى العروبة في نفوسهم، خاصة أنهم يعيشون وسط مجتمعات تعتز بلغاتها وتحرص على استخدامها.

وقد شجعت بلدان الاتحاد الأوروبي في سياساتها الداعية للتنوع داخل المجتمع، والحفاظ على الوحدة في آن، الاستجابة لرغبات المهاجرين في الحفاظ على لغاتهم الأم لحفظ التنوع، واستخدام لغة البلد الذي يعيشون فيه للحفاظ على وحدة المجتمع.

أبناؤنا في مهبّ العُجْمة المعاصرة

والأسرة هي المؤسسة الاجتماعية التي ينشأ فيها الطفل وتتبلور معالم شخصيته، من خلال ما يحدث في هذه المؤسسة من تفاعل وعلاقات تعاون بين أفرادها. وحين تعيش هذه الأسرة في الغرب تظل مسألة تعليم اللغة العربية همًّا أساسيًّا لهذه الأسرة؛ حفاظًا على هويتها العربية والإسلامية، في الوقت الذي يجب فيه أن تندمج في المجتمع الجديد بلغته وثقافته.

وتتنوع الأُسَر، فمنها الأسرة الصغيرة المكونة من الوالدين والأبناء، والأسرة الكبيرة المكونة من الوالدين والأبناء، وأهل الأب والأم، أو الأفراد الذين تربط بينهم صلة القرابة والرحم. ومهما يكن من أمر فإن الدور الأساس والوظيفة الأساسية للأسرة هي تنشئة الأطفال، وتكوين معالم الشخصية لديهم، وتغذية عقولهم وأرواحهم بما يفيد، وغرس المشاعر الإنسانية النبيلة في نفوسهم، كالحب، والرحمة، والتعاون، والتسامح، وغير ذلك.

هل اللغة غريزة فطرية أو مكتسبة؟

تجمع الدراسات اللغوية على أن الإنسان مهيأ بطبعه للغة والكلام وذلك بما أودعه الله تعالى فيه من جهاز للنطق تستخدمه جميع اللغات في إنجاز أصواتها وعباراتها. وقد عرَّف ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) اللغة بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

ومعروف أنَّ الطفل يولد باستعداد لغوي فطري مخصوص يعينه على اكتساب اللغة من المجتمع المحيط به، وخاصة الأسرة، والمجتمع الذي يعيش فيه. وعلى الرغم من تباين نظريتي الغريزة المحضة أو الاكتساب المحض عند علماء اللغة، إلا أن الصواب أن اللغة تكتسب مع وجود الاستعداد الفطري.

ومما أشار إليه ابن خلدون أن اللغة ملكة صناعية إذا عرض لها الصغير فإنها تنقدح في نفسه. ويقول: «كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصِفَة راسخة ويكون كأحدهم» (تاريخ ابن خلدون: ج١، ص: ٤٤٩، ٤٥٥). ونص ابن خلدون يحتوي على مراحل اكتساب الملكة ورسوخها وفق السماع والتلقين (المفردات / التراكيب)، وتجدد السماع من المتكلمين حوله. وتكرار ذلك إلى أن يصير ملكة راسخة وصفة له، ويصبح كأهل اللغة.

ولاشك أن هذه الخطوات التي حددها ابن خلدون تحتاج إلى وسط تتحقق فيه **مهارة السماع** عند الطفل الصغير، وتتحقق فيه **مهارة الكلام**، ثم **تكرار الكلام والسماع**، حتى تصبح اللغة ملكة. وظاهر في كلامه أن الطفل يحتاج إلى هذا الوسط منذ الصغر ليسمع المفردات وفق طاقته ثم التراكيب.

ويضيف ابن خلدون قضية مهمة **وهي نية البركة والثواب**، وذلك بتخير السماع للصغير، وذلك بأن يبدأ بتعلم القرآن، يقول: «تقديم دراسة القرآن إيثاراً للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم .... إلخ» (تاريخ ابن خلدون، ج١، ص: ٤٤٩).

ومما يدل على حرصهم على اختيار الوسط الفصيح الذي يسمع منه الصغير أول عهده بالكلام أنهم كانوا يرسلون أبناءهم للبادية

حيث الفصاحة. ولعل أكبر دليل على ذلك إرسال النبي ﷺ وهو رضيع إلى بادية بني سعد، وقد أرضعته حليمة السعدية، وأخذته معها إلى أرضها، فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردته إلى أمه.(سير أعلام النبلاء، ج١، ص: ١٦٢). وفي الأثر: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ، أَنَا مِنْ قُرَيْشٍ، وَلِسَانِي لِسَانُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» (الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط. دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م ج١، ص: ١١٣). ولا شك أنّ أثر لسان بني سعد واضح الدلالة على ما قدمناه في اختيار الوسط الجيد للتربية على الفصاحة والإعراب. هذا مع إدراكنا لخصوصية النبوة، وأن النبي ﷺ أفصح الناس؛ ومما ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي (ت: ٧٤٨هـ) أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال ﷺ: كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها. وورد أيضاً قول رجل: يا رسول الله ما أفصحك؟ ما رأيت الذي هو أعرب منك، قال: حق لي، إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. وقال ﷺ: «أعطيت فواتح الكلم، وخواتمه، وجوامعه» (سير أعلام النبلاء، ج٢، ص: ٢٧٤).

ولإدراك المجتمعات الغربية أهمية تلقين لغاتها للمولودين من أبناء المهاجرين، رأيت بأم عيني عند إحدى الأسر السودانية في هولندا مربية ترسلها السلطة المحلية في المدينة لتلقين الطفل الصغير السوداني اللغة الهولندية، وذلك على نفقتهم المحلية، وهذا مما يسهل اندماجه في المجتمع المحلي أسرع من اندماجه مع أسرته الصغيرة التي تحاول أن تتحدث معه العربية، وقد تشرح له العربية بعبارات المربية من اللغة الهولندية. وكل هذا يؤكد الدور الكبير للأسرة العربية في تعليم صغارها اللغة العربية.

ولاشك أن الطفل خلال فترة طفولته يحتاج إلى أسرته القريبة والمحيطين به، وهذا يُوجب عناية فائقة من الأسرة، وبصفة خاصة من الوالدين، وذلك ليتهيأ الطفل من بعد للتواصل مع محيطه الخارجي: الروضة، أو المدرسة، وذلك بعد نجاحه في التواصل مع أسرته والمحيطين به، ونَصِفُ فقط الحالات الطبيعية

> **الأم تحضن صغيرها إلى صدرها وتغذيه بلبنها وتداعبه بكلماتها، فهي تغذي جسمه وعقله وروحه**

التي يتعرض لها الطفل في هذه المرحلة من حياته وسط أسرته، إذ لا بد من التأكد من صحة سمع الطفل وقدرته على الحفظ والتذكر والفهم ونشاطه ورغبته في التواصل مع الآخرين (نشأة الطفل، ص: ٢٢٩).

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي عن مرحلة التقليد اللغوي وهي المرحلة الثالثة: «فالواجب على الآباء أن يعتنوا بانتقاء الحاضنات فيختاروهن ممن حسن نطقهن، وسمت أساليبهن، وسلمن من العيّ، والفأفأة، والتأتأة، واللثغة، ..... وغير ذلك من العيوب» (نشأة الطفل، ص: ٢٢٧).

فإذا كان هذا هو المطلوب في الداخلين على الأسرة من أهل لغتها فكيف إذا كانت الحاضنة أو المربية من الأعاجم؟!

ويرى كثير من الباحثين أن حق الصغير في تعلم لغته واجب على والديه وأسرته؛ لأنه لا يعي هذا الدور ولا يستطيع القيام به بنفسه، وليس للأسر مجال أن تهدر حقوق أبنائها. وهنالك إشكالات رصدها الباحثون في تعليم أبناء الأمهات العاملات إذا لم توجد الحضانات المناسبة التي تتوافر فيها لغة الطفل. وتهدر بعض الأسر هذا الحق باستعمال الآباء والأمهات للغة أخرى غير لغتهم الأم، فينشأ عليها الطفل ظانًّا أنها لغته الأم فيكتشف عند كبره أنه لا يستطيع التواصل مع بلده وأقربائه.

وهنالك قضايا معنوية وإنسانية مهمة تشير إليها الدراسات في أمر تعليم الصغار لغتهم في حضنهم الأول ويرون أن الخلق الفطري يوفر هذا للصغير: «فالأم تحضن صغيرها إلى صدرها

وتغذيه بلبنها وتداعبه بكلماتها، فهي تغذي جسمه وعقله وروحه».

وفي واقع الطفل العربي فإنه يكون قد تعلم مزيجاً من الكلام بين العامية والفصحى خلال مراحل التكوين الأولى، ويبدأ تعلم اللغة الفصحى على نحو ما جاء في مرحلة التعليم قبل المدرسي والمدرسي. ويثير بعض المهتمين في هذه المرحلة مسألة الازدواجية اللغوية؛ بمعنى أن الطفل قد يكون تعلم بصفة غالبة طريقة اللغة العامية في نطق الأصوات والكلمات على اختلاف البلدان العربية، ثم ينتقل بعدها إلى تعلم الفصحى، والذي عليه الدراسات الجادة في هذا المجال في شأن العربية أن العاميات ليست صورة مفارقة بالكلية للعربية الفصحى؛ وإنما هي «لهجات جغرافية أو اجتماعية أصابها شيء من التغيير أو التحريف في بعض ألفاظها ودلالاتها، وأن الفصحى أغنى من العاميات في مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها، وأن قواعدها أكثر تطوراً وتقنيناً وأوسع انتشاراً جغرافياً». فليس صعبًا على الطفل الاندماج في تعلم الفصحى إن أُحْسِنَت طرائق عرضها وتدريسها واختيار من يدرسها.

> **حق الصغير في تعلم لغته واجب على والديه وأسرته**

وبعد مرور الطفل بالمراحل الأولى التي ذكرناها في حضن والديه وأسرته فإنه يتعلم لغة قومه، يقول الدكتور محمود السعران: «يتعلم الطفل آخر الأمر لغة جماعته، ويعينه على ذلك قدرته الفائقة على التقليد، وما يجده من عناية ممن حوله من الكبار، ولاسيما الأم، فينفسح الطريق أمامه، ليصحح أخطاءه في نطق الأصوات، وصوغ الكلمات والجمل ومدلولاتها». (اللغة والمجتمع، ص: ٥٣).

دور التعليم النظامي والمؤسسة الإعلامية في إكمال تعليم الطفل اللغة العربية (اللغة الأم):

يحتاج دور الأسرة إلى إكمال حتى يتعلم الطفل العربي لغته الأم بنظامها المتكامل وفلسفتها، من خلال التعليم النظامي في

المدارس، والاستماع الجيد إلى الإعلام المنطوق باللغة العربية الفصحى.

أولاً - التعليم

• تأسيس مراكز للتدريب على المحادثة بالفصحى في كل بلد عربي، وفي المهاجر على وجه الخصوص، على أن تعتمد أسلوب الإتقان الوظيفي للغة، أي إتقان استعمال اللغة بدلاً من التركيز على دراسة القواعد المجردة.

• وضع مخطط علمي لمنهج متكامل لتعليم اللغة العربية في المدرسة الابتدائية العربية يبدأ بمرحلة ما قبل المدرسة، وينتهي بالصف السادس.

• دعوة المجامع العربية إلى القيام بإجراء بحوث تتناول الرصيد اللغوي الوظيفي لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أو التشجيع على إجراء هذه البحوث ودعمها مادياً وأدبياً. فالرصيد اللغوي الوظيفي هو الأساس الذي ينبني عليه إعداد المناهج المدرسية وتصنيف معاجم الأطفال.

ثانياً - الإعلام

• اعتماد اللغة العربية الفصحى لغةً لبرامج الأطفال الإذاعية والتلفازية في البلدان العربية.

• تشجيع الإنتاج التعليمي والترفيهي الموجَّه للأطفال عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة على الأداء باللغة العربية الميسرة، مع الحرص على عرض تلك المواد بطريقة جذابة وشائقة.

• التوصية للجهات المعنية بفرض نوع من الرقابة اللغوية على المنتجات الثقافية المصورة والمذاعة والمطبوعة للطفل العربي، دعماً للغة العربية.

• إنشاء قنوات مخصصة كليًّا للأطفال، على أن يكون التداول فيها بالعربية الفصحى.

• إلزام الإعلاميين بالعربية الفصحى، وخاصة في برامج الأطفال.

• توجيه برامج إذاعية وتلفازية لتعليم اللغة العربية لتفعيل الحوار مع أبنائنا في المهجر، ولتعليمهم أصول اللغة ومناقشة القضايا الثقافية والتراثية بصفة مستمرة.

• مطالبة الدول العربية بسَن تشريع يمنع استخدام غير اللغة العربية في الإعلانات بجميع أشكالها، وإعادة النظر في كل الإعلانات التي تقدمها التلفزة العربية، وخاصة الموجهة للطفل، وأن تُقَدَّم بلغة عربية صحيحة، وأن تكون مبسطة وسلسة في الوقت نفسه.

• إنشاء مسابقات للقراءة والكتابة باللغة الفصحى من خلال وسائل الإعلام على مستوى الدول الأعضاء لتشجيع الأطفال على النطق والكتابة بها، والاستماع إليها.

ثالثًا - أدب الأطفال

• تشجيع الدراسات التي تُعنى بأدب الطفل العربي ولغته ودعمها.

• تشجيع البحث العلمي الرصين في لغة الطفل وأدبه.

• تيسير وتسهيل عرض كنوز التراث العربي للأطفال من خلال الأعمال الفنية.

• الاستفادة من المشروعات والنشاطات التي تدعم لغة الطفل في بعض الدول العربية، ونشرها في أرجاء الوطن العربي، ومن ذلك مشروع مهرجان القراءة للجميع والمكتبات العامة.

وأخيرًا، أود أن أشير إلى ضرورة مواجهة التحديات الكبرى داخل الأوطان العربية، نتيجة انتشار العمالة الأجنبية والخادمات والمربيات الأجنبيات في كثير من دولنا العربية؛ مما يؤثر سلبًا على اكتساب الأطفال اللغة العربية النقية الفصيحة. وكذلك التحديات التي تعاني الأسر المهاجرة نتيجة تعامل أطفال هذه الأسر مع أبناء الدول الأجنبية، سواء في المدرسة أو الشارع أو التسوق، أو أي نشاط اجتماعي. وهذه المواجهة تكون باهتمام هذه الأسَر داخل الوطن العربي وخارجه باللغة العربية في البيت وفي الحياة اليومية بصفة عامة.

المصادر والمراجع

١ - اكتساب اللغة: مارك ريشل، ترجمة كمال بكداش، الدار الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤م.

٢ - تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ...، عبد الرحمن بن خلدون، ط/١، دار ابن حزم، ٢٠١١م.

٣ - دور الأسرة في مواجهة التحديات المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، منشور على الإنترنت شوهد بتاريخ ٥/٣/٢٠١٧م.

٤ - سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ ه) اعتنى به محمد أيمن الشّبراوي، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٦م.

٥ - الطبقات الكبرى لابن سعد، ط دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

٦ - العوامل المؤثرة في تعليم الطفل السوداني اللغة العربية، إعداد حياة محمد بخيت، إشراف د. سيف الإسلام سعد عمر، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ١٩٩٠م.

٧ - اللغة العربية والمهاجرين العرب، هدى إسماعيل، ٢٠١٤م، شوهد على الإنترنت بتاريخ ٥/٣/٢٠١٧م.

٨ - اللغة والمجتمع، د. محمود السعران، ١٩٦٩م.

٩ - نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، ٢٠٠٣م.

١٠ - واقع الطفل العربي في بلاد المهجر، د. إدريس لكريني، ٢٠١٠م، مقال منشور على الشابكة شوهد بتاريخ ٥/٣/٢٠١٧م.

دور القصص في تنمية اللغة لدى الطفل

تعدّ مرحلة الطفولة من أهم مراحل عمر الإنسان، وهي تلك المرحلة التي تبدأ من الميلاد وحتى سن الثانية عشرة تقريبًا، وقد تزيد عامين أو قد تنقص، وتتسم هذه المرحلة بالمرونة والقابلية للتشكيل والبناء؛ فهي مرحلة خصبة للتربية والتعليم، وفيها يكتسب الطفل العادات والمهارات والسلوكيات المختلفة، كما تتشكل عنده الاتجاهات العقلية، والاجتماعية، والحسية. ولا شك أنّها مرحلة تمثل القاعدة التي تقوم عليها المراحل التالية من مراحل النمو في حياة الإنسان، ففيها يتم إرساء الأساس الذي يعتمد عليه في بناء شخصية الطفل، وما يتضمّنه هذا البناء من قيم واتجاهات تحدّد نوعية سلوكه وطريقته في الحياة مستقبلاً.

د. بديعة الهاشمي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الشارقة

وتـؤدي قصص الأطفـال دورًا مهمًـا في تكوين القيم والأفكار والمبـادئ لديهم في تلك المرحلة المبكرة من حياتهم؛ لذا اهتم الفلاسفة والمربون منذ أقدم العصور بالقصة التي تقدّم للطفل بغرض تربيته وتنشئته تنشئة قويمة، وجعله عضوًا صالحًا في مجتمعه وأسرته؛ فالقصة وعاء مناسب يمكن من خلالها تقديم الأفكار التي يُراد تعليمها للطفل، والقيم التي يُرغب في غرسها في وجدانه، وهي وعاءٌ ممتع وغير مباشر في الآن نفسه، ليُربّى تربية صحيحة سليمة.

وتتصدر القصة المرتبة الأولى في أدب الأطفال من حيث إقبالهم عليها وتعلّقهم بها؛ وذلك في مختلف مراحل الطفولة. فالطفل يميل بطبيعته إليها، ويستمتع بسماعها أو بقراءتها، وتجذبه شخصياتها وأحداثها المتتابعة المشوقة؛ فهي تثير مشاعره، وتداعب خيالاته، وتؤثر كثيرًا في سلوكه واتجاهاته عن طريق الأفكار والموضوعات التي تثيرها، يقول الناقد أحمد نجيب: «إذا كان لأدب الأطفال دولة، فإنّ القصة تكون عاصمة هذه الدولة وقلبها النابض».

ولما كانت القصة من أحبّ ألوان الأدب إلى نفوس الأطفال؛ فإنّها غالبًا ما تترك آثارها في بناء شخصياتهم وتشكيل وجدانهم؛ فنرى الطفل دائمًا يسلك مسلك الشخصية التي يحبّها في القصة، ويتقمّصها ويفكّر بطريقتها، بل ويتحدث كما تتحدث، ويفعل كما تفعل، ولا تقتصر وظيفة القصة على تنمية الجوانب الآنفة الذكر فقط من شخصية الطفل؛ إذ يمتد تأثيرها لتشمل الجوانب الإدراكية واللغوية والفكرية؛ فللقصة وظيفة مهمة في تنمية اللغة لدى الطفل؛ إذ تساعده في تنمية ثروته اللغوية، وإغناء معجمه، فتزداد حصيلته اللفظية، ويتعود الطلاقة في الكلام، وتتحسن عنده التعبيرات، وبإمكانها أن تعالج العديد من مشكلات القراءة لديه. وبذلك يستقيم أسلوبه الأدبي، وتخلق لديه –من خلال تذوقه للغتها– أبعادًا جديدة عن طريق المجازات والصور والأساليب التعبيرية الجديدة.

وتذوق الطفل للغة القصة وجمالياتها ومحاكاة النماذج اللغوية الراقية فيها يساعدان في تنشيط الجانب الوجداني، وإكسابه

> **تؤدي قصص الأطفال دورًا مهمًا في تكوين القيم والأفكار والمبادئ**

"إذا كان لأدب الأطفال دولة، فإنّ القصة تكون عاصمة هذه الدولة وقلبها النابض"

القدرة على التذوق الأدبي للغة واستعمالاتها، وحسن توظيفها، وتنمية المهارات اللغوية الأساسية لديه، مما يؤدي إلى الارتقاء بأسلوبه ولغته في كل مراحله العمرية.

تقول د. لطيفة النجار – كاتبة قصص أطفال إماراتية وأكاديمية – في هذا الصدد: «الطفل الذي يصبح صديقًا للرواية أو القصة أو المسرحية منذ سنيه الأولى، يراكم المعارف وينمي اللغة، نحوها وصرفها ومعجمها ودلالاتها، ويبرع في القراءة الصحيحة، ويتمكّن من تنمية مهاراتها المختلفة، فيصبح نموذجًا جيدًا لمكتسب اللغة، ويقلل من المبالغ الضخمة التي تنفق على تعلّم اللغة الصحيحة دون طائل أحيانًا كثيرة».

إنّ الكتابة للأطفال ليست بالعملية الهيّنة؛ إذ تكتنفها العديد من الصعوبات، أبرزها تلك المتعلّقة باختيار اللغة المقدمة من خلال العمل الأدبي، وانتقاء مفرداتها بكلّ دقة، لتتناسب مع المرحلة العمرية المستهدفة، فعلى الكاتب أن يكون ملمًّا بالمعجم اللغوي الخاص بالأطفال؛ فلكل مرحلة عمرية مفردات تناسبها، وقدرات إدراكية لغوية خاصة بها، كما عليه أن يدرك حجم ما يمكن استيعابه عند الطفل من مفردات جديدة في الصفحة الواحدة، ولا تقتصر الصعوبة في الكتابة للطفل على هذا الجانب فقط؛ إذ تتعلق أيضًا بربط ذلك كله مع الأهداف والمقاصد من وراء الكتابة القصصية، والمعارف المطلوب تمكينه منها. كما تتعلق بالحكاية ذاتها ومدى قدرتها على استثارة خيال الطفل وتشويقه لمتابعتها، وكذلك الوسيط المستخدم لتقديمها؛ لذا كان لزامًا على كاتب قصص الأطفال أن يولي اللغة التي يقدّمها للطفل عناية خاصة، من حيث اختيار الألفاظ والأساليب التعبيرية المتنوعة، ويحرص على سلامتها وصحتها، دون أن يهمل الجوانب الجمالية والفنية.

الفصحى والظاهرة اللهجية في الإعلام المرئي والمسموع

لا يخفى على أحد منَّا بأن اللغة العربية كغيرها من اللغات العالمية تأثرت هي الأخرى بمختلف المراحل التي واكبت المجتمع منذ فجر الإسلام إلى اليوم؛ فامتداد استخدام اللغة العربية مع الفتوحات الإسلامية واكبه إدخال تراكيب وأصوات لغوية ليست من أصل اللغة العربية في شيء، وهذا اختزال تاريخي لسنا بحاجة إليه... لكن المتذوق للخيال العربي الأدبي يجد شعر العرب يكاد يكون الوحيد الذي لم يتأثر في اعتقادي بالوافد من التعابير والأصوات... و مع الأسف تعاني اللغة العربية اليوم من صعوبات كثيرة على مستويات عدّة: إن على مستوى النطق، أو على مستوى جهاز اللغة في حدّ ذاته.

د. نصير بوعلي
كلية الاتصال بجامعة الشارقة

وإذا كان حديثنا في هذا المقال عن لغة الإعلام حصرًا وبماذا تتميز به هذه اللغة الاتصالية، فيلاحظ لدى الخاص والعام نسبة معتبرة من العبارات أو المصطلحات الأجنبية أصبحت الآن دخيلة على اللغة العربية، وأضحت من بنيتها الداخلية نتيجة الاحتكاك والتداخل بين الألفاظ ... إن الظاهرة اللهجية في بعض الفضائيات العربية تستدعي وقفة للتأمل والتفكير في هذه الظاهرة السلبية التي لو كان «سيبويه» – معجزة النحو العربي – بيننا لما تقبَّلها على الإطلاق.

اللهجة العامية وعنف اللسان وفساد الإعلام

إن المتتبع لبرامج الفضائيات يجد أنّها فسحت مجالًا واسعًا ورحبًا للهجات المحلية على حساب اللغة العربية الفصيحة، والمتتبع لما تبثه هذه الفضائيات على كثرتها وتنوعها من برامج باللهجات المحلية أو العامية يتراءى له وكأنها تتبارى فيما بينها، وكأنّها تتحدّى نصاعة العربية في قواعدها ونحوها وفي بديعها وبيانها. وضاقت مساحة العربية السليمة، وأصبح استعمالها قاصرًا على إذاعة الأخبار والخطب الرسمية، والاحتفالات والأحاديث والتعليقات السياسية والثقافية، وطائفة من الروايات والمسلسلات التاريخية والدينية وما يماثلها. وزاد أمر اللهجات فداحة ما قامت به بعض القنوات الفضائية التي تفاجأنا بأنها أخذت تذيع باللهجة العامية الممزوجة بعنف اللسان في أرجاء الوطن العربي، من منطلق ونية مبيتة تتمثل في إحلال اللهجة العامية محل اللغة العربية الفصيحة، وهي بهذا لا تبالي ما يكون موقعها من نفوس سامعيها أو مشاهديها في أرجاء القطر العربي الكبير، الذي لا يتسع إلا للغة العربية الفصحى؛ فالتحدي كبير جدًا لإعادة مكانة اللغة العربية أمام هذه الصعوبات المتزايدة من أناس ينتمون إلى وعاء اللغة العربية؛ فالخطر على اللغة العربية اتضح أنّه من أهلها وأبنائها وليس من الخارج أو الوافد من اللغات الأجنبية.

الترويج إلى السوقية وشيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة

إن بعض الفضائيات مع الأسف تخاطب الجمهور على أنهم قُصَّرٌ أو أطفال في سن ما قبل البلوغ، من خلال كم هائل من البرامج الشبابية التي تعتمد على الإثارة، ويؤدي الاستخفاف باللغة العربية الفصحى في هذه المضامين المسماة بـ«الفنية» إلى الترويج إلى السوقية وشيوع الكلمات الهابطة والمصطلحات غير اللائقة، والأكثر من هذا تشجيع الجمهور على استحسان الرداءة، والنظر بعين الرضا إلى نفسه كونه غبيًا ومبتذلًا وغير متعلم، فأي إستراتيجية إعلامية يمكن الحديث عنها أمام هذا الكم الهائل من اللهجات العامية، وحتى العبارات السوقية في برامجنا الإعلامية عبر العديد من القنوات التلفازية والاتصالية عموما؟ عندئذ تنطبق علينا العبارة الآتية:

نَعيبُ زَمانَنا وَالعَيبُ فينا
وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوانا

فالخطوات الضرورية لإعادة الاعتبار للغة العربية الفصحى قضية الجميع، هنا قد نقف عند الدور الريادي لاتحاد المجامع اللغوية العربية الذي أضحى الأم البديلة المرضعة للغة العربية عبر أعماله ومؤتمراته السنوية؟ ومع ذلك تبقى اللغة العربية تحتاج إلى الفعل أكثر من الدفاع عنها في المؤتمرات والندوات، رغم الدور الإيجابي الذي يؤديه هذا الاتحاد في تلاقي محبي اللغة العربية والمدافعين عنها في الوطن العربي والأجنبي، فاللغة العربية عندما نادت قالت على لسان الشاعر:

رجَعْتُ نفسي فاتهمت حَصَاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعُقْم في الشباب وليتني
عَقِمتُ فلم أجزعْ لقولِ عِداتي

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

نعم هذا صحيح، وهي الآن تعاني ... وينبغي ألا يغيب عن بالنا أنّ الظاهرة اللهجية لا تقف عند النطق كما كان الحال قديمًا، بل تتعداه إلى الكتابة المرئية، كما هي واضحة على شاشات التلفاز، والكتابة اللهجية تنطوي على الخطأ الإملائي والخطأ النحوي، ورؤيتها على هذه الصورة المتكررة يرسخها في أذهان أجيالنا قبل معرفتهم السلامة اللغوية، وهذا يجعل من العسير محوها من أذهانهم، وأدت العامية إلى شيوع ظاهرة أخرى في بعض القنوات التلفازية هي ظاهرة «عنف اللسان»، الذي يؤدي حتمًا إلى «عنف الإعلام»، وهذه الظاهرة السلبية معروفة في بعض القنوات التلفزيونية التجارية. إنّ عنف اللسان خاصة في هذه القنوات العربية يعود في اعتقادي إلى انكسار البنية القيمية لهؤلاء الإعلاميين، فانكسار القيمة لا محالة يؤدي إلى عنف اللسان والإعلام –أيضًا–.

اللغة العربية الفصحى أولى التنازلات التي تقدم حرصًا على ازدياد معدل المشاهدة

يعدّ الحديث عن علاقة اللغة العربية بوسائل الإعلام من الأمور ذات الأهمية، على اعتبار أنّ وسائل الإعلام هي التي تستقطب إليها الجماهير العربية أكثر بكثير إذا ما قورنت هذه الوسائل بالكتاب مثلا، وقد أثبتت الدراسات الإعلامية الحديثة أنّ الجمهور أصبح يقضي في أيامنا هذه وقتا معتبرًا أمام شاشات التلفاز وشبكات التواصل الاجتماعي، قدرته إحدى الدراسات بـ:«ست ساعات يوميًا»، وهذا الزمن الإعلامي في اعتقادي يساعد الناس على اكتساب مفردات لغوية جديدة قد تؤثر على البناء اللغوي السليم الذي يكون قد اكتسبه الفرد من قبل وهو على مقاعد الدراسة، هذا إذا علمنا بأنّ معظم القنوات الفضائية (عدا الهادفة والإخبارية) تلجأ في برامجها إلى التعامل مع اللهجات المحلية الفقيرة من حيث البناء المنطقي للغة مع كثرة الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية واللغوية. يقول أحمد بن عبد الرحمن بلخير: «لقد اكتسبت الفضائيات في عالمنا العربي الحظ الأوفر من متابعة الرأي العام، ولكما كانت المحطة أكثر جذبًا للجمهور تهافت عليها المعلنون واتصالات المتابعين، وجنت المزيد من الأرباح، وهذا الأمر يدفع الكثير منها لتقديم ما يطلبه الجمهور ويعده مثيرًا وليس ما يفيده، وشتان بين الهدفين، وتكون اللغة العربية الفصحى هي أولى التنازلات التي تقدم حرصًا على ازدياد معدل المشاهدة لأطول وقت ممكن»، وتصبح الملاحظة في محلها عندما نقول نحن ضمن هذا السياق أنّ هناك تيارًا لغويا نشأ وترعرع في بعض الدول العربية، في شمال إفريقيا خاصة، وأصبح بارزا في بعض وسائل الإعلام يدعو إلى إحلال العامية محل اللغة الفصحى، على اعتبار أنّ العامية أو السردبة كما يزعمون الأكثر فهمًا وتقبلا لدى الجماهير العريضة، ولأنها قريبة من القلب والأذن معا، وهذا التيار ينطلق في اعتقادي من الفصل البنيوي بين اللغة بوصفها مؤسسةً، والكلام بوصفه ذاتيًا حرًا، وهذا الفصل يخفي حقيقة لا يريد هؤلاء البوح بها، وهي جهلهم التام والمطبق للغة العربية الفصحى، تقول سعاد قاروط العشي – وهي إعلامية في تلفزيون لبنان – في لقاء مع جريدة الشرق الأوسط: إنّ المذيعات اللواتي تلجأن إلى استخدام العامية لا تُجِدْنَ الفصحى، فالمذيعة التي تستخدم اللغة المحكية، في حين يجب أن تخاطب الجمهور بالفصحى، تقدّم أكبر دليل على عدم تمكُّنها منها، وأحيانا يخفين هذا النقص بالبهرجة والتزيين المفرط لتغطية ضعفهن اللغوي، يضيف أحمد بن عبد الرحمن بلخير بأنّ الحرص الذي كان على العربية وعلومها في بعض وسائل الإعلام تضاءل شيئا فشيئا، حتى انقلب إلى حرص على العامية المحلية ونبذ – بل ومحاربة – للفصحى.

تلاقي وتلاحم اللسان والفصحى: اللغة والقيمة

يقول المثل:« لسانك حصانك: إن صنته صانك وإن ختنه خانك»، بهذه العبارة الجميلة يمكن تلخيص هذا الموضوع بأن نجد حلًا لهذه المعضلة، وهي في اعتقادي في مدى تلاقي العناصر الآتية وتلاحمها وترابطها: اللسان والفصحى، اللغة والقيمة، أي: معالجة التفكّك الموجود والذي اتضح جليًا بين اللغة العربية الفصحى واللسان، ومدى تقارب هذا الأخير و/ أو تباعده عن القيمة التي تعدّ هي الموجه الرئيس للمحكي أو اللسان، فكلما تقارب اللسان من القيمة كان قريبًا إلى الفصحى، وقلّت أخطاء الإنسان اللغوية، وقلّ العنف اللساني في الإعلام، وهنا يمكن الاستدلال بالقنوات الهادفة كقناة الشارقة وقناة أبوظبي وقناة سماء دبي على سبيل المثال لا الحصر، فهذه القنوات نموذج رائع في استخدام اللغة الفصحى كأولوية للاتصال والتواصل مع الجمهور، لأنّ اللسان أو المحكي أو الملفوظ ينطلق هنا من مرجعية قيمية غير مناقضة لهوية المجتمع، وكلّما ابتعد أو تناقض المحكي مع القيمة، كان التأثير السلبي أكثر على اللغة والإعلام، والسقوط في الابتذال والتلوث اللغوي وسيادة العامية، مثل فضائيات (التوك شو)، أو قنوات الإثارة، وهي كثيرة مع الأسف في فضائنا الإعلامي العربي ... وقد ورد في الحديث الشريف أنّ الله تعالى إذا أراد بالعبد خيرًا فقهه في الدين، لأنّ هذا التفقه يصون الفرد من الانحرافات اللسانية والسلوكية وغيرها. كذلك ميّز القرآن الكريم بين الكلمة الطيبة (هنا يمكن الحديث عن الإعلام الصالح أو المصلح) والكلمة الخبيثة (هنا يمكن الحديث عن الإعلام الفاسد أو المفسد)، في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:٢٤، ٢٥]

وهذا مثال للإعلام الصالح، والشجرة هي شجرة النخيل التي يأكل الناس من ثمرها على مدار السنة. ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم:٢٦]

وإذا كانت أهمية الكلمة الطيبة أنّها يمكن أن تبني أو تساعد في بناء الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، فيمكن عن طريق الكلمة الخبيثة أن تهدم أو تساعد في هدم الأسرة والمجتمع والوطن، وأن تكون من أمضى الأسلحة في إشعال الحروب والفتن التي ربما تأتي على الأخضر واليابس معًا ... وقد أثبتت الدراسات أنّ الكلام الطيّب الذي يسمعه الإنسان يمنحه نظام مناعة أعلى، ولذلك أخبرنا النبي ﷺ أنّ «الكلمة الطيبة صدقة» (متفق عليه)، لا تؤذي أحدًا ولا تجرح أحدًا؛ فالإعلامي ينبغي أن يكون نموذجًا جميلًا لا ينساه أحد.

أهميّة الانغماس اللغويّ في تقوية المَلَكَة اللُّغوية لمتعلمي العربية

الباحثة: حسناء لكبير
كلية علوم التربية، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب
جامعة محمد الخامس بالرباط

أدَّت اللسانيات التطبيقية والنظرية دورًا كبيرًا في دراسة خصائص اللغة من كل جوانبها، كما تضافرت الجهود لإنزال المفاهيم والرؤى العلمية إلى حيز استعمال اللغة وتحليل بنياتها ومكوناتها، بوضع تخطيط لغوي يحمي اللغة ويدفع بها قدُمًا. وقد حظي تعلُّم اللغة العربية باهتمام كبير من الباحثين والهيئات العلمية الكثيرة لأهميّتها الكبرى؛ فهي رمز العزة، وسياج الهوية، ووسيلة التواصل، وحافظة التاريخ والثقافة.

ونظرا لسيطرة بعض اللغات الأجنبية، ومزاحمتها العربيةَ، وما تعرفه المجتمعات من تنوع اللهجات وتعدد اللغات، تأتي أهمية موضوع «الانغماس اللغوي ودوره في تقوية الملكة اللغوية»: الصوتية والكتابية، مع اعتماد تجربة لمؤسسة تعليمية مغربية تطبق الانغماس اللغوي فيها. وهذه الدراسة مبنية في إطار مقاربة تعليم وتعلم اللغات: أي كيف يتعلم المتعلم؟ وما هي السبل الكفيلة لترقية مهارتي القراءة والكتابة؟ وتنظر الدراسة إلى واقع تعليم اللغة العربية في الفصول الدراسية، وما يشوبه من ثغرات ونقص في بناء المادة اللغوية بناءً سليمًا يحترم مبدأ التدرج، ويحقق كفاية لغوية سليمة. كما تركِّز الدراسة على فكرة الانغماس المبكر والمستمر في تعليم وتعلم العربية للناطقين بها؛ من أجل اكتساب ملكة لغوية سليمة ممتدة.

ومع أن مصطلح (الانغماس اللغوي) يستعمل غالبًا في تعليم وتعلُّم اللغات الثانية، لكنني وظفته –باتِّباع المنهج الوصفي المقارن– في تعليم العربية لأبنائها؛ نتيجة النقص الحاصل لديهم في ملكتهم اللغوية، على مستوى المنطوق، أو المكتوب.

الانغماس اللغويّ

يذكر ابن فارس ت:٣٩٥هـ في مقاييس اللغة أن الغين والميم والسين (غ. م. س) أصل واحد صحيح يدل على غَطٍّ الشيء، يقال: غَمَسْتَ الثوبَ واليد في الماء[١]. أما ابن منظور ت: ٧١١هـ فيشير إلى: «غمسه يغمسه غمسا؛ أي: مَقَلَه فيه، وقد انغمس فيه واغتمس. والمغامسة: المُمَاقَلة، وكذلك إذا رمى الرجل نفسه في سِطَة الحرب أو الخَطْبِ»[٢]؛ أي: في وسطها.

ويذكر الرازي ت: ٦٦٦هـ في مختار الصحاح أن (الانغمَار) الانغمَاس فِي الْمَاء[٣]..إذا تأملنا هذه التحديدات اللغوية نجدها مجتمعة في بعض الخصائص المشتركة ومنها وضع شيء وسط شيء آخر مع اختلاطه وامتزاجه.

والانغماس اللغوي مجال يطرح عدة تساؤلات في العملية التعليمية التعلُّمية، وهي الأسئلة نفسها التي طرحها «إليزابيت برنهارد» في قوله: من هم أساتذة الانغماس الذين يسهمون في إنجاح الانغماس؟ وما هي قدرتهم وفهمهم للتدريس بالانغماس؟ كيف يتخذون القرارات؟ وكلها أسئلة تطرح نفسها بالإضافة إلى دعوته إلى ضرورة تدريب أساتذة الانغماس على آلياته وضوابطه؛ لأن الشائع اليوم في مجال الانغماس هو» غياب إستراتيجية لغوية بيداغوجية مناسبة؛ لذلك يجب إدماج أساتذة الانغماس للتدريس اللغوي والأكاديمي مع الاستعانة باختصاصيين في اللغة الثانية[٤] » .

أما الانغماس اللغوي اصطلاحا فهو «**أسلوب لتعليم اللغة الأجنبية في الأنشطة الصفية المعتادة، وهذا يعني أن اللغة الجديدة هي وسيلة التعليم والتعلم، حيث يكتسب المتعلمون المهارات اللغوية اللازمة للفهم والتواصل حول موضوع محدد في البرنامج الدراسي**». وبناءً على ذلك فهو أسلوب تعليمي مقترن بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكذلك بتعليم الطفل اللغة العربية أو ما يسمى بالانغماس المبكر.

وتجربة عبد الله الدنان من التجارب الرائدة في هذا المجال في تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة. لذلك فهو «أسلوب تدريسيّ لتنمية المهارات اللغوية لدى الدارسين؛ إذ يستخدم المعلمون ودارسو اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية أجنبية؛ اللغة المستهدفة، وهي اللغة العربية في أثناء الدراسة دون استخدام أية لغة وسيطة، بهدف الاعتماد على استخدام اللغة العربية دون أية

(١) مقاييس اللغة لابن فارس مادة «غمس»
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة غمس.
(٣) الرازي مختار الصحاح، مادة غمر.
(٤) Life in Language Immersion Classroom, Bernhardt, Elizabeth Buchter,1992, publisher, Multilingual. Matters.

لغة أخرى أثناء التدريس أو خارج القاعات الدراسية أو في الرحلات أو في المواقف اللغوية المختلفة التي يتعرض لها الدارسون»[٥] فهو يفترض فيه «أن يحتك المتعلم ويندمج ويختلط ويمتزج في بيئة اللغة، ويبني جسورًا لغوية تواصلية وثقافية بينه وبين مجتمعه، وهذا لا يتم بين ليلة وضحاها، بل يكون بالبقاء فيها حقبة من الدهر تكون كافية لتحقيق هذه الغايات مجتمعة»[٦]. ومن ثَمَّ يجب أن نهيِّئ له محيطًا لسانيًّا أيضًا، هو «مسألة اختيار الخطط، وتوفير الظروف والآليات الملائمة للتعليم الموفق، بما فيها الظروف النفسية والبيئية التي تمكن من تعليم لغوي فاعل لا يؤدي إلى الانفصال والاضطراب وإفساد الأهداف المتوخاة، بما في ذلك تعطيل وإنضاج الملكة اللغوية في اللغة الوطنية الرسمية التي يؤول إليها دور الإنماء اللغوي والمعرفي ...»[٧]. وبناءً على ما سبق فإنني أدعو إلى إعداد بيئة لغوية سليمة للمتعلم مع تعميم الانغماس في مختلف المراحل التعليمية التعلمية؛ لتحقق كفاية لغوية معيارية تضم جميع المستويات اللسانية للغة.

إن الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية المعيارية بشكل مبكر ومستمر يسهم في ثراء الحس المعرفي والحركي لدى الطفل وتنمية العديد من المهارات الأساسية من خلال التواصل بالعربية الفصيحة، وبذلك يصبح الطفل أكثر إبداعًا ونضجًا لغويًّا، هذا بالمقارنة مع المتعلم في أغلب المدارس، سواء العمومية أو الخصوصية. وواقع الطفل المغربي أو العربي بصفة عامة واقع صعب يجمع تعددية وازدواجية وتنوعاً لهجياً وثنائية لغوية وتناوباً لغوياً أيضاً. وهذا وارد في المغرب العربي نظراً لتاريخه وتنوعه الثقافي بالإضافة إلى موقعه الجغرافي، ونتلمس أثر هذه الظواهر اللغوية بجلاء أثناء إجراء العملية التعليمية التعلمية، وخاصة في المراحل الأولى التي يستقبل فيها الطفل تعلم اللغة العربية المعيارية؛ ولا بد من تخطيط وتنظيم وسياسة تدبيرية لهذه الظواهر.

> **الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية المعيارية بشكل مبكر ومستمر يسهم في ثراء الحس المعرفي والحركي لدى الطفل**

ويولد التعدد اللغوي المجتمعي –غالبا– الحاجة إلى التدخل في المجال اللغوي لتنظيمه، ويشمل هذا التدخل ثلاث نواح، هي: المنزلة، والمتن، والاكتساب. فالناحية الأولى تستهدف وظائف اللغات المتداولة، فيقرر المخطط اللغوي أيَّ اللغات ستؤدي أية وظيفة (أو وظائف). أمّا الناحية الثانية فإنها تستهدف اللغة ذاتها لتمكينها من أداء الوظيفة (أو الوظائف) التي أنيطت بها. وأخيرا تستهدف الناحية الثالثة المجالات التي تحفز على تعلم اللغة والإلمام بها[٨].

وإذا كان أحمد الشارفي يدعو إلى تنظيم هذا المزيج اللغوي وتدبيره؛ فإن الانغماس اللغوي يعد من أهم إستراتيجيات تجويد العملية التعليمية التعلُّمية وتحقيق معرفة لغوية سليمة وممتدة. لذلك فيعد تهيئة البيئة اللغوية السليمة للمتعلم من أهم العمليات التطبيقية التي تسهم في نماء المستوى اللغوي لدى المتعلم بشكل سليم، خاصة الطفل الذي يحتاج في مراحله الأولى أثناء ولوجه للفصل الدراسي تكثيف الجهود المتضافرة لمساعدته. لذلك نجد «أن الطفل يبدأ نموه المعرفي والرمزي عبر اكتساب نظام دلائل ورموز لغوية تمثل لغته الأولى، وقد توظف هذه المرحلة المبكرة التي يسعى فيها الطفل إلى الاتصال بوسطه والاندماج في محيطه لاكتساب أكثر من لغة، إذا وجد المحيط الملائم الذي يتيح الاتصال، ومحيط الاتصال يتغير عبر مراحل الطفولة إذ يكون منحصرًا في الأسرة فقط (بين الولادة والسنة الثانية أو الثالثة) وإذا كان في البيت والدان يتكلمان لغتين مختلفتين، فإن الطفل يصبح ثنائي اللغة في دار الحضانة أو الروضة، ويتسع المحيط للحاضنة، ثم للمعلمين والرفاق، ويتنوع الشركاء في الخطاب ومع ذلك يؤدي الوسط دورًا مزدوجًا في الإدماج والاكتساب، شريطة أن يكون هناك شريك دائم يؤثر في مخاطبه»[٩]. وكلما اتسع المحيط اتسع الشركاء الذين يسهمون في تعميق هذه المعرفة لدى الطفل. وإذا ما توفر الانغماس بشكل متوازن ومستمر داخل هذا الوسط التعليمي فسيتم بناء متعلم ذي كفاية لغوية رصينة.

أهمية الوعي الصوتيِّ في تعزيز الانغماس اللغوي

إن خاصية الصوت هي عملية تأليفية بين الجمل والكلمات، وهي رموز وذبذبات تصدر من أعضاء النطق التي تتميز بخاصية الإنتاج والتطريز، فيدركها المخ بعد أن يستقبلها عن طريق الأعصاب. ويعرِّف الوعي الصوتي بأنه «القدرة على تحديد الوحدات الصوتية والتمكن من نطقها على شكل فونيمات مجردة ثم على شكل كلمات»، أو أنه القدرة على إدراك الوحدات الصوتية المشكلة للغة[١٠].

وتزداد أهمية بناء الوعي الصوتي عند تعلم نسق صوتي غني كالنسق العربي؛ لأن الأصوات العربية متدرجة عبر الجهاز الناطق بحيث تستغل كل إمكاناته، وتمتاز بالتقارب والدقة، كما تمتاز ببعض الصعوبات في تنفيذ جزء مهم منها، خاصة الأصوات الحلقية، والأصوات اللثوية، والأصوات المطبقة والمفخمة. بالإضافة أيضا إلى كون المعايير والأطر المرجعية الدولية في تعلم اللغات، وكذا الأبحاث الرائدة في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمحيط الأوروبي أو الأمريكي، تولي أهمية بالغة للجوانب الصوتية والنطقية بالخصوص، وتركز في هذا الصدد على تنمية مهارة الاستماع، بتكثيف التدريب، والإبداع في طرق التمرن والتكرار دون الوقوع في الملل»[١١].

إن اهتمامنا بأهمية الانغماس اللغوي بتفعيل الوعي الصوتي

(٥) الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: تحرير رائد مصطفى عبد الرحيم، ص: ١٥

(٦) السابق: ص: ١٨

(٧) عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة أسئلة متراكمة (٢٠٠٧م)، ص: ١١٣

(٨) اللغة واللهجة، أحمد الشارفي، (٢٠١٧م)، ج: ٢، ص: ٣٠٣

(٩) اللغة والبيئة، عبد القادر الفاسي الفهري، ص: ١١٤

(١٠) charlotte GUELENNE *Laconscience phonologique*Dossier-d'activités,2012-2013,p96.

(١١) دليل تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ماجدولين النهيبي: ص: ٢٣

ناتج عن بعض التداخلات التي تحصل للمتعلم في المرحلة الابتدائية، خاصة في تلك الأصوات المشتركة في بعض السمات والمخارج، وتمثلها المجموعات الآتية: (الدال، والذال)، و(الضاد، والظاء)، و(السين، والصاد)، و(الثاء، والتاء)، و(التاء، والطاء)، و(الكاف، والقاف)، و(الكاف، والتاء)، و(القاف، والهمزة).

يرجع سبب حدوث هذه التداخلات التي تظهر بجلاء في المرحلة الابتدائية إلى عاملين، الأول: عامل إسقاط المتعلم عاداته الكلامية على اللغة الهدف، والآخر: عامل التقارب الصوتي بين بعض الأصوات. ويمكن التغلب على ذلك بكثرة التكرار والتدريب؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى تماثل الحرفين مثلا في الرسم والقراءة، كما يحدث مع (التاء والثاء)، فيكتبان (تاءً)، وهكذا. فالتكرار والتدريب المستمرّان هما ما يميز الانغماس اللغوي الصوتي من أجل تجويد النطق العربيّ، وتفادي التداخل والاستبدال الحاصل بين بعض الأصوات.

وأشير إلى أن هذا الالتباس يظهر بجلاء لدى الطفل الذي يتحدث اللغة الأمازيغية إذ نجد لديه تماثلا صوتيًّا على مستوى «التاء» و«الثاء» و «الذال» و«الدال» فيحصل لديه تداخل «فونيمي» أصواتي، ناهيك عن بعض التداخلات الأخرى. وهذه الظواهر الصوتية تتحول إلى عادات كلامية تحدث له صعوبات نطقية وكتابية لهذه «الفونيمات»، خاصة في المرحلة الابتدائية في التعليم. ويؤدي الانغماس اللغوي الصوتي دورًا في تصويب هذا النطق، مع مراعاة احترام مبدأ التدرج. وهو ما يعطي للوعي الصوتي أهمية في كونه يؤدي دورًا مهمًّا في عملية تدريس مهارتي الكتابة والقراءة من خلال مجموعة من الأنشطة القرائية/ الكتابية التي تنص على الانتقال من الأسهل إلى الأصعب في تطوير عملية تعليم وتعلم اللغات.

أهمية القراءة في إكساب المتعلمين المَلَكَة اللُّغوية

تنقسم القراءة إلى قراءة مركزة تخص الفقرات القصيرة، وقراءة موسعة تتعلق بالقصص أو الكتب الشائقة. وفي الحالتين يرتكز التعليم على القراءة الصامتة والتدريب على إنجازها بسرعة، وقد صاحب هذه الطريقة ظهور قوائم للكلمات الأكثر شيوعًا، والتي كان يجري تعلمها عند تعلم بعض التراكيب المناسبة في بدء القراءة أو أثنائها. وقد اعتنت هذه الطريقة بالقراءة الجهرية للفقرات. أما الكتابة فقد اقتصرت على تدريب التلاميذ على المفردات والتراكيب المناسبة في بَدء القراءة أو أثنائها[١٢].

وتتجلى أهمية المكون القرائي؛ في القدرة على تحويل المنطوق إلى رموز من خلال تفعيل الوعي الصوتي، وكذلك التعرف على الرموز الصوتية في مختلف وضعياتها. كما أن للمكون القرائي أهدافًا نجملها فيما يأتي:

- تعرُّف المتعلم على الرموز الصوتية العربية مجردة ومركبة في وضعيات مختلفة (بداية الكلمة، وسط الكلمة، نهاية الكلمة) مع الحركات الطويلة والقصيرة.
- القدرة على تحويل هذه الرموز من مكتوب إلى منطوق بشكل سليم من حيث مخارجها وصفاتها.
- إكساب المتعلم آليات القراءة الجهرية والصامتة لمجموعة من الكلمات والجمل، وتدريبه على تطبيقها من خلال أساليب (الاستفهام، والتعجب، وغيرهما).
- إغناء الرصيد اللغوي والمعرفي من خلال ترويج المعاجم الثابتة والمتحركة والنصوص القرائية في وقت لاحق.
- القدرة على الملاحظة الدقيقة من خلال تتبع أشكال رسم الحرف والكلمة، وإعداد له لعملية الكتابة.

أهمية المكوِّن الكتابيَ في تنمية الملكة اللغوية للمتعلم

تعد الكتابة أداة حفظت ذاكرة الشعوب على مر الزمان، ومن خلالها توصل العلماء إلى رسوم «فونيمات» غابرة عبر التاريخ، ولغات حية لازالت متداولة. وتعرَّف الكتابة بأنها «نظام تسجيل اللغة بعلامات ظاهرة أو ملموسة»[١٣]، ويختلف تعريفها بحسب أبعادها النسقية والدلالية، وباختلاف المعاجم العربية والغربية، وهذه التعريفات مهما اختلفت إلا أنها تشير إلى التدوين والرسم وتجسيد المنطوق وفق مواضعات لغوية ما في ثقافة ما.

وأخيرَ، أقول: إنَّ تفعيل الانغماس اللغوي يسهم في تحقيق الكفاية اللغوية في مختلف المستويات اللسانية: أصواتًا، وصرفًا، وتركيبًا، ودلالةً، وتداولا، ومعجمًا. كما أنه سيمكِّن المتعلم من إجراء التصحيح الذاتي تلقائيا، بالرجوع إلى ما استقر في ذهنة من بنيات صحيحة، ويخفف من تأثير اللهجات واللغات الأجنبية في محيط لغوي متعدد.

> الانغماس اللغوي يعد من أهم إستراتيجيات تجويد العملية التعليمية التعلمية وتحقيق معرفة لغوية سليمة وممتدة

(١٢) انظر محاضرات في اللسانيات التطبيقية، لطفي بوقربة: ص: ٢٩

(١٣) تطوير الحرف العربي وتحديات العولمة، عبد الرزاق توريو (٢٠١٥م)، ص ٢٣

د / بشير عصام الشوربجي

مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية
بكلية الآداب - جامعة طنطا

قصيدة فخر العروبة والضاد الحبيبة

مهداة
إلى صاحب السمو الشيخ الدكتور
سلطان بن محمد القاسمي

دَعينا من أساطير المغازِي   فرُبَّ حقيقة فوق المجازِ
ورُبَّ رسول علم نال فتحًا   عظيمًا لم يَنَلْه أيُّ غازي
ولستُ بمُدَّعٍ قولاً ولكنْ   لديَّ أدلةٌ دون انحيازِ
تعالي وانظري ياهندُ نجمًا   قد اجتاز العلا كُلَّ اجتيازِ
له من كُنْية المختار وسمٌ   أتاه بلا احتراس واحترازِ
نقول : «القاسميُّ» إذا عنينا   ربيبَ المجد من أرقى طرازِ
يَفوقُ على ذويه كما يفوق الـ   قصيدُ على قوافي الارتجازِ
وطاف على العلوم بكل فنٍّ   كما طاف الفضا صقرٌ وبازي
فأخرج من كنوز العلم دُرًّا   سلاها الدهر من طول اكتنازِ
كَسَى الضادَ الحبيبةَ ثوبَ عزٍّ   ففاخرتِ اللغات على اعتزازِ
وأحيا ماضيَ الضادِ المُفَدّى   وحاضرَها جميعًا في توازي
ليرفعَ من قواعدها بناءً   يُشَيِّدُهُ على أقوى ارتكازِ
كتابِ الله ثم حديث طه   وشعرٍ في عكاظَ وذي المجازِ
وسحرِ قصيدةٍ قد جَهَّزُوها   ليوم العُرْسِ في أبهى جهازِ
فصانَ كتابَ ربي من عدوٍّ   تَربَّص للبيان على انتهازِ
إذا جئنا لمَجْمَعه تراءَى   لنا ابنُ كثيرهم يُمْليه رازي
ويستمع الخليلُ لشعر شوقي   على عودٍ بأوتارٍ هزازِ
كما تصغي جهيزةُ في خشوعٍ   إلى الخطباء من غيرِ اجتزازِ
ويكتب سيبويهُ وجهَ نحوٍ   يراه على الوجوب أو الجوازِ
كلامًا لا ترى فيه انعواجًا   وأنغامًا تَخلَّتْ عن نشازِ
أيا فخرَ العروبةِ هاك شعري   فَكَكْتُ رَوِيَّه بعد احتجازِ
وكان أسيرَ عَبْقرَ بَيْدَ أني   سَعيتُ إليه في جنٍّ عزازِ
أُقَدِّمُه إليك دليلَ حُبٍّ   وأرجو أن يروقَكَ بامتيازِ
جُزيتَ بسعيك المعطاءِ فينا   عطاءً من إله خيرِ جازي
أثاب المتقين به مفازًا   فأكرِمْ بالثواب وبالمفازِ

أطلال الكلمات
بحث في التّأصيل الدّلالي من خلال الشّعر

أ.د مبروك المنّاعي
كليّة الآداب والفنون والإنسانيات

يتناول هذا البحث مظهرًا معجميًّا دلاليًّا من مظاهر الشعر العربي القديم يمثّل طورًا عتيقًا من أطوار دلالة الألفاظ فيه، وملمحًا متقدّمًا من حياة الشعر، ثاويًا في ركن من ذاكرته التّاريخيّة، محتجبًا في كثافات الاستخدام القديمة، لم يُعره اللّغويون واللّسانيون والباحثون في الشعر أيّ اهتمام.

والمقصود بهذا العنوان «أطلال الكلمات» أنّ الشعراء القدامى، وخصوصًا شعراء «الجاهليّة» الأخيرة وما اتّصل بها ممّا يسمّى «صدر الإسلام» وكبار الشعراء البدو في القرن الأوّل الهجري، قد سبقوا سائر مَنْ عرفنا بعدهم في أطوار الشعر اللاّحقة إلى استخدام كثير من الألفاظ بمعانيها الأولى المحسوسة، أو الأصليّة التي كانت لها قبل أن يأتي عليها التجريد، وأجروا كثيرًا من الألفاظ في دلالاتها التي هي لها بمثابة النواة المعنويّة الأصليّة المذكّرة بالحاجة التعبيريّة الأولى والأسبق تاريخيًّا. وهي دلالاتٌ طُمست معالمها وغارت أصولها في ذاكرة اللغة وانبتّت الصّلات بينها وبين مستعملي العربيّة اليوم، ولكنّها ظلّت حيّة في الشعر القديم، وبواسطته، حياتها الأولى.

وإنّ الكشف عن دلالة أصول هذه الكلمات لَمفيدٌ، في اعتقادنا، في معرفة التطوّر اللّغوي وفي تبيّن الآليات والاتّجاهات المنطقيّة التي تحكمه، مثلما هو مفيدٌ في معرفة مسارات الدلالة وطبقاتها في الشعر.

هذه الظاهرة مطّردة، على ما بدا لنا، سواء من خلال كتب الاختيارات، أو في دواوين القبائل والأفراد، وربّما كانت أكثر تواترًا واطّرادًا في شعر هذيل لكون هذا الشعر أكثر بداوةً من سائر الشعر القديم.

ومن أمثلة هذه الألفاظ ذات الدلالات العتيقة لفظة «**الشرف**» ومعناها القديم: الهضبة أو المرتفع من الأرض، وكلّ نشز سواء كان رملاً أو جبلاً. وقد استخدمها بهذا المعنى علقمة بن عَبَدَة (ت: ٢٠ ق.هـ) في قوله في وصف إبريق خمر [البسيط]:

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ
مفدّمٌ بسبَا الكتّان مَرثُومُ(١)

كما استخدمها بعد ذلك بكثير، أبو نواس (ت.١٩٩ هـ) بمعنى «**الجبل**» تأوي إليه أنثى العقاب ليلاً، وذلك قوله من مرثيته في خلف الأحمر [المنسرح]:

(١) المفضّليات، تحقيق شاكر وهارون: دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٤٤.

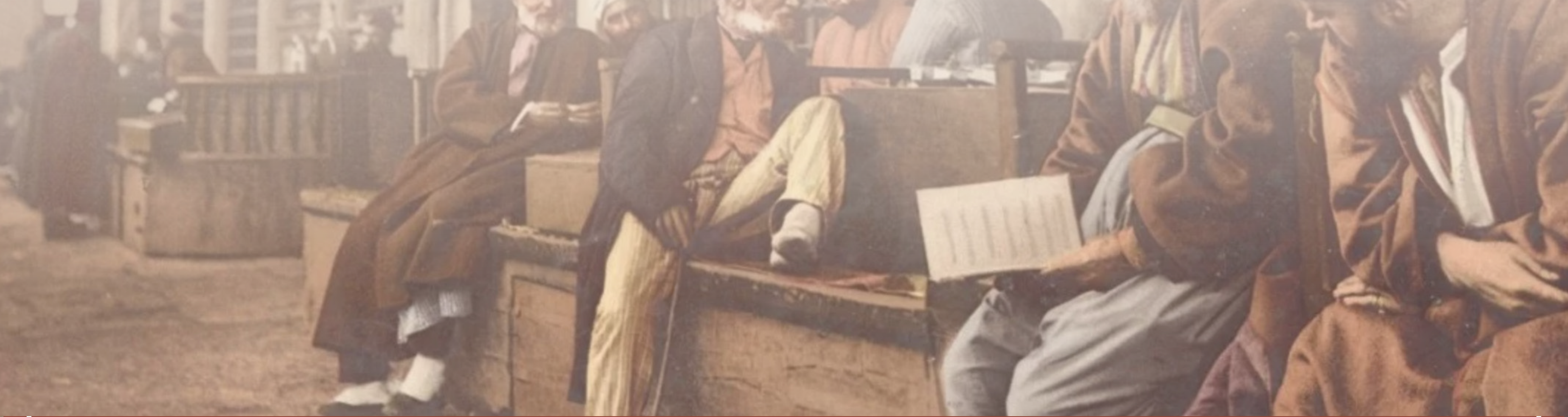

لا تَئِلُ العُصْمُ في الجبال ولا
شَغْوَاءُ تَغذُو فرخيْنِ في لَجَفِ
يُكنّها الجوُّ في النّهارِ ويُؤ
وِيها سوادُ الدَجى إلى شرفِ[٢]

وأصل «**الإشراف**» النَظر من أعالي المرتفعات: وهو قول توبة بن الحُمَيِّر (ت: ٨٠هـ) في مقام غزل [الطويل] :

وأُشرِفُ بالقور اليفاع لعلّني
أرى نَار ليلى أو يراني بصيرُها[٣]

ومما فات أصحاب المعاجم أنّ لفظ «**الحرّ**» كان يعني في ما يعني: الأبيض، وهو قول سويد بن أبي كاهل اليشكري (ت: ٦٠هـ) في مقام تشبيب [الرمل]:

حُرّة تجلو شَتيتا واضحًا
كشُعاع الشّمسِ في الغيْم سَطَعْ[٤]

و«**الأبيض**» يعني الكريم الحرّ الخالص النّقي العرض والمتميّز بالبهاء والحسن، وهو قول زهير بن أبي سلمى (ت: ١٣ ق.هـ) في مدح حصن بن حذيفة بن بدر [الطويل]:

وأبيضَ فياضٍ يداهُ غمامةٌ
على مجتبيهِ ما تغبّ فضائله[٥]

وقول المرّار بن منقذ (ت: حوالي ١١٠ هـ) في ذكرياته مع بعض النَساء [البسيط] :

قد نرى البِيضَ بها مثل الدمى
لم يخنهنّ زمانٌ مقشَعِرْ[٦]

وكان لفظ «**الحنين**» يعني: ترجيع النَاقة إثر ولدها وصوت النَاقة الثَكلى، أو التي أُبعدت ففقدت الأنس بالإبل؛ وهو ما بقيت آثاره في قول السّفاح بن بكير اليربوعي (ت: ٧١هـ) في رثاء بعض الأصدقاء [السريع].

أمُّ عُبيْدِ اللّه ملهوفةٌ
ما نومُها بعدكَ إلاّ رُواعْ
كما استحنّت بكرةٌ والهٌ
حنّتْ حنيناً ودَعاها النِّزاعْ[٧]

وكان لفظ «**العيد**» مستخدماً بمعنى: الشّخص الذي يعود، أي: يكرّر القُدوم والزيارة، مرّة بعد مرّة، أو بمعنى الشَيء، أو الحال الذي يتكرّر، وذلك قول تأبّط شرّا، ثابت بن جابر (ت: ٨٠ق.هـ-٥٤٠ م) في مخاطبة طيف صاحبته الزائر [البسيط]:

يا عِيدُ، مَالَكَ من شوقٍ وَإيرَاقِ
ومَرِّ طيفٍ على الأهوالِ طَرَّاقِ[٨]

وقد استعمل لبيد بن ربيعة (ت: ٤١ هـ) في معلّقته الفعل «**كفَر**» بمعنى: أخفى وحجب، والصّفة «كافر» نعتا للّيل في إخفائه الموجودات. والاسم «**العورة**» بمعنى مأتى العدوّ ومصدر الخطر، وذلك قوله يصف سرعة مغيب الشّمس وتلفّع الكون بالظلام ويذكر مبيت المهاة في اللّيلة الشَاتية المطيرة [الكامل]:

حتّى إذا أَلقتْ يدًا في كافر
وأجنَّ عَوْراتِ الثغورِ ظلامُها
يعلو طريقةَ متنها متواترًا
في ليلة كفَر النّجومَ غَمامُها[٩]

واستخدم أبو زبيد الطّائي (ت: ٦٠ هـ) لفظ «**العبء**» في معنى يبدو هو معناه القديم وهو معنى: الكدس الثقيل من التراب والحجارة الذي يكدّس على القبر إثر الدَفن، وهو قوله يرثي أخاه الجلاح [الخفيف]:

غير أنّ الجُلاحَ هدَّ جناحي
يومَ فارقتُه بأعلَى الصَعيدِ
في ضريحٍ عليه عبْءٌ ثقيلٌ
من ترابٍ وجندلٍ منضودِ[١٠]

(٢) الديوان : تحقيق عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤، ص: ٥٤٧
(٣) ديوان توبة بن الحميّر : تحقيق خليل العطيّة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ص ٣١.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩١.
(٥) الديوان : دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٦٨.
(٦) المفضّليات، ص ٨٩.
(٧) المصدر السابق : ص ٣٢٢.
(٨) نفسه: ص ٢٧.
(٩) أبو القاسم الأنباري : شرح القصائد السّبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠، ص ٥٨١.
(١٠) ديوان الهذليّين : I/ ٢٣٦.

واستخدم لقيط بن يعمر الإيادي (ت: ٢٤٩ ق.هـ) ما يدلّ على الأصل المحسوس «**للتواضع**» وهو النزول والتسافل، وهو قوله يصف الهوادج خلال رحلة الظعائن [البسيط]:

طورًا أراهمْ وطورًا لا أُبينُهمُ
إذا تواضعَ خِدْرٌ ساعةً لَمَعَا[١١]

واستخدم قبيصة الطائي لفظ «**الاحتفال**» بمعناه القديم وهو الامتلاء بالماء، ذلك أنّ الاسم «**الحفل**» والمصدر «**الاحتفال**» والنّعت «**حافل**» تتعلّق كلّها بتجمّع الماء في المكان (الحسيّ أو العين أو البئر أو النهر)، قال الشاعر في مقام رثاء [الوافر]:

ألا يا عَيْنُ فاحتفلي وبَكّي
على قَرْمٍ لريْبِ الدَهرِ كافِ[١٢]

واستخدم حسّان بن ثابت (ت: ٥٤ هـ) لفظَيْ «**الغَرض**» و«**الهَدَف**» بمعناهما القديم، وهو النّصب الذي يوضع للرّماة فيرمونه، وهو قوله في تأنيب ابنه عبد الرحمان حين هاجى النّجاشي الحارثي [الكامل]:

فَجَعلتَني غرضَ اللئام فكلّهمْ
يرمي بلؤمه، بالِغًا كمُقصِّرِ
هدفٌ تَعاورُه الرماةُ كأنّما
يرمون جندلةً بعرضِ المَشْعَرِ[١٣]

واستخدم المثقّب العبدي (ت: ٣٦ ق.هـ) لفظ «**الدين**» في معناه القديم، وهو معنى الدأب والعادة والحال، وذلك على لسان ناقته تشكو بعد غايته وكثرة رحلاته وإرهاقه إيّاها بالأسفار [الوافر]:

تقولُ إذا درأتُ لها وضيني:
أَهَذا دينُه أبدًا وديني؟
أَكلَّ الدّهر حلٌّ وارتحالٌ؟
أَمَا يُبقي عليَّ وما يقيني[١٤] **؟**

وأصل«**الشريعة**»: السَبيل الذي يُفتح إلى الماء والفرضة في النّهر وموردُ الشَاربة التي يشرعها النّاس للشرب، أوللاستقاء وورد الحيوان، وشرطها أن يكون الماء فيها عدّا لا انقطاع له وأن يكون ماؤها ظاهراً متاحاً لا يُحتاج إلى إخراجه من بئر، أو جَبْيِهِ في حوض. و«**التشريع**» سقي الحيوان من الشَريعة، وفي

(١١) ديوان لقيط، تحقيق خليل العطيّة، بغداد ١٩٧٠، ص ٣٠.
(١٢) أبو العلاء المعري : شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١، I/٦٢٢.
(١٣) شرح ديوان حسّان، ص ٢٢٣.
(١٤) المفضليات : ص ٢٩٢.

المثل «**أهونُ السّقي التشريع**» لأنّه لا يُحتاج إلى جهد. وقد عثرنا على هذا المعنى القديم في قول ربيعة بن مقروم (ت: ١٦ هـ) يصف رحلة حمار الوحش بأتنه نحو موارد الماء [المتقارب]:

فَأَوْرَدَهَا مع ضوءِ الصباح
شَرَائِعَ تطحرُ عنها الجَميمَا(١٥)

أي يقصدونه (والسِبّ العمامة).

وأصل «**الهُدَى**»: الطريق الجادّة الواضحة التي إذا حاد عنها السَائر ضلّ: وهو قول يزيد بن الخذّاق (ت: ٤٦ ق.هـ) [الكّامل]:

ولقد أضاءَ لَكَ الطريقُ وأنهجتْ
سُبُلُ المكارِم، والهُدَى تُعدي(١٦)

وأصل«**الهادي**»: الرَجل البصير بمسالك البيد والموامي الذي يتقدّم الرّكب يهديهم السّبل، وهو قول الخنساء (ت: ٢٤ هـ) ترثي أخاها من قصيدة شهيرة [البسيط]:

وإنّ صَخْرًا لتأتمُّ الهُداةُ به
كأنّهُ علمٌ في رَأسهِ نارُ(١٧)

وقال الأخطل التغلبي (ت: ٩٠ هـ) يصف ناقته [الطويل]:

على أنّها تهدي المطيَّ إذا عوَى
من اللّيل مَمْشُوقُ الذراعيْنِ هَبْهَبُ(١٨)

و«**السَّلَفُ**» الرَّكْبُ الذي يتقدّم رحلة القافلة، أو القبيلة يستكشف أمامه الطريق، وهو قول لبيد العامري (ت: ٤١ هـ) [الطويل]:

مَضَوْا سَلفًا قَصْدُ السّبيل عليهمُ
بَهيٌّ مِنَ السُّلافِ ليسَ بجَيْدرِ

وقال الأصمعي: «كانت العرب إذا أرادت التحّول تقدّم السّلفُ على الخيل فنفضوا الطريق وأصلحوه حتّى تأتي الظُّعن»: وقال المخبّل السعدي (ت: ١٢ هـ) في مقام نسيب [الكامل]:

ولقدْ تحلُّ بها الرّبابُ لها
سَلَفٌ يفلُّ عدوَّها فَخْمُ

والملاحظ في شأن قول المخبل السعدي هذا، أنّ دلالة لفظ «**السلف**» قد بدأت انطلاقًا من الجاهلية الأخيرة وصدر الإسلام، وتنزع منزع التجريد وتذهب باتجاه الكناية.

وأصل «**الصَّبْر**» الحبْس، وكلّ مَنْ حبس شيئًا فقد صبرَه: قال الحطيئة (ت: ٤٢ هـ) متخلصًا إلى المدح [السريع]:

قلتُ لها أَصْبِرُها جاهدًا:
وَيْحَكِ أمثالُ طَريفٍ قليلْ

وكذلك لو حبسَ رجلٌ نفسه على شيء يريده قال «**صبرت نفسي**» قال عنترة (ت: ٢٢ ق.هـ) يذكر حرباً كان فيها [الكامل]:

فصَبَرْتُ عارِفةً لذلكَ حُرَّةً
ترسُو إذا نفسُ الجبانِ تطلّعُ

خاتمة:

وإنّ تضمّن الشعر العربي القديم لهذه الألفاظ وإجراءه إيّاها في هذه الاستعمالات من شأنه أن ينبّه الباحث إلى حقائق هامّة ومعارف مفيدة صالحة للّغة وصالحة للشعر معا على ما ألمعنا إليه في صدر هذا البحث: ذلك أنّ أمثلة الاستعمالات التي عرضنا لها– بدلالاتها التي وقعنا عليها– إنّما هي كثافات وموادّ من ذاكرة اللّغة حفظها الشعر وجمّد دلالاتها، وهو إذ حفظها حافظ بفضلها على مكوّن نوعي مهمّ من دلالته.

ومن ثمّ فإنّ تقليب النظر في هذه الألفاظ وهذه الاستعمالات عمل مزدوج النّفع تتمثل إفادته اللغة في تعريفنا على جوانب من «تاريخ» الكلمات وأطوار من هذا التَاريخ كانت دلالتها خلالها محسوسة قريبة من الواقع محايثة للحياة، وكان الإنسان خلالها يقضي حاجته من الألفاظ والعبارات انطلاقا ممّا حوله من أشياء وكائنات وأحداث قريبة في متناول الحواسّ، وأهمّها معطيات المكان والحيوان... وتتمثّل إفادة هذا النشاط للشعر في جعل دلالته تتردّد بين الحقيقة والمجاز وتُمدّ الفهم المجازي الطارئ برافد حقيقة أصلي من شأنه أن يغني الدلالة وأن يحدث تشعّبا في نظام التخييل مفيدًا للفنّ الشعري إفادة فعليّة واقعة في مستوى الإيحاء خاصّة.

(١٥) المفضليات: ص ١٨٢، (تطحر: تدفع – الجميم: القذى).
(١٦) اللسان: (هدي).
(١٧) ديوان الخنساء: دار الأندلس، بيروت، د.ت، ص ٥١.
(١٨) ديوان الأخطل: ص ٦١.

تأدب النحاة مع الله عزَّ وجل

د. عبد الله بن محمود فجّال
أستاذ اللغة والنحو المشارك بجامعة الملك سعود

تعارَف النحاة على مصطلحات في الإعراب فيما يخص لفظ الجلالة؛ فعدلوا عن استعمال ألفاظ مُصطلح عليها إلى ألفاظ خاصة احترامًا وإجلالًا للألفاظ الدينية كلفظ الجلالة، أو في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وهذا مدار هذه المقالة؛ إذ يدلُّ هذا المنهج الذي سلكه النحاةُ على ما يتحلون به من شعور مرهف وأدب جمّ وذكاءٍ يبهر العقول، فالإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) رحمه الله يقول: «أصحابُ العربية جِنُّ الإنسِ يبصرون ما لا يبصرُ غيرُهم[١]». وقال: «مَنْ نَظَرَ في اللغة رقَّ طبعُه[٢]».

وقيل: إنَّ سيبويه (ت: ١٨٠هـ) رُئِيَ في المنام، فقيل له: ما حالُك عند الله؟ فقال: قد غَفَر لي؛ لأني جعلتُ لفظ الجلالة أعرف المعارف[٣]، فهذا الفِكْر منطو على أدبٍ كبير، واحترام منقطع النظير لدى إمام النحاة، وسأعرض هنا بعضًا من مصطلحات التأدب مع لفظ الجلالة، فأقول –وبالله التوفيق:

أولاً: مصطلح (لفظ الجلالة)

ذهب النحاة إلى استعمال مصطلح (لفظ الجلالة) في الدلالة على اسم الله –عزَّ وجل– احترامًا وإجلالًا وتعبُّدًا، أمَّا إنْ صرَّحوا بلفظ (الله) –سبحانه– فإنهم يريدون الذات وليس الاسم، ولهم في ذلك طريقان:

الأول: استعمال مصطلح «**لفظ الجلالة**»، فيقولون: لفظ الجلالة في محل رفع فاعل. ولا يساوونه بغيره، مثل: زيد فاعل.

والآخر: العدول عن مصطلح (مفعول به) إلى مصطلح (المعظَّم) أو عبارة تدل على المعنى، فيقولون في (سألت اللهَ): **الله** هو المسؤول. وفي قولهم: (ذكرت اللهَ): **الله** هو المعظّم.

(١) مناقب الشافعي، للبيهقي، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م، ج٢، ص: ٥٣.
(٢) النجم الوهاج، للشافعي، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٤م، ج١، ص: ٢٠٦.
(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص: ١٣٨.

والطريق الأول هو الأشهر والأكثر، والناظر في كتب النُّحاة والمفسِّرين يجد الكثير من هذا الاستعمال.

ثانيًا: مصطلح (الرفع على المدح)، و(النصب على التعظيم)

ذكر النحاة مصطلح **(الرفع على المدح)** أو **(النصب على التعظيم)** بدلًا من مصطلحي (مرفوع) و(منصوب)؛ لما لا يخفى ما فيهما من سوء أدب مع مقام الله، عز وجل. جاء في معاني القراءات: «من قرأ ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣] أو ﴿**علام الغيب**﴾ بالخفض جَعَلَه صفةَ لله في قوله: ﴿الحمدُ لله﴾، ومن قرأ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ فهو استئناف، ويكون المعنى: عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة، ويكون ﴿لا يعزُبُ﴾ خبر الابتداء، وجائز الرفع على المدح لله، والمعنى هو عالم الغيب[٤]».

ثالثًا: مصطلح (منتصب على التعظيم)

من ذلك ما جاء في المحرر الوجيز: «وقرأ جمهور القراء: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] **بالنصب على التعظيم**[٥]».

ومما ورد في إتحاف فضلاء البشر: «واختلفوا في ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة:١١٢] فالكسائي (ت: ١٨٩هـ) بتاء الخطاب، لعيسى مع إدغام اللام من (هل) في التاء على قاعدته، و«ربك» **بالنصب على التعظيم**؛ أي: هل تستطيع سؤال ربك؟[٦]».

(٤) معاني القراءات، للأزهري، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩١م، ج٢، ص: ٢٨٧.
(٥) المحرر الوجيز، لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج٥، ص: ١٢٩.
(٦) اتحاف فضلاء البشر، للبناء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ص: ٢٥٧.

رابعًا: مصطلح (ما لم يسمَّ فاعله)

قد ذهب كثير من النحويين، منهم: الفراء (ت: ٢٠٧ أو ٢١٥هـ)، وابن السرّاج (ت: ٣١٦هـ)، وأبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، والعكبري (ت: ٦١٦هـ)، وابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، والقرطبي المفسِّر (ت: ٦٧١هـ)، والرضي الإستراباذي (ت: ٦٨٤ أو ٦٨٦هـ)، وابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)– ذهبوا إلى العدول عن مصطلح **(باب المبني للمجهول)** إلى **(باب ما لم يسم فاعله)؛ وذلك تورعًا من إطلاق لفظ مجهول في حق الله -عزّ وجلّ-** في إعراب مثل (أوحي، وخلق) في الآيات: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

خامسًا: مصطلح (فعل دعاء) أو (فعل طلب)

من النحاة من فرّق بالتسمية بين الطلب الصادر إلى الأعلى رتبةً من المخلوقات، والطلب الموجَّه لله –عزّ وجل–؛ فقد قال ابن كيسان (ت: ٢٩٩هـ): «والطلب على ثلاثة أوجه: فمنه أمر ومسألة ودعاء. فالأمر لمن هو دونك، والمسألة لمن أنت دونه، والدعاء لله **(تبارك وتعالى)**. تقول يا غلام قم (أمر)، ويا أيها الأمير أجزني وهب لي (مسألة)، ويا الله اغفر لي، ارحمني (دعاء). وهو جزم ويجمعه الطلب إلا أنه فرّق بالأسماء لاختلافه فقيل: أمرت غلامي، وسألت الأمير، ودعوت الله وسألته أيضًا جائز[7]»، وهذا ينطبق على الإعراب في الآيات التالية: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]

وقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]

(٧) الموفقي في النحو، لابن كيسان، في مجلة المورد ببغداد، مج ٤، ع٢، ١٩٧٥م، ص: ١٠٩، ١١٠.

سادسًا: مصطلح (لا الدعائية)

تعددت مصطلحات النحاة في (لا) الدعائية بحسب دلالتها، فقد تدل على النهي أو النفي، فقد جاء في شرح الكافية: «إن قولك (لا تؤاخذني) في نحو: (اللهم لا تؤاخذني فيما فعلت) نهي في اصطلاح النحاة، وإن كان دعاء في الحقيقة[8]» ، وورد في مشكل إعراب القرآن في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا﴾ ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ لفظه كله لفظ النهي، ومعناه الطلب وهو مجزوم[9] ، وقال ابن هشام في شرح قطر الندى (٨٤): «الجازم الخامس: (لا) الطلبية وهي الدالة على النهي، نحو: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣] أو الدعاء نحو: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾».

فتعدُّد المصطلح يعود للمقام الذي يتبوَّؤه المخاطَب لدى المتحدِّث، ومراعاةِ آدابِ الحديثِ، ومكانةِ المتحدَّث إليه؛ فليس مِنْ حُسن الخُلق إطلاق مصطلح النهي على الطلب ممن هو أعلى رتبة ومقامًا.

سابعًا: مصطلح (لام الدعاء)

والمراد به لام الأمر، نحو: (ربِّ لتغفرَ لي)، ونحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

ثامنًا: مصطلح (باء السببية)

قد عدلوا عن مصطلح **(باء الاستعانة)** إلى مصطلح **(باء السببية)** قال المرادي (ت: ٧٤٩هـ) في «الجنى الداني»: «والنحويون يُعَبِّرون عن هذه الباء بباء الاستعانة، وآثرت على ذلك التعبير بالسببية؛ من أَجْلِ الأفعال المنسوبة إليه تعالى، **فإن استعمال السببية فيها يجوز واستعمال الاستعانة فيها لا يجوز[10]**» .

تاسعًا: مصطلح (الحمل على المعنى)

قد عدلوا عن مصطلح **(الحمل على التوهم)** في إعراب آيات القرآن الكريم إلى مصطلح **(الحمل على المعنى)، من باب التأدب مع القرآن الكريم[11]**.

والحمل على التوهم هو تفسير تخيلي يضطر إليه النحاة والصرفيون؛ وذلك عن طريق الاستعانة بالمعنى في محاولة للتوفيق وتحقيق الانسجام بين ما قد يظن من خطأ في إعراب ألفاظ بعض التراكيب العربية الفصيحة؛ والتي لا ريب في صحتها، وبين القواعد النحوية والصرفية، ومحاولة تفسير مجيئها على هذا النظم.

عاشرًا: مصطلح (الفاصلة)

يرى النحاة اختلافًا بين الفاصلة والسجع، فالسجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، والفواصل على عكس ذلك؛ إذ تأتي تابعة للمعاني ولا تكون مقصودةً في نفسها.

وأصل السجع من سجع الطير فشُرِّف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر؛ ولذلك عدلوا عن مصطلح **(السجع)** إلى **(الفاصلة القرآنية)**، والسجع مما ألفه كهان العرب، ونفيه من القرآن أولى من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تخالف النبوات ففي [سورة الحاقة: ٤٢] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾. أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم من صفات الله –عز وجل– ولا يجوز وصفه بصفة لم ترد حتى وإن صح المعنى.

(٨) شرح الكافية، ج ٢، ص: ٢٦٧.
(٩) مشكل إعراب القرآن ج١، ص: ١٤٧.

(١٠) الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص: ٣٩.
(١١) انظر: همع الهوامع، للسيوطي، ج٣، ص ١٩٧.

حادي عشر: مصطلح (أم المتصلة)

عدل السهيلي (ت: ٥٨١هـ) عن استعمال مصطلح **(أم المنقطعة)** إلى مصطلح **(أم المتصلة)**، ورأى أنها منافية للفصاحة وقال: إنها لا تقع في القرآن وحولها إلى (أم المتصلة) بتقدير معطوف عليه محذوف ، وقد أعجب بهذا الرأي أيما إعجاب ابن القيم (٧٥١هـ) فأطال الحديث عنها في كتابه بدائع الفوائد (١: ٣٥٦–٣٦٠).

ثاني عشر: مصطلح (التحقيق)

قد عدل النحاة عن مصطلح **(عسى للترجي)** إلى مصطلح **(عسى للتحقيق)**، فكما قال الطبري: «**وعسى من الله حق**»، وقال القرطبي في تفسيره (٣: ٣٩) **(عسى) من الله واجبة في جميع القرآن إلا قوله تعالى:** ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ [التحريم: ٥] ، وقال أبو عبيدة: عسى من الله إيجاب، وقد اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب؛ لأنه لفظ يفيد الإطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً والله تعالى أكرم من أن يُطمِع واحدًا في شيء ثم لا يعطيه[١٢] .

ثالث عشر: مصطلح (الصلة أو التوكيد)

قد عدلوا عن مصطلح **(الزائد)** في القرآن الكريم إلى مصطلح **(الصلة)** أو **(التوكيد)**، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فيقولون: الكافُ صلةٌ، أو حرف توكيدٍ. قال ابن هشام: «وينبغي أن يجتنب المُعْرِبُ أن يقول في حرفٍ في كتاب الله تعالى: إنه زائدٌ؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أنَّ الزائدَ هو الذي لا معنى له، وكلامُه سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك[١٣]» .

رابع عشر: مصطلح (سيف خطيب)

قد عدلوا عن مصطلح **(الزائد)** إلى مصطلح **(سيف خطيب)**، وقد تفرَّد بهذا الاستعمال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ): **للتعبير عن الزيادة في القرآن الكريم؛ تلطفًا باللفظ، ومراعاةً للأدب مع القرآن الكريم**، في تسعة وعشرين موضعًا في تفسيره، وثلاثة مواضع في حاشية الألوسي على قطر الندى. مثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

قال الألوسي: «و(من) الثانية سيف خطيب، و(شيء) في موضع رفع على الابتداء...[١٤]» .

خامس عشر: ترك بعض المصطلحات

ترك النحويون مصطلحاتٍ أو اشتقاقات لا تليق في جناب لفظ الجلالة، كتصغيره أو ترخيمه أو تثنيته أو جمعه، بإجماع النحويين، وتركوا مصطلح **(على للاستعلاء)** في مثل **(على)** في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [(الشعراء: ١٠٩]
و﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقد خصص الآثاري (ت: ٨٢٨هـ) فصلاً من آخر ألفيته كفاية الغلام (١٣٠ – ١٣١) عقده باسم: «خاتمة الفصول»، تحدث فيه عن مسائل وضوابط في إعراب الأدب مع الله تعالى، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خاتمةُ الفصول إعرابُ الأدَبْ
معَ الإلـه وَهْـوَ بَعْـضُ ما وَجَبْ
فالرَّبُّ مَسؤُولٌ بأفعالِ الطَلَبْ
كاغفِرْ لَنا والعبدُ بالأمرِ انتَدَبْ
وفي سألتَ اللّه في التعليـم
تقولُ: مَنصُوبٌ على التَّعظِيـمِ
باللّهِ طَالِـبٌ ومُطلُوبٌ عِلْـمْ
قدْ يَعلَمُ اللّه بمعنَى قدْ عَلِمْ
ونحوُ « كانَ اللّه » معناهُ الدَّوامْ
ونحوُ ما أكرَمَـهُ فيهِ الكَلامْ
وامنعْ مِنَ التَّصغيرِ ثُمَّ التَّثنِيَه
والجمْعِ والتَّرخِيمِ خيرَ التَّسمِيَهْ
ولا تقُلْ يا هُـو والاستعانَهْ
بالبا لَنا واخصُصهُ بالأَمانَهْ
وهَلْ مِنَ اللّهِ سُؤالُ العالمِ
أو ما وهمزٌ في خِطَابِ الآدَمِي
وعبدُهُ هوَ الذي يَستَفهِمُ
لأنَّهُ مِنْ يَومِهِ لا يَعلَمُ
فقِسْ على هذا ووَقِّعْ بلَعَلّ
منهُ وحَقِّقْ بِعَسى تعطَ الأَمَلْ
ولا تَقُلْ على للاستعلاءِ مَعْ
رَبٍّ وحيٍّ إذ مَعَ اللّهِ امتَنَعْ
لكنْ بمِنْ قَدِّرْ أو الإسنادِ أوْ
إضافةٍ فبالثلاثِ قدْ رَأوا
ولا تَقُلْ: « لاهٍ أبوك » والغَرَضْ
للّهِ، قبلَ الدينِ هذا قَدْ عَرَضْ
وحيثُما قيلَ: الكتابُ، انهضْ إليهْ
كتابُ ربي لا كِتابُ سِيبَوَيْهْ
لأنَّهُ بكلِّ شيءٍ شَاهِدُ
ولا تَقُلْ: ذا الحرفُ منهُ زائِدُ
بلْ هُوَ تَوكِيدٌ لمعنًى أو صِلَهْ
للَّفظِ في آياتِهِ المفَصَّلَهْ
وغالِبُ النُّحاةِ عن ذا البابِ
في غَفلَةٍ فانْحُ على الصَّوابِ
وهكذا مَعَ الرسولِ المصطفى
وحسبُنا اللّهُ تعالى وكفى

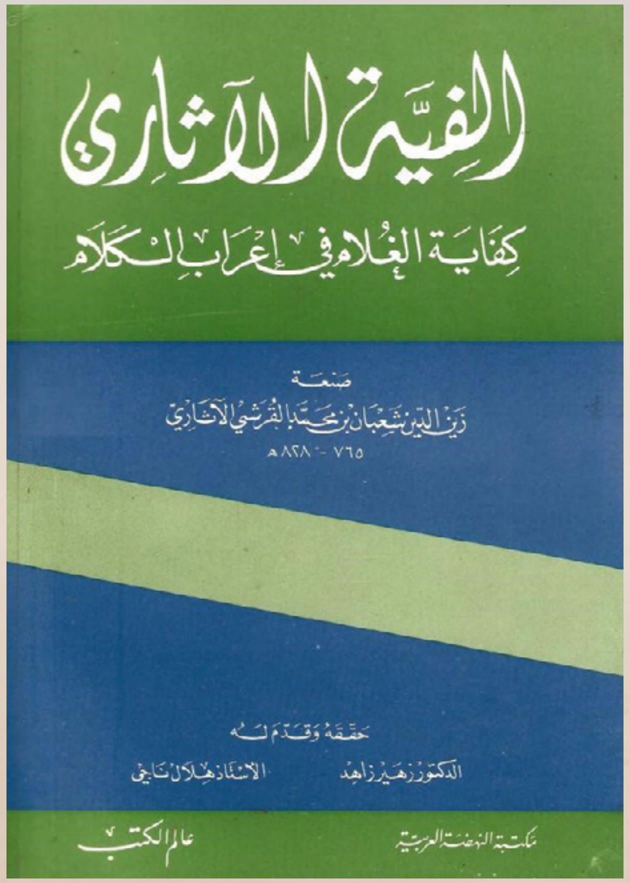

---

(١٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م، ج١٢، ص: ٣٦٣.

(١٣) الإعراب عن قواعد الإعراب: ١٠٦.

(١٤) انظر: مصطلحات الزيادة ودلالاتها عند الألوسي: ٣٦٩٧– ٣٧١٨.

أ.د. مــاهــر أحـمــد
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الشارقة

موقف الإسلام من الشعر

أو شكوت جهالة قومي... والجهل داء عياء

كان للشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام مكانة في نفوس العرب آنذاك؛ إذ كان يعد سجلًا حافلا بأنسابهم وأيامهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومصورًا لحضارتهم وأمجادهم، ولهذا قال عنه الخليفة عمر بن الخطاب إنه ديوان العرب، كما كان للشاعر في قبيلته منزلة كبيرة، ويحظى باهتمام كبير من زعيم القبيلة وأبنائها، فهو الذي يفخر بأمجادهم، كما يبدو مثلاً في قول عُمْرو بن كلثوم (ت: ٤٠ ق.هـ):

إذا بَـلَـغَ الفِـطَـامَ لَـنَا صَبيٌّ
تَـخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

وبمجيء الإسلام تغيرت كثير من المفاهيم والقيم والعادات والتقاليد بما يتوافق وتعاليم الدين الجديد، ومن الأمور المهمة التي كان للإسلام منها موقف خاص ومفصل الشعر لِولَع العرب به، وعدم التخلي عنه بعد مجيء الإسلام، وقد صوّر ذلك الرسول الكريم ﷺ عندما قال: «**لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين**»، دلالة منه عليه السلام على منزلة الشعر عند العرب.

وانطلاقاً من هذه الأهمية للشعر، فإن الإسلام لم يحرمه قطعياً، ومن قال بذلك فقد فهم ما جاء في القرآن بخصوص ذلك فهماً خطأً، فالآية الكريمة التي وردت في سورة الشعراء: ونصُّها قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾. **الآية الكريمة لم تحرم الشعر على عموميته، بدليل وجود الاستثناء الصريح في الآية**، بمعنى أن الآية الكريمة لا تقبل الشعر الذي يخالف مبادئ الإسلام وقيمه، فالشعر الذي يدعو إلى العصبية القبلية والرذيلة والفحش والظلم والفتنة والمجون، هذا شعر مرفوض غير مقبول في الإسلام، وهذا الخطاب في الآية الكريمة أصبح النهج الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعد، فالرسول الكريم عليه السلام لم يعارض قول الشعر الملتزم بتعاليم الإسلام، والمدافع عن الإسلام والمسلمين، ورفض ذلك الشعر الذي يدعو إلى الكفر والضلالة والعصبية والفتنة، وكان الرسول الكريم أمر شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه بأن يهجو كفار قريش وشعراءهم الذين كانوا يهجون الإسلام بقوله: «**اهجهم وروح القدس معك**».

وسار خلفاء الرسول عليه السلام على منهجه وموقفه من الشعر، ونقف عند الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه الذي عُرف عنه أنه كان ذواقة للشعر، بصيراً بمعانيه، وقد كان معجبًا بزهير بن أبي سلمى الذي كان يلقب بشاعر الحكمة. وقد قال في بيت له:

فَـإِنَّ الْحَـقَّ مِقْطَعُهُ ثَـلَاثٌ
يَـمِـيْنٌ أَوْ نِـفَــارٌ أَوْ جِـلَاءُ

فقال عمر رضي الله عنه: «**لو أدرك زهير الإسلام لوليته القضاء**».

وقد علق على شعر زهير بطريقة نقدية عندما وصفه بالصدق وعدم المعاظلة في الكلام ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، وهذا نقد إيجابي لشعر زهير يدل على فهم واعٍ لألفاظ الشعر ومعانيه.

ومما سبق يتبين موقف الإسلام الواضح من الشعر، وهو موقف يدل على احترام الإسلام لهذا الفن، وهناك مسألة ينبغي ألّا نتجاوزها ونحن نذكر موقف الإسلام من الشعر، وهي ما ردده بعض الدارسين من أن الإسلام قد أضعف الشعر، وهؤلاء الذين ينادون بذلك تناسوا أثر القرآن الكريم لفظًا ومعنىً في الشعر، وأثر حديث النبي ﷺ في الشعر –أيضًا–، وقد استند هؤلاء في حكمهم على قول الأصمعي: «**إن الشعر نكدٌ يقوى في الشر ويضعف في الخير**»، وما روي عن شاعر النبي ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه عندما سُئل عن شعره أنه لانَ وهرِم في الإسلام، فقال: «**إن الإسلام يحجِز عن الكذب، والشعر يُزينه الكذب**»، وسنشير هنا إلى نموذجين شعريين مهمين نستدل منهما على قوة الشعر وتفوقه في الإسلام.

النموذج الأول: لحسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ والمتمثل في همزيته التي قال فيها:

دِيارٌ مِن بَني الحَسحاسِ قَفرٌ
تُعَفّيها الرَوامِسُ وَالسَماءُ
وَكانَت لا يَزالُ بِها أَنيسٌ
خِلالَ مُروجِها نَعَمٌ وَشاءُ
فَدَع هَذا وَلَكِن مَن لَطيفٌ
يُؤَرِّقُني إِذا ذَهَبَ العِشاءُ

فعندما ننظر في هذا النص نظن أننا أمام نص قد نُظم في الجاهلية، وفيه دليل على قوة الشعر في ا لاسلام .

والنموذج الآخر: قصيدة (بانت سعاد) المشهورة التي نظّمها كعب بن زهير عندما جاء تائبًا إلى النبي ﷺ، وسار فيها على نهج القصيدة الجاهلية من حيث البناء الفني، فبدأها بالحديث عن المرأة (سعاد) وهي رمز للسعادة المتمثلة في الشفاعة التي كان يرجوها كعب من الرسول الكريم عليه السلام ونيل عفوه، واصفًا سعاد (الرمز) بصفات معنوية وأخرى مادية، جاء فيها قوله:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ
مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا
إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

ثم جاء إلى وصف الرحلة والناقة ومن ذلك قوله:

أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها
إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ
وَلَن يُبَلِّغَها إِلّا عُذافِرَةٌ
فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ

ومهما يكن من أمر فإن الإسلام كما رأينا لم يضعف الشعر من حيث بناؤه الفني ومعانيه وألفاظه، والذي حصل هو أن الأغراض الشعرية قلّت نوعًا ما، وذلك لانشغال المسلمين بالفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة.

من جهود علماء ليبيا
في خدمة اللغة العربيَّة

توطئة:

تزخر مكتبتنا العربيَّة بعدد غير قليل من المصنَّفات النحويَّة؛ فالتأليف في هذا العلم بدأ في وقت مبكِّر، وتنوَّعت تلك المؤلَّفات نثرًا ونظمًا، إسهابًا وإيجازًا، صعوبة وسهولة، وكُتب القبول والانتشار لعدد منها، بينما ظلَّ أكثرها حبيسَ مكتبات العلماء والمختصِّين.

ومن أشهر مختصرات النحو، وأكثرها قَبولًا: المقدِّمةُ (الآجرُّوميَّة) لمحمَّد بن آجرُّوم الصُّنهاجيِّ (ت٧٢٣هـ)، ومازال العلماء منذ القرن الثامن الهجريِّ يشرحون هذه المقدِّمة، ويتمِّمون أبوابها، وينظمونها، ويعربونها، ويترجمونها، وكان من بين أولئك العلماء الشيخ محمَّدُ بنُ أحمدَ العكَّاريُّ الطرابلسيُّ (ت١٣١٣هـ)، حيث نظم هذه المقدِّمة، ثمَّ شرح نظمه شرحًا لا هو بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ، وأسماه: (التحفة السَّنيَّة على النظم المحاذي للآجرُّوميَّة)، وقد ظلَّت النسخة اليتيمة لهذا الشرح رهينة محبسها بدار الكتب المصريَّة إلى أن وفقني الله -تعالى- إلى تحقيقها ونشرها عام ٢٠١٦م.

د. أحمد محمَّد جاد الله
أستاذ اللغة العربيَّة المشارك
بجامعة عمر المختار

محمَّد العكَّاريُّ:

هو: العالم الفاضل، العارف بالله -تعالى- محمَّدُ بْنُ أحمدَ العكَّاريُّ، والعكَّاريُّ نسبة إلى قبيلة (عكَّارة) التي يتركَّز وجودها في غرب ليبيا، وبالتحديد في طرابلس وما حولها من مناطق كالسواني وبن غشِّير، وقد هاجرت فروع منها إلى تونس، واستقرَّت في جرجيس وما جاورها. وُلد سنة (١٢٤٠هـ)، بمنطقة الهنْشير، بساحل طرابلس ليبيا، **ونشأ يتيمًا، وكفلته جدَّته لأمِّه**. حفظ القرآن العظيم بقراءة نافع المدنيِّ وجوَّده، ثمَّ شرع في تلقِّي العلوم الشرعيَّة؛ فأخذ عن ثلَّة من علماء طرابلس، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد النعَّاس التاجوريُّ، والعلَّامة محمَّد المسعوديُّ بْنُ محمَّد التواتيِّ الصيد (ت١٢٨٨هـ). وأخذ عنه عددٌ كبير، خصوصًا من طلبة الزاوية القادريَّة، ومن أشهرهم: محمَّد الأمين بن إبراهيم بن عبد النور (ت١٣٤١هـ)، وأحمد بن محمَّد بن حمادي (ت١٣٦٧هـ)، ومحمَّد عليِّ بن محمَّد الشريف زغوان (ت ١٣٩٢هـ).

من بين مؤلَّفاته المطبوعة: (الجواهر الثمينة في شرح الياقوتة الفريدة في السِّتَّة والستِّين عقيدة)، طُبع في دار الكتاب العربيِّ بمصر سنة ١٩٥٧م. ومن مصنَّفاته المخطوطة: (حِلية الحُجَّاج، والقاصدين صاحبَ المعراج)، و(دُرر الفرائض الإرثيَّة)، وهو مختصر للمنظومة الرحبيَّة. ظلَّ يعلِّم القرآن والعلم، مع بشاشة وطلاقة وجه، وزهد وورع، وتمسُّك بالقرآن والسنَّة، إلى أن لقي وجه ربِّه يوم الأربعاء ٤ جمادى الأولى سنة ١٣١٣ هـ/الموافق ٢٣ أكتوبر ١٨٩٥م، ودُفن بمقبرة الهنشير بطرابلس.

(الجواهر السنيَّة).. نظرة في المنهج:

ابتدأ المؤلِّف ﵀ تعالى بمقدِّمة ذكر فيها اسم الكتاب، وسبب تأليفه، ثمَّ شرع في شرح النظم بأسلوب واضح وألفاظ سهلة، تكاد تكون خالية من الإبهام والغموض، سائرًا على طريقة موحَّدة، وهي إيراد الأبيات وذكر عدد ما تحتويه من مسائل، وحرص ﵀ على الاختصار غير المخلِّ، وذلك موافق لمقتضى حال الطلَّاب المبتدئين؛ فمثلًا إذا ذكر مسألة في غير مبحثها أجَّل تحريرها وتفصيل الكلام عليها. كما حرص على اجتناب الإعادة والتَّكرار.

ومن مميِّزات أسلوبه اختزالُه المعانيَ الكثيرة في الألفاظ القليلة؛ كقوله عن أدوات الشرط: «لم يعيِّن ما هو منها حرف بالاتِّفاق، وهي السبعة الأُوَل، أو على الأصحِّ وهو: (إذما)، أو اسم على الأصحِّ وهو (مهما)، أو اتِّفاقًا وهو الباقي».

ومن مميِّزات هذا الشرح أنَّه يتوقَّع الأسئلة التي قد تقفز إلى ذهن الطالب أو تعترض القارئ، ثمَّ يجيب عنها؛ كقوله: «فقدَّم الفتحة لأنَّها علامة للنصب بطريق الأصالة، وثنَّى بالألف لأنَّها ناشئة عنها، فهي كبِنْتها، وثلَّث بالكسرة لأنَّها أخت الفتحة في التحرُّك، وأتى بالياء عقِب الكسرة لأنَّها ناشئة عنها، وأخَّر حذف النون لأنَّه إعراب الأفعال، وهي بعد الأسماء»، وقوله: «قسم يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وهو: كان، وكاد، وما الحجازيَّةُ، وأخواتُها. وإليه أشار الناظم، مقدِّمًا له على القسمين الأخيرين؛ لبقاء أشرف الجزأين –وهو المبتدأ– معه على صورته»، وتعليله تقديم ذكر المفعول به على باقي المنصوبات بأنَّه «أحوجها إلى الإعراب» ، وتقديمِ ذكر النعت على باقي التوابع «لتقدُّمه عليها عند اجتماعها» .

موقفه من الآجرُّوميَّة (الأصل) :

كثيرًا ما كان المصنِّف يوافق ابن آجرُّوم (ت ٧٢٣هـ)، وينصُّ على ذلك؛ كقوله: «إنَّما قدَّم الناظم –تبعًا لأصله، كجماعةٍ– تعريفَ الكلام على الكلمة (الاسم والفعل والحرف)، وإن كانت جُزأه المقدَّمَ طبعًا فحقُّها أن تُقدَّم وضعًا؛ لأنَّهم رأوا أنَّ الكلام هو المقصود بالذات، إذ هو مدار الفائدة المبتغاة في اصطلاح التخاطب»، وقوله: «ولم يذكر الناظم –كأصله– علامة للأمر، إمَّا بناء على مذهب الكوفيِّين من أنَّه مُقتطع من المضارع، عكس ما يأتي لهما في باب الأفعال؛ فهو على مذهب البصريِّين. وإمَّا لصعوبتها على المبتدئ؛ لتركُّبها من معقول، وهو دلالة صيغته على الطلب، ومحسوسٍ، وهو قبول آخرِه مسمًّى ياءِ المخاطبة أو إحدى نوني التوكيد».

وقليلًا ما كان المصنِّف يخالف ترتيب فصول الأصل ومسائله، وممَّا نصَّ فيه على ذلك قوله: «لم يُتابِع الناظم أصله في الإتيان بفصل يحصِّل فيه ما مرَّ؛ للاختصار، ولفهمه ممَّا تقدَّم». ولم يخالف ترتيب أصله إلَّا يسيرًا؛ فقد أخَّر ذكر حروف الجرِّ إلى آخر مبحث، وهو المخفوضات، بينما أوردها ابن آجرُّوم في أوَّل كتابه مع (علامات الاسم)، وفي آخره في (باب مخفوضات الأسماء)، وعلَّل العكَّاريُّ صنيعه بأنَّه: «حذف حروف الخفض من أوَّل النظم استغناءً عنها بما في آخره». وأتى ابن آجرُّوم بنواصب الفعل المضارع قبل جوازمه، بينما قدَّم العكَّاريُّ جوازم المضارع على نواصبه، معلِّلًا ذلك بقوله: «وقدَّمها على نواصبه لعملها الخاصِّ بمعمولها». وذكر التوابع بعد الانتهاء من مباحث المرفوعات والمنصوبات والمخفوضات، لا بعد المرفوعات كما في الآجرُّوميَّة؛ قائلًا:

«فَارْفَعْ مِنَ الأَسْمَاءِ سَبْعًا تُذْكَرُ
مِنْهَا التَّوَابِعُ الَّتِي تُؤَخَّرُ»

معلِّلًا تأخيرها بقوله: «ولمَّا فرغ الناظم ممَّا يُرفع ويُنصب ويُخفض ويُجزم من الأسماء والأفعال استقلالًا، وكان التابع لهما فيما ذُكر يُعطى حكمَه، وهو مؤخَّر طبعًا؛ شرع في أحكامه مؤخِّرًا لها وضعًا».

زياداته على الآجرُّوميَّة:

لم يكتفِ المصنِّف ﵀ بما ورد في الآجرُّوميَّة من أبواب، بل أضاف بعض المباحث التي لا يسع طالبَ علم النحو الجهلُ بها؛ من ذلك قوله: «أدوات هذا القِسْم بأنواعه الثلاثة: ترفع المبتدأ تشبيهًا له بالفاعل، ويُسمَّى اسمَها، وتنصب الخبر تشبيهًا له بالمفعول، ويُسمَّى خبرَها. فنوعه الأوَّل: كان وأخواتها، والثاني: كاد وأخواتها، والثالث: (ما) الحجازيّةُ وأخواتُها»؛ فأضاف إلى مباحث الآجرُّوميَّة مبحثين مهمَّين، هما: (كاد) وأخواتها، و(ما) وأخواتها.

مذهبه النحويُّ:

يمكن تحديد اتِّجاهات متأخِّري النحاة من خلال دراسة مواقفهم إزاء آراء المدرستين البصريَّة والكوفيَّة، واستقراء مصطلحاتهم النحويَّة، ومن خلال الاستقراء تبيّن أنَّ العكَّاريَّ –رحمه الله– كان ذا نزعة بصريَّة، تدلُّ على ذلك اختياراته ومصطلحاته؛ فقد حذا حذو البصريِّين في أنَّ (إنَّ وأخواتها) تعمل في كلٍّ من المبتدأ والخبر؛ حيث قال: «أحرف هذا القسم الثاني تنصب المبتدأ، ويُسمَّى اسمَها، وترفع الخبر، ويُسمَّى خبرَها». وأخذ برأيهم في كون الأفعال ثلاثة، وذلك حينما قال: «وجمَعَه هنا لكون أنواعه ثلاثة عند جمهور البصريِّين، وأمَّا عند الأخفش والكوفيِّين فنوعان؛ بإسقاط الأمر بناء على أنَّه مقتطع من المضارع». ورجَّح رأيهم القائل بأنَّ فعل الأمر مبنيٌّ، وذلك ظاهر في قوله: «وحكم كلِّ فرد من أفراده البناء على الأرجح، كما هو الأصل في الأفعال». واختار مذهبهم في التفريق بين نواصب المضارع، ويظهر ذلك من قوله: «الأصحُّ مذهب البصريِّين، من أنَّ منها ما ينصب في الجملة المضارع بنفسه، ومنها ما يُنصب المضارع بعده ب (أنْ) مضمرة جوازًا، أو وجوبًا، وهو باقيها».

وتابع جمهورهم في أنَّ أداة الشرط هي التي تعمل الجزمَ في كلٍّ من فعل الشرط وجزائه؛ يدلُّ على ذلك قوله: «ومنها: ثلاث عشرة أداة تجزم غالبًا بالأصالة مضارعين لفظًا، أو ماضيين محلًّا، أو متخالفين». كما سلك مسلكهم القاضي بانتصاب المفعول معه بالفعل الذي قبله بواسطة الواو؛ وذلك بقوله: «يُنصَب على أنَّه مفعول معه بما سبقه من الفعل أو شبهه، على الصحيح». وأخذ برأيهم في كون المنادى المفرد المعرفة مبنيًّا على الضمِّ، وذلك حين قال: «يعني: أنَّ المنادى إذا كان مفردًا معرفة فإنَّه يُبنى لفظًا أو تقديرًا، أو نيَّة على ما يرفع به». واختار ما عُزي إلى سيبويه من أنَّ المعرَّف بالإضافة في مرتبة ما أضيف إليه إلَّا المضاف إلى الضمير فإنَّه دونه؛ في رتبة العلم؛ لئلَّا يُنقض القول بأنَّ المضمر أعرف المعارف؛ وذلك بقوله: «وأمَّا المضاف إلى واحد من مجموعها فهو في التعريف بمنزلة ما أُضيف إليه، كما هو ظاهر إطلاقه إيَّاه، وقيل: إلَّا المضاف إلى الضمير، فبمنزلة العَلَم، وهو الصحيح».

ولم يختر رأي الكوفيِّين إلَّا في مسألة واحدة؛ حيث قال: «والعامل في المنصوب على الاستثناء (إلَّا)، على الصحيح».

مصطلحه:

وبتتبُّع مصطلحاته نجد أنَّه يؤثر استعمال مصطلح البصريِّين؛ كالضمير الذي اصطُلح عليه بالكناية أو المكنيِّ عند الكوفيِّين. والمنصرف وغير المنصرف: اللذين يسمِّيهما الكوفيُّون ما يجري وما لا يجري. ونائب الفاعل: الذي سمَّاه الكوفيُّون المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، وعلَّل العكَّاريُّ اختياره قائلًا: «عبّر بـ: (النائب) ليشمل كلَّ ما يقبل النيابة عنه من مفعول به إن وُجد، أو مصدر أو ظرف مكان أو زمان أو مجرور إن لم يوجد المفعول به». والمفعول من أجله: الذي أطلق عليه الكوفيُّون شبه المفعول. والظرف: الذي يسمِّيه الكوفيُّون الصفة أو المحلَّ. والحال: الذي يُعرف عند الكوفيِّين بالقطع. والتمييز وهو ما يسمِّيه الكوفيُّون تفسيرًا. ولا النافية للجنس: التي سمَّاها الكوفيُّون لا التبرئة. والبدل: الذي يطلق عليه الكوفيُّون الترجمة. واسم الفاعل: الذي يسمِّيه الكوفيُّون الفعل الدائم. والنفي: الذي اصطلح عليه الكوفيُّون بالجَحْد.

ولم يستعمل من مصطلح الكوفيِّين إلَّا الخفض: الذي اصطلح عليه البصريُّون بالجرِّ. والنعت: الذي سمَّاه البصريُّون الصفة. والنسَق: الذي سمَّاه البصريُّون العطف بالحروف.

شواهده:

استقى العكَّاريُّ –وقد انقطعت سبل السماع من الفصحاء– شواهده من (اللغة المدوَّنة) المتمثِّلة في القرآن الكريم بقراءاته، والحديث النبويِّ، والأقوال، والأشعار، والأرجاز. فلم يكن يميل إلى التمثيل بجمل مصنوعة، وإنَّما كان –كعادة القدماء– يستدعي شواهده أوَّلًا من صفحات الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والقارئ لهذا الشرح يجد أنَّ القرآن الكريم هو المورد الأساس الذي استقى منه العكَّاريُّ شواهده وكرع من حياضه؛ حيث بلغ عدد الشواهد القرآنيَّة خمسةً وتسعين شاهدًا، وهو رقم كبير بالنسبة لشرح مختصر كهذا.

كما أكثر العكَّاريُّ من الاستشهاد بالشعر والرجز؛ حيث استشهد من ذلك بما يقرب من أربعين شاهدًا، لشعراءِ ما قبل الإسلام وما بعده؛ كامرئ القيس، ولبيد، والأعشى، وأبي الأسود، وتأبَّط شرًّا، والكميت، وجميل بثينة، وغيرهم.

ولم يستدلَّ من الحديث النبويِّ إلَّا بحديثين شريفين في مسألتين نحويَّتين، وهما قوله ﷺ: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**»(متفقٌ عَلَيْهِ)، وقوله: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ**» (متفقٌ عَلَيْهِ). وكان للأقوال المأثورة نصيب من شواهد العكَّاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد استشهد بأربعة أقوال، وهي: (ابْدَأْ بِذَا مِنْ أَوَّلِ) ، و(لاَ أَبَا حَسَنٍ لَهَا) ، و(مَتَى كُمِّهِ)، وقولهم: (نَحْنُ الْعَرَبَ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ) .

وختامًا:

يُعدُّ الشيخ محمَّدُ بْنُ أحمدَ العكَّاريُّ الطرابلسيُّ من علماء ليبيا المبرَّزين في اللغة، إضافة إلى العلوم الشرعيَّة كالفقه والتوحيد، وهو شخصيَّة ليبيَّة خالصة؛ ففي ليبيا مولده ومنشؤه وتلقِّيه للعلوم وتعليمه ووفاته، ومن ليبيا مشايخه، وفيها تلاميذه وورثة علمه. وقد أضاف بكتابه (الجواهر السَّنيَّة على النظم المحاذي للآجرُّوميَّة) لبنة صالحة إلى صرح العربيَّة.

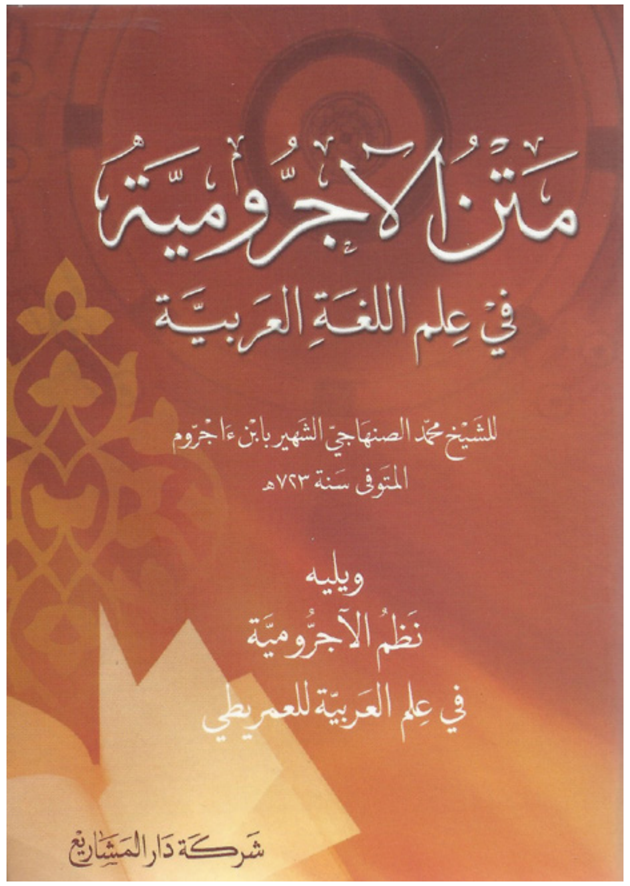

شعر المعجم التاريخي للغة العربية

قالها بلسانه ورقمها ببنانه

الشاعر: هشام بن مصطفى بن محمد الدقاق

يا معجما سعدت بك الأيام	وتزينت لقدومك الأعلام
والبشريات تحققت من بعدما	طافت بسوح نفوسنا الأحلام
والضاد ترتع في ربى كلماتها	ولها بيان ساحر ومقام
يا روعة الألفاظ في أطوارها	تجلو غوامض لفها الإبهام
أرخت للكلم الحسان فكنت خير	مؤرخ لا يعتريه سآم
ولكل عصر شاهد متمثل	في طيه الإحكام والأحكام
ما أنس لا أنس النقوش فإنها	كشافة المخبوء حين ترام
الذكر والشعر الرصين كلاهما	عضد لكل رواية ودعام
لم يحظ غيرك بالذي قد حزته	يكفيك هذا الفخر والإعظام
وإذا المعاجم قد عددت صنوفها	فلأنت شمس تجتلى وإمام
علم الإثالة فيك أغلى حلية	خرزاتها قد زانهن نظام
حوسبت شاردة العلوم بدقة	يعنو لها القرطاس والأقلام
نعم الذخيرة والمدونة التي	بفصولها تتفاخر الأقوام
وَالفضل لله الكريم فإنه	منه العطاء الجزل والإنعام
قد يسر الأمر الذي اضطلعت به	همم المجامع والحماة قيام
فاستل سيف العزم سلطان الندى	والحاكم الميمون والمقدام
وأقام في أرض القواسم مجمع العـ	ربية الفصحى خلاه الذَّامُ
وأشار أن هبوا لصنعة معجم	يا حبذا الإنجاز والإتمام
والقائمون عليه قد سمعوا الندا	ء وفي القلوب صبابة وهيام
فتسابقوا زمرا وكل مناهمُ	تحرير قاموس وهم أعلام
يا شمس شارقة العلوم توهجي	وَعلى سناك تحية وسلام

متصاحبات لفظية أم متلازمات المتعلقات والمصطلح والمفهوم؟

د. محمد شندول
أستاذ علوم اللغة العربية واللسانيات المعجمية بالمعهد العالي للغات

يجد الدارس اللغوي اليوم نفسه حائرا أمام مصطلحين جاريين في الدراسات اللسانية الحديثة، لا يَعرِف على وجه الدقة المقصود منهما وهل هما مترادفان أم مختلفان؟ هذان المصطلحان هما: مصطلح «متصاحبات لفظية» ومصطلح «متلازمات لفظية»، فيهما تنضوي المركبات اللفظية بأنواعها، وتحتهما يندرج ما يتعلق بتلك المركبات من مصطلحات . فما وجه الصلة بينهما؟

الحقيقة أنّ هذين المصطلحين هما وليدا البحث عن المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي «collocations» الذي أطلق خلال خمسينات القرن العشرين عالم اللسانيات البريطاني جون روبرت فيرث ١٩٦٠. فقد قوبل هذا المصطلح في العربية بعدة مصطلحات، منها: المصاحبة اللفظية، والمتضامات، والتجمعات، والمتجاورات، والمتواردات، والمقترنات، وغير ذلك. لكنّ ما تواتر من هذه المصطلحات جميعا، المصطلحان «المتصاحبات اللفظية» و«المتلازمات». على أنّ المصطلح الأول، أي «المتصاحبات اللفظية» هو أكثر المصطلحات العربية تواترا عند أصحاب الدراسات اللغوية الحديثة للتعبير عن المصطلح الأجنبي «collocations» حسب ما تقصاه بعض الدراسين اليوم .

والتعريفات التي قدمت إلى المتصاحبات/ المتلازمات اللفظية تختلف لفظا لكنها تتفق معنى، وهي من ثمة واحدة في عمومها. ومن هذه التعريفات أنّ المتلازمات اللفظية هي « تكرار معتاد لمجموعات من الكلمات المفردة، يأتي تكرارها من خلال شيوع الاستخدام بحيث تميل لتشكيل وحدة مميزة» . ومنها –أيضا– «أنها سلسلة من الكلمات أو المصطلحات التي تظهر في كثير من الأحيان أكثر من المتوقع» .

على أنّ المقصود من المصطلحين على وجه الدقة نجده عند من أَوْلى هذه الظاهرة عناية دقيقة مثل حسن غزالة الذي خصّها بقاموس هو «قاموس المتلازمات اللفظية». **فهو يرى أنّ المتلازمات اللفظية «هي عبارات من كلمتين أو أكثر تَتَوارَدُ مع بعضها وتَتَلازَمُ»**. والملاحظ في عبارة «تتوارد» التي عمد إليها غزالة في هذا التعريف، أنها لا تعني المأثور من الكلام كالحِكَم، ولا المُرسَل كالأمثال السائرة، ولا الاستعارات التي تتخذ للكناية والتعريض. فالمتوارد عنده ليس هو المأثور ولا هو المرسل، ولا هو التعريض. ولذلك، نراه يستثني من المتلازمات اللفظية، بمفهومها الاصطلاحي الذي رآه، الحِكَمَ والأمثالَ وما اتخذ من الكلام للتعريض، ونجده يميز بين هذه الأنواع من التجمعات اللفظية في حديثه عن فحوى قاموسه قائلا: «يشمل (القاموس) التعابير الاصطلاحية، والأقوال المأثورة، والأمثال، والاستعارات». وإلى مثل هذا التمييز ذهب محمد حلمي هليل في بحث نظري له عنوانه «الأسس النظرية لوضع معجم المتلازمات اللفظية العربية» .

ما ننتهي إليه **أنّ مصطلح «المتصاحبات اللفظية» هو الأكثر تداولا عند أصحاب الدراسات اللغوية اليوم**. إلا أنّ مصطلح المتلازمات لم يسقط من الاستعمال واستمرّ في التداول ؟ فهل يعني ذلك أنه استمر بديلا شكليا لمصطلح «متصاحبات»؟ أم أكسبه أصحاب الدراسات اللغوية اليوم دلالة أخرى لم يدركها الباحث العادي فبقي جاريا في الاستعمال؟

استمر مصطلح «متلازمات لفظية» في الاستعمال بين أصحاب الدراسات اللسانية . لكنه حُوِّل من الدلالة على المصاحبة عموما إلى الدلالة على درجة من درجات المصاحبة وفق مقياس متدرّج بحسب تلازم أجزاء المتصاحبة كما سنرى ذلك في فقرة «المقاربة التركيبية» من هذا البحث، وكما لاحظ ذلك دافيد وود في كتابه «مقدمة في أسس المتلازمات اللفظية» ، إثر مراجعته لمقال بريس فريزر حول أسس اللغة والتعابير الاصطلاحية الصادر سنة ١٩٧٠ .

لكن المراوحة بين المصطلحيْن بقيت قائمة. بل إنّ مفهومها بات يكتنفه تداخل وتعقيد ولبس بظهور مصطلحات أخرى ذات علاقة وطيدة بهما، مثل: مسكوكات، وتعابير اصطلاحية، وتعابير سياقية، وتعابير جاهزة، ومركبات عبارية، ومتصاحبات حرة، ومتصاحبات مقيدة، وتعابير تلازمية... إلخ. وكان سبب ظهور هذه المصطلحات الأخرى وتعددها شدة اهتمام الباحثين بهذا النوع من التعابير باعتباره مبحثا جديدا لم ينل حظه بالقدر الكافي في الدرس اللغوي القديم، ويستوجب تحديدات اصطلاحية ومفهومية لفروعه ومسائله. أما سبب التداخل المفهومي فيرجع، في الحقيقة، إلى تعدد زوايا نظر الدارسين وعدم الوعي بتداخل المقاربات نتيجة غياب الفصل المنهجي الواضح بين الاتجاهات والمدارس. وقد استقرأنا ما تيسر لنا من البحوث المتعلقة بهذه المسألة– خاصة الصادرة اليوم– من أجل أن نصل إلى ما يمكن أن يساعد على تحديد بعض أنواع المقاربات، علّ ذلك يُسهم في بلورة ما نحن بصدد البحث فيه من المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة المباشرة بمظاهر التضام اللفظي. وقد انتهينا إلى أنّ من أبرز المقاربات ما اصطلحنا عليه بالمقاربة التركيبية، والمقاربة التاريخية، والمقاربة الدلالية. فعسى أن نتوصل من خلال هذه المقاربات الثلاث إلى رفع ما بدا لنا تداخلا مفهوميا في ما أطلِق من مصطلحات على أوجه التضام اللفظي.

١) المقاربات التاريخية: وهي التي لَامَسَت القضية من زاوية زمنية. فقسّمت المتصاحبات إلى نوعين لكل واحد منهما مصطلح خاص به.

- **النوع الأول**: يتمثل في المتصاحبات القديمة التي هي في حقيقتها تعبيرات عن تجارب خاصة تتعلق بأعراف جماعة لغوية بعينها. وتُدْرَك معاني هذه المتصاحبات بالرجوع إلى المعاجم التراثية. ومن أمثلة ذلك في العربية: «فلان تُضرَب إليه أكباد الإبل»: أي يُرحَل إليه في طلب العلم وغيره، و«هم سود الأكباد»: أي حاقدون، و«طوى كشحه عن الأمر»: أي أعرض، و«ضرَب آباطَ الأمور»: أي عرف بواطنها... إلخ. وقد أطلق على هذا النوع مصطلح «تعابير اصطلاحية».
- **النوع الثاني**: يتمثل في المتصاحبات الحديثة التي هي وليدة الحياة المعاصرة، مثل: الذهب الأسود: أي النفط، و«ابن الحلال»: أي الصادق الثقة، و«السوق السوداء»: أي التعامل التجاري غير القانوني، و«هذا خط أحمر»: أي ممنوع. ووجدنا أن هذا النوع قد أطلق عليه مصطلح «مسكوكات/تعابير مسكوكة». وهذا المصلح أطلقه الباحثون المغاربة . وهو بمثابة تشبيه للمتصاحبة بالعُمْلَة، في إشارة إلى حداثة عهدها. فالمتصاحبة الحديثة كالعُمْلَة، ما إن تشيع حتى تصبح رائجة بوجه واحد بين كافة الناس.

والمصطلحان «تعابير اصطلاحية» و«مسكوكات» يردان مقابلا للمصطلح الأعجمي «idioms» . على أنّ أصحاب القواميس الخاصة بهذه التعابير، وكذلك أصحاب المعاجم اللغوية الثنائية، قد آثروا مصطلح «تعابير اصطلاحية» كمصطلح جامع للتعابير القديمة والحديثة معا . ويتجلى هذا في متون قواميسهم. مثال

ذلك أنّ الباحثة المصرية وفاء كامل فايد قد أصدرت قاموسا سنة ٢٠٠٧ جمعت فيه التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة وسمَّته بذلك دون أن تذكر مصطلح «مسكوكات» . فهذا المصطلح يبدو أنه بقي حبيس مكانه بالمغرب الأقصى حيث ظهر.

ولئن أجمع أصحاب القواميس المختصة على استعمال مصطلح «تعابير اصطلاحية» مصطلحا جامعا لما وجد من مظاهره قديما وحديثا، دون اكتراث بمصطلح «مسكوكات»، فإنه تجدر الإشارة إلى وجود مصطلح آخر يعبّر عن الظاهرة نفسها بوجهيها القديم منهما والحديث. وهذا المصطلح هو «تعابير جاهزة». هذا المصطلح يرد وصفا لكل أنواع التعابير الثابتة التي تحمل معنى خاصا، تماما كمصطلح «تعابير اصطلاحية». إلا أنه أكثر دلالة على أنواع التعبير التي تعدّ نمطية والتي يلجأ إليها المتكلم حين يعجز عن التعبير المباشر. لكنّ سِمَته هذه هي سمة جزئية، ولذلك بقي مرادفا شكليا لمصطلح «تعابير اصطلاحية» يُسْمَع من حين لآخر بين عامة الناس غالبا، لا بين الباحثين.

ويتفق أصحاب القواميس المختصة على أن العبارة الاصطلاحية هي عبارة ثابتة بنيةً ودلالةً. ومن تصاريحهم في هذا ما ذكره محمد البطل صاحب «معجم التعابير الاصطلاحية». فقد قال: «ولا يخفى أن التعبير الاصطلاحي يتّسم بالثبات النسبي في المعنى والمبنى». ومن ذلك أيضا وفاء كامل فايد صاحبة «معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة». فقد جعلت من خاصية الثبات البنيوي والدلالي سمة من سمات تعريف هذا النوع من التجمعات اللفظية. **فهي تعرّف التعبير الاصطلاحي في مقدمة معجمها بأنه «تجمع لفظي (أكثر من وحدة معجمية بسيطة)، يقع في الاستعمال اللغوي باطراد، وله دلالة ثابتة».**

والظاهر أن هذا الإجماع يعود إلى اتّباع علماء اللسانيات الغربيين الذين اتفقوا على أنّ مصطلح «عبارة اصطلاحية» يدل على «عبارة مكونة من كلمتين فأكثر لا يمكن الاستدلال على معناها الإجمالي من مجمل معاني مفرداتها المكونة لها» ، بل من دلالة خارجية تواضع عليها أصحاب اللغة.

٢) المقاربة التركيبية: هي مقاربة لصيقة بعلم النحو، تَدرُسُ نوعَ المتصاحبة في جانبها التركيبي من حيث الانتماء المقولي للعناصر المكونة للبنية. فيصف أصحابها أنواع البنى من هذه الناحية عبر ما يأتون به من الأمثلة ويصنفونها على نحو لا يختلف على طريقة الوصف التالية: مركب وصفي (اسم + صفة، نحو: اليد العليا، كلام فارغ، السوق السوداء، ابتسامة صفراء، تجنيد إلزامي) ؛ مركب إسنادي (فعل + اسم؛ اسم + اسم؛ اسم + فعل...إلخ، مثل: جاءوا على بكرة أبيهم، يدفنون رؤوسهم في الرمال، أعطى الضوء الأخضر، بيَّضَ وجهَ فلانٍ، فلان نفَسُه قصير)؛ مركب اسمي جزئي (اسم + اسم: مركب إضافي، مركب مزجي، كـ: فضاء ألعاب، لَيْل – نَهَار)؛ مركب شبه إسنادي (اسم/ صفة + حرف + اسم، نحو: اللعب بالنار، اللعب في الوقت الضائع، الخروج من عنق الزجاجة، زوبعة في فنجان، نائم في العسل)؛ مركب حرفي (حرف + اسم، مثل: بالفمِ المليان، على كفّ عفريت، بأم أذني، بدم بارد) .

ونجد في هذه المقاربة تقسيما للمتصاحبات وفق مقياس متدرّج بحسب تلازم أجزاء المتصاحبة . فصنفت إلى متصاحبات متحرّكة تقبل الاستبدال باستمرار، وأخرى متكلسة لا تقبل التغيير. وقد أُطلِق على الأولى مصطلح «متصاحبات لفظية حرة» وعلى الثانية مصطلح «متصاحبات مقيدة».

أ) المتصاحبات اللفظية الحرة: هي ما يجوز فيها استبدال أحد مكوناتها على المستوى العمودي بمكون آخر يغيّر جزءا من المعنى من دون إخلال بالنسق العام للتركيب التصاحبي . فهي إذن، التعابير التي ترد في شكل مركبات غير مقيدة تقييدا مطلقا، تكتسب فيها بعضُ عناصر بنيتها حركية نسبية تمكنها من عدم التقيد في مجرى سياق من السياقات. وعليه يمكن القول إن المتصاحبة الحرة هي عبارة تحليلية، أي إنّ رأسها التركيبي أو المكوّن اللاحق للرأس كلاهما قابل لإعادة التكوين وللتبديل في نطاقه التصاحبي الضيق.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

– استبدال العنصر الأول: فضاء تجاري ← ميدان تجاري ؛ شدّ انتباهه ← لفت انتباهه ← جذب انتباهه.

– استبدال العنصر الثاني: عبد الله ← عبد الرحمان ؛ ضرب في الأرض/ ضرب أخماسه في أسداسه/ ضرب مثلا ؛ أنفذت الدولةُ القانونَ ← إنفاذ الدولةِ القانونَ

– قلب التركيب: تُتَدَاول الأخبار ← الأخبار المتداولة.

– تصريف أحد المكوّنين كتحويل أحدهما أو كليهما من المفرد إلى الجمع: فضاء لعب ← فضاء ألعاب ؛ فضاء تجاري ← فضاءات تجارية ؛ فضاء لعب ← فضاءات ألعاب.

وتبقَى عمليات الاستبدال في كل الأحوال رهينة التركيب نفسه. فاستبدال «فضاء تجاري» مثلا بـ«ميدان تجاري» (استبدال العنصر الأول) لا يغير من أصل التركيب شيئا؛ فإنّ التركيب يبقى هو نفسه قبل الاستبدال وبعده. والملاحظ في ذلك أن الاستبدال لا يقع إلا بمقدار ما يسمح به أحد جزأي المركب من توسّع ومقبولية في الاستعمال، نحو: فضاء تجاري « فضاء تجاري كبير ؛ فضاء تجاري » فضاء كبير تجاري (توسع لاحِن). والملاحظ أيضا أنّ مجال الاستبدال في بعض المركبات يمكن أن يكون أوسع مقارنة بما هو أقل منه في ذلك، كما هو الحال بين المركبين الفعليين: «شَكَا فلانًا» (أي أخبر عنه بسوء) و«صَهَرَ المَعْدِنَ» (أي أذابه). فإن المصاحبات المتوقعة للفعل «شَكَا»، عديدة مقارنة بالفعل «صَهَرَ»، إذ يقال مثلا: شكا فلانٌ علّتَه ؛ شكى أمرَه إلى الله ؛ شكا ألَمَ رأسه ؛ شكا معْصَ مَعِدتِه ؛ شكا بعضُهم إلى بعض...إلخ. لكن لا يُقال إلاّ: صَهَرَ الحديدَ ؛ صَهَرَ النُّحَاسَ ؛ صَهَرَ الفِضَّةَ ؛ صَهَرَ الذهَبَ.

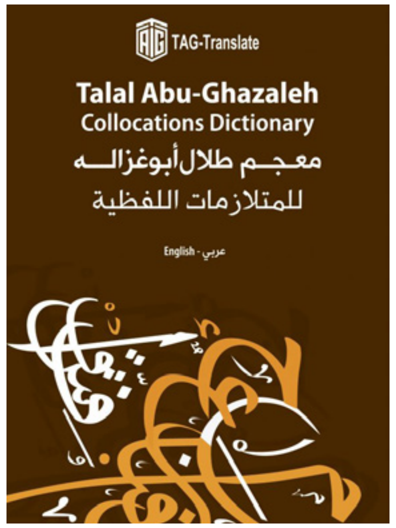

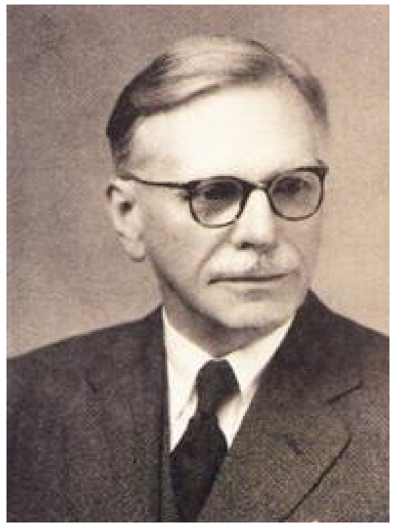

ب) المتصاحبات المقيدة / المتلازمات: هي التي تتلازم عناصرها بدرجة يصبح ثباتها بنيةً ودلالةً من أحكامها العامة. فهي تعابير متكلسة تحمل معناها من كل عناصرها . فإذا استبدل أحد عناصرها بكلمة أخرى بطل معناها وتغيرت طبيعتها التركيبية. وبذلك يمكن القول إن هذا المصطلح هو نظيرٌ موازٍ لمصطلح «تعابير اصطلاحية» في المقاربة التاريخية، إلا أنّ مصطلح «متلازمات» عند التركيبيين يعني الاقتضاء لا الثبات مثلما هو الحال في المقاربة التاريخية. وبناء على هذا الاختلاف في المعيار يتَباين المصطلحان.

وما تجدر الإشارة إليه أن أصحاب الدارسة التركيبية لا يَأْمنون ثباتَ المتلازمة في دلالتها وبنيتها وإن كان الغالب فيها الاستقرار والثبات، إذ هم يرون احتمال أن تفقد ثباتَها بخرق من الخروقات فتفقد انتماءها إلى المعجمي وتعود إلى انتمائها النحوي. ذلك أنه من الجائز عندهم أن تتعرض دلالتها أو جزء من بنيتها، للتغير بالخرق المتعمد أو تحت تأثير عامل من عوامل التطور عبر الزمن. فمثال التبدل الدلالي عبارةُ «طويل اليد»، فقد كانت قديما تعني السخيَّ. إلا أنها اليوم أصبحت تعني السارق. وهذا في نظرهم تبدّلٌ طامِس لأحد أهم أحكامها العامة وإن كان بطيئا في الزمان، ومُضعِف لمبدإ دي سوسير القائل بأنّ بطء التغيّر أقرب إلى أن يعدّ ثباتا من أن يعدّ تحوّلا.

ومثال الخرق المتعمد «غشيتْه سكرةُ الموت». فإنه من الجائز أن يُستبدَل الفعلُ «غشي» بالفعل «أتى» فيقال: «أتته سكرة الموت» فيتبدّل المعنى بسبب ذلك ويخرج التركيب من مستوى التلازم المقيّد إلى مستوى التضام النحوي الحرّ. ومثال ذلك أيضا « أكل عليه الدّهر وشرب» فقد يقول قائل: «أكل عليه الدّهر ولم يشرب».

وفي مثل هذه الحالة يمكن القول بأن المتلازمة هي عبارة متأرجحة بين الهوية النحوية والهوية المعجمية، أي بين جواز أن تكون مرّةً مركبا نحويا، ومرّةً وحدة معجمية تفيد التعيين.

وما يقوّي مصطلح «متلازمات» في المقاربة التركيبية التراكيبُ النحوية الصِّرفة. وهي نوعان: النوع الأول يتمثل في التراكيب الجزئية التي يتعالق فيها الجزء الثاني من المركب وجوبا بالجزء الأول كتعالق المضاف والمضاف إليه، والجار والمجرور ، والمعطوف عليه والمعطوف. والنوع الثاني يتجلى في التراكيب التي لا يقبل العنصرُ المحوري فيها استدعاء أي عنصر آخر سوى ما ارتبط به تاريخيا، مثل: «نخلة باسقة»، و«حرب ضروس».

فإن الصفة «باسقة» في المثال الأول، لا تقترن إلا بكلمة «نخلة». وكذلك كلمة «ضروس» في علاقتها بكلمة «حرب». ومن الأمثلة أيضا: «بقرة حلوب»، فإن كلمة «حلوب» لا تستدعي إلا كلمة «بقرة» لارتباطها بها في ما تواتر من الاستعمال. وكذلك الشأن في مثل «أفشى السرّ». فالفعل «أفشى» لم يجر تداوله إلا مع كلمة «سرّ». وكذلك كلمة «إيوان» (بمعنى سدة الحكم)، فلا يورد العرب هذه الكلمة إلا مع الاسم «كِسْرَى» الذي هو كسرى أنو شروان أحد ملوك فارس. فيقولون: «إيوان كسرى»، ويقصدون قصر ملك الفرس وكرسيّ سلطانه. فإذا أرادوا ذكر ذلك فإنه لا يكون عندهم إلا بهذا المركب الإضافي ...إلخ. فمثل هذه التعابير تتكون من عنصر محوري جاذب، وعنصر تابع مجذوب رهْن للعنصر الأوّل.

٣) **المقاربة الدلالية:** من المبادئ التي يمكن استخلاصها من وجهة نظر أصحابها إلى المتصاحبات اللفظية ومن منهج معالجتهم لها، المبدآن التاليان:

أ- النظر في البنية المطردة للمتصاحبة اللفظية في كُلّيتها من حيث هي وحدة لفظية لا تتجزّأ. وأبرز تعريف دلالي أسند إلى المتصاحبات اللفظية من هذه الزاوية، هي كونها تعابير جزؤها ليس جزءا من معناها، أي إنها تعابير تشكل كل مفرداتها معنى لا يتأتى من الائتلاف النحوي لتلك المفردات أو من المعنى المعجمي الحاصل بذلك، بل مما اصطلح عليه الناس من دلالة خارجية.

ب- المقارنة بين أنواع المتصاحبات اللفظية من حيث طبيعتها المجازية وقابليتها للترجمة وعدم قابليتها لذلك، ومن حيث ما يتميز به كل نوع منها من سمات دلالية . فتكون التعابير الاصطلاحية، والحكم المأثورة، والأمثال، والإتباع، والتعابير الاستعارية، هي أهم المتصاحبات .

وأبرز ما يمكن أن ينسب إلى هذه المقاربة من المصطلحات التي بدا لنا فيها لبس مفهومي مصطلح «تعابير سياقية». فهذا المصطلح يدل على ما يدل عليه مصطلح «تعابير اصطلاحية» المنسوب إلى المقاربة التاريخية ويحيل على نفس الظاهرة ، وهو ما يعني تسمية الشيء الواحد باسمين مختلفين. وهنا لا بدّ من الوقوف على سبب هذا التقاطع ، علّ ذلك يغني عن أحد المصطلحين فيكتَفى بما هو أكثر نجاعة من الآخر.

أ- مصطلح «تعابير اصطلاحية»: هو مصطلح يَنظرُ إلى المتصاحبات اللفظية من ناحية درجة تكلس بنيتها ودلالتها عبر تاريخ استعمال اللغة كما بيّنا ذلك أعلاه.

ب- مصطلح «تعابير سياقية»: نَألَفُه مصطلحا أسلوبيا (بلاغيا) نجد التركيز فيه ليس على شكل العبارة في حدّ ذاتها ولا على تاريخية معناها ، بل على كيفية تأويلها من خلال سياقها. فأصحاب المقاربة الدلالية، مثل فيرث وبالمر، يرون أن التعابير الاصطلاحية هي تعابير ذات معنى غير حقيقي، وأنّ هذا المعنى غير الحقيقي (المجازي) يتحدد بالسياق، وأنّ السياق يتألف من كلمة حقيقيةٍ وسياقٍ قوليٍّ أو مقاميٍّ (قرينة) يمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وأنّ ائتلاف هذين العنصرين – الكلمة المجازية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي– هو ما يسمى عبارة سياقية، وأنّ هذه العبارة السياقية التي يمكن أن تكون كلمة واحدة داخل سياق مقامي، أو وحدة مركبة أو معقدة تكون إحدى كلماتها قرينة لفظية، هي التي تعطي بائتلافها مع قرينتها السياقية للتعبير معناه .

ومن الأمثلة التي نوضح بها هذا المسار: النسيج الاجتماعي ؛ اللعب بالنار ؛ حفْظ ماء الوجه ؛ غسْل الأموال. فإن الكلمات «نسيج» و«لعب» وماء» و«غسْل» في العبارات المذكورة، هي كلمات لا تحمل معاني حقيقية بل معاني مجازية محددة بما ارتبط بها من القرائن اللفظية المصاحبة لها.

بناء على ما ذكرنا، يتجلى لنا أن مصطلح «تعابير سياقية» بديل تناوبيّ لمصطلح «تعابير اصطلاحية»متأت من نوع المقاربة، ويتناول الظاهرة في خصائص تعالقها. والحقيقة أنّ الاصطلاح المناسب والذي يبدو لنا أكثر تواترا بين الدارسين اليوم، هو مصطلح «تعابير اصطلاحية». وهو مصطلح يتعلق بماهية المسمّى لا بأسلوب مقاربته أو بخصائصه. ومتى توفرت التسميةُ بالماهية أغنت عن التسمية بما سوى ذلك. وإذ نورد هذا التنبيه فلأن من شأن ذلك أن يساعد على وضع حدّ لما يثقل الجهاز المصطلحي بما يعدّ إطنابا يحدث لبسا مفهوميا.

خلاصة القول أن ظاهرة التضام اللفظي ظاهرةٌ اتخذت في الدرس اللساني الحديث مناحيَ متشابكةً ومقارباتٍ مختلفةَ المسالك صنفنا بعضها حسب اجتهادنا إلى ثلاثة أنواع من المقاربات: مقاربة نحوية، ومقاربة تاريخية، ومقاربة دلالية. وقد تَنازَعَ هذه الظاهرةَ مُصطلَحان: «متصاحبات لفظية» و«متلازمات لفظية». إلا أن المصطلح الثاني مال به الدارسون إلى ما عُدَّ مظاهرَ تضامٍّ مقيدةً، ثم بات اليوم أعْلَقَ بمصطلحات علم النحو منه إلى مصطلحات علم المعجم. وفي المقابل اتُّخِذَ مُصطلَح «متصاحبات لفظية» للدلالة على أنماط مختلفة من المتضامات.

وهذه الأنماط في عمومها مظهران: مظهرٌ متحرّكٌ يقبل عمليات الاستبدال، اصطلح على نماذجه بـ«المتصاحبات الحرّة»، وهو بذلك ينتمي في وجوه مقاربته، إلى علم النحو ؛ ومظهر ثابت تجلّتْ نماذجُه في شكل وحداتِ معجمية ذات بُنًى ودلالاتٍ ثابتةٍ تداوليًّا بحكم استقرارهما في الاستعمال بتلك البنى وتلك المعاني.

وأبرز مصطلح اتفق الدارسون باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم، على إطلاقه على هذا النوع هو مصطلح «تعابير اصطلاحية». وهذه التعابير الاصطلاحية تجري في التداول مجرى الوحدات المعجمية المستقلة بنفسها. وتتجلى هذه الوحدات في نوعين : وحدات معجمية مركّبة، وهي التي تتكوّن من وحدتين معجميتين بسيطتين ؛ ووحدات معجمية معقدة، وهي التي تتكون من أكثر من وحدتين معجميتين بسيطتين. واستتباعا لذلك فإن نوع المتضامات اللفظية التي تسمّى اليوم «تعابير اصطلاحية» هي وحدات معجمية تنتمي إلى علم المعجم وتخضع بشكلها المتضام للتعريف القاموسي بحسب ما أسنِد إليها في كُلّيَتِها من الدلالات الاصطلاحية.

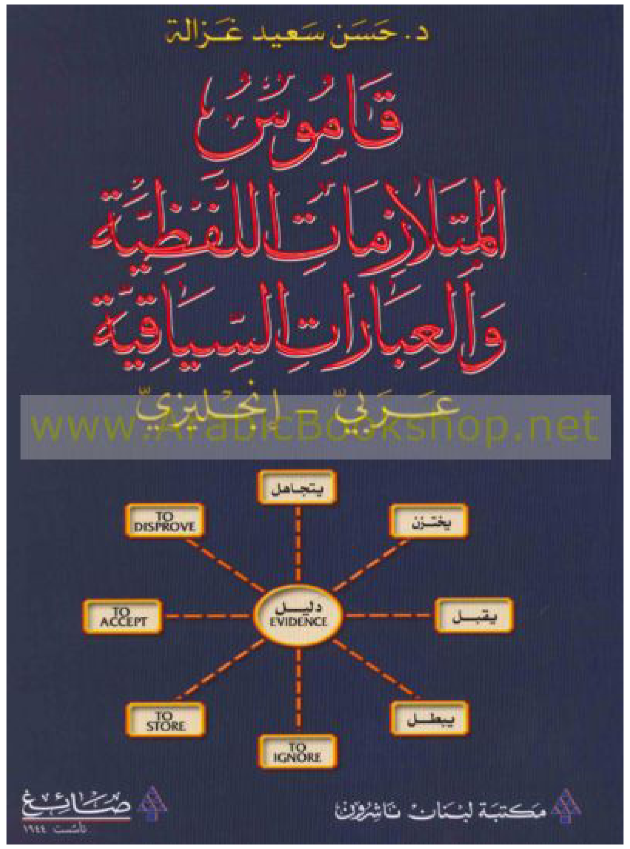

تدقيقات صرفية في قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الخاص باشتقاقات الجذر (ق.و.م)

أ.د / أمحمد فرج علي فرحات الخزعلي
رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة عمر المختار. ليبيا

اتصف النحو العربي بالصعوبةِ والتعقيدِ منذُ بداياتِ ظهورِهِ، فقد روتْ كتبُ التراجمِ والتاريخِ في سببِ ظهورِهِ ونشأتِهِ رواياتٍ كثيرةً ليس هنا مكانُ ذكرِها، ولكن اليومَ يرى كثيرٌ من الدارسين صعوبةً في دراستِهِ إلى درجةِ اختلاقِ محاولاتٍ لتسهيلِهِ على ما أسمَوْهُ (التجديد النحوي)، و(التيسير النحوي)، وفي الحقيقةِ لم تجدْ جلُّ تلكَ الدراساتِ صدًى كان يتمناه أصحابُها، ومكثَ الصرفُ غيرَ بعيدٍ ممَّا تعرَّضَ له النَحو، وعلى الأخصِّ عندَ ظهورِ بعضِ الألفاظِ الدخيلةِ على العربيةِ بحكمِ تطورِ المخترعاتِ التي كان لابدَّ من وجودِ مسمياتٍ لها، ولعلَّ أهمَّ أسبابِ اختياري لعنوانِ هذا المقالِ أستطيعُ اختصارَه في أسطرٍ، فأقول: كُلِّفتُ بالنَظرِ في شأنِ ترقيةِ بعضِ أعضاءِ هيئة التدريسِ في جامعاتٍ مجاوراتٍ لجامعتي، وكان في أنموذجِ الترقيةِ عدّةُ خاناتٍ منها: (اسمُ المُقيِّم)، و(استمارةُ تَقْييم) ....، وقد صحَّحتُ لهم هذه الألفاظَ بأنْ يستبدلُوها بـ(اسم المُقَوِّم)، و(استمارة التَّقْوِيم)، ولكن لم يعيروا ملاحظاتي أيَّ اهتمامٍ، ومازالوا يستعملونَ المصطلحاتِ الخطأ نفسَها، ما جعلني أخاطبُ مجمعَ اللغةِ العربيةِ بليبيا؛ لتصحيحِ هذينِ المصطلحينِ، وتعميمِ ذلكَ على الجامعاتِ والمراكزِ العلميةِ، فكانَ ردُّهم باختصارٍ أنْ أجازوا كتابةَ تلكَ المصطلحاتِ بما رأيتُهُ خَطَأً استناداً إلى بعضِ قراراتِ مجمعِ اللغةِ العربيةِ بالقاهرةِ، من هنا جمعتُ جلَّ قراراتِ مجمعِ اللغةِ العربيةِ القاهريِّ، وعكفتُ عليها قارئاً متفكرًا متتبعًا مدققًا ما استطعتُ، فوجدتُ آراء صائبةً تنمُّ عن فكرٍ وسِعَةِ اطلاعٍ لعلماءَ كبارٍ كمجموعةِ قراراتِهم رقم (٦٢) تحتَ الندوةِ (٣٢) في الجلسةِ الثانيةِ للمؤتمرِ بشأنِ صياغةِ (أفعل التفضيل)، وشروطِ صوغِهِ التي وافقوا فيها النحاةَ الأوائلَ، وصدقَ القائلُ: **(مهما تحدثتُ عن هذا الصرحِ الأشمِّ للعربيةِ وأعضائه الأعلامِ فلنْ أستطيعَ أنْ أُصوِّرَ في دقةِ ما بذلوا من جهودٍ علميةٍ، ظلُّوا يصلونَ فيها كلالَ ليلِهم بكلالِ نهارِهم سنواتٍ طوالًا، لا يستريحونَ ولا يفترونَ، حتى حقَّقُوا للعربيةِ ما طالَ عليها انتظارُهُ من المعاجمِ اللغويةِ والعلميةِ والفنيةِ، ومن ألوفِ المصطلحاتِ في كلِّ علمٍ وفي كلِّ فنٍّ حتى لتوشك أنْ تصبحَ عمَّا قريبٍ لغةً علميةً عالميةً)**[1]، ولكنَّ الإنسانَ منعوتٌ بالتَقصيرِ مهما بلغَ من العِلْمِ، فوجدتُ بعضَ قراراتِهم التي قدْ تحتاجُ إلى إعادةِ نظرٍ، فوددتُ أن أجمعَها وأتتبعَ أقوالَ العلماءِ السابقينَ فيها ملتزماً بالمنهجِ الوصفي التحليلي، وأرجأتُ مناقشةَ كلِّ تلكَ القراراتِ إلى بحثٍ واسعٍ سأُتِمُّهُ في أقربَ أَجَلٍ يأذنُ الله تعالى به، **وآثرتُ مجلتَنا الرائدةَ (العربية لساني) بأبرزِ تلكَ القراراتِ**، وهو الخاصُّ باشتقاقاتِ الجذرِ(ق.و.م)، فكانَ لها ذكرُ السَبْقِ في مناقشةِ هذه المسألةِ الصرفيةِ، وعلى الناظرِ في هذا المقالِ الذي أحسبُهُ فريدًا مفيدًا أنْ يغوصَ في لبِّ المعنى، وأن يدققَ في قولِنا ودليلِنا، ثم يحكمَ على مقالِنا حكماً حيادياً، من هنا تأتي أهميةُ هذا المقالِ، فجمعتُ مادّةَ مقالِنا تقريبًا، وراجعتُ نصوصَها مرارًا وتكرارًا، واخترتُ من النصوصِ المتفقةِ المقصدِ أوضحَهَا وأقواها، فوجدتُ أنَّه قد تنازعتْ هذهِ المسألةَ كثيرٌ من الآراءِ من مذاهبَ شتَّى، وطرائقَ قِدَدٍ ، فوجبَ البحثُ، والتَدقيقُ، والتَمحيصُ؛ لنصلَ إلى القولِ الفصلِ، ولتستبينَ اللفظةُ الفصيحةُ من المستهجنةِ الدخيلةِ، اللهمَّ نسألُكَ سدادَ الرأي، وجنِّبْنَا مواطنَ الزَّلَلِ والخطأ، فإنَّك تقدرُ ولا نقدرُ، وإنَّكَ تقضي ولا نقضي، وإنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ. لقدْ ثارَ جدلٌ كبيرٌ بين المحدثينَ في جوازِ استعمالِ (**مُقَيِّم، ومُقَوِّم**)، و(**تَقْييم، وتَقْوِيم**)، فهلْ هذا الجوازُ ينمُّ على أنَّهما يخرجانِ من مِشكاةٍ لغويةٍ واحدةٍ؟ وأنَّهما عربيان فصيحان؟

قالَ الدكتورُ محمد صالح ياسين عندَ حديثِهِ عن (**القَيِّم**): ((حاولَ مجمعُ اللغةِ العربيةِ بالقاهرةِ أنْ يجدَ مخرجاً لهذا اللفظِ، فأودعَهُ في المعجمِ الوسيطِ (كتابٌ قَيِّمٌ : ذو قِيمةٍ[2])) ، ونصُّ المعجمِ الوسيطِ حرفياً: ((القِيْمَةُ: قِيْمَةُ الشَّيْءِ: قَدْرُهُ، وقِيْمَةُ المَتَاعِ: ثَمَنُهُ، ومنَ الإنسانِ: طُولُه، ويُقالُ: ما لفلانٍ قيمةٌ: ما له ثباتٌ ودوامٌ على الأمرِ، القَوِيمُ: المُعتدلُ، والحَسَنُ القَامَة، القَيِّمُ: السَّيدُ، وسَائسُ الأمرِ، ومَنْ يتولَّى أمرَ المَحْجُورِ عليه، وقَيِّمُ القَوْمِ: الذي يَقُومُ بشأنِهِمْ ويَسُوسُهُمْ أمرَهُمْ، وأمْرٌ قَيِّمٌ: مُسْتَقِيمٌ، وكتابٌ قَيِّمٌ : ذو قِيمَةٍ [3])) ، وما أدقَّ كلامَ أبي حيانٍ عند ما قالَ: ((أمَّا قَيِّمٌ فأصلُهُ: قِيَامٌ، وقَيِّمٌ مقصورٌ منه؛ ولذلك اعتُلتِ الواوُ فيه؛ إذْ لو لم

يكنْ مقصوراً لصَحَّتْ كما صَحَّتْ: حَوْل، وعَوْض[4])) ، وجاءتْ هذه اللفظةُ (قَيِّم) على ألسنةِ الفصحاءِ الخُلَّصِ كما جاءتْ على لسانِ ابنِ كثيرٍ حينَ قالَ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]

أَيْ: الرجلُ قَيِّمٌ على المرأةِ، أَيْ هو رئيسُهَا، وكبيرُهَا، والحاكمُ عليها، ومؤدبُها إذا اعوجَّتْ[5])) ، فهذهِ الشواهدُ وأمثالُها ـ في ظنِّي ـ هي التي أوهمتْ كثيراً من الباحثينَ ولا سيما ساداتُنَا العلماءُ المعجميُّونَ بالاستدلالِ على جوازِ استعمالِ: **المُقَيِّم والتَّقْيِيم**، كما صحَّ استعمالُ: **المُقَوِّم والتَّقْوِيم**، وعلتُهُم هي المقولةُ الشهيرةُ (تسهيلاً على المتعلمينَ)، أفنستبدلُ لفظا فصيحًا بلفظٍ ملحونٍ لم تستعملْهُ العربُ بحجةِ التسهيلِ على المتعلمينَ؟ أمَا كلمةُ (**قَيِّم**)، و(**قِيَم**) التي وَرَدَ ذكرُهَا المباركُ في كتابِ الله ـ تعالى ـ ﴿دِينًا

---

(١) ينظر: مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً (ص:٥)

(٢) ينظر: ظاهرة الاشتقاق عند مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢٢٦ ـ ٢٢٧)

(٣) انظر: المعجم الوسيط (باب القاف٢/٧٦٨)

(٤) ينظر: البحر المحيط (٨/٥٧)

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٢)

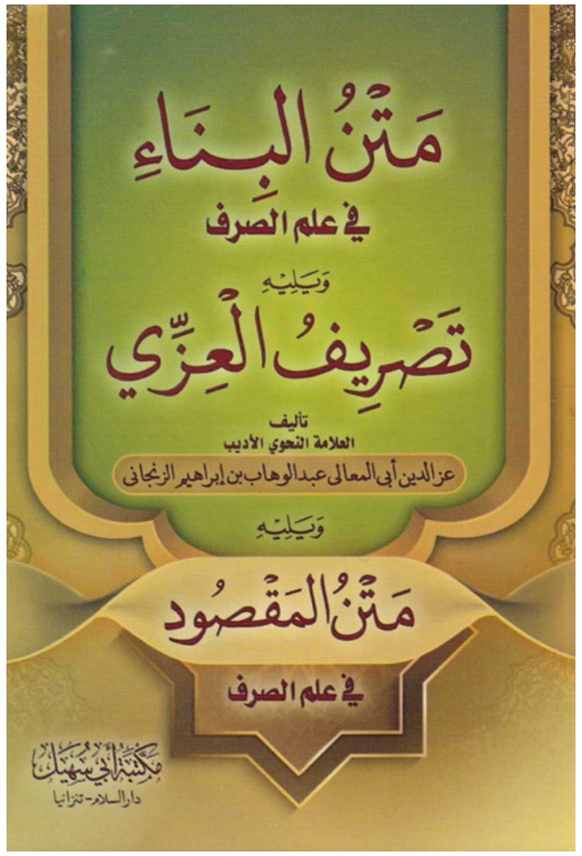

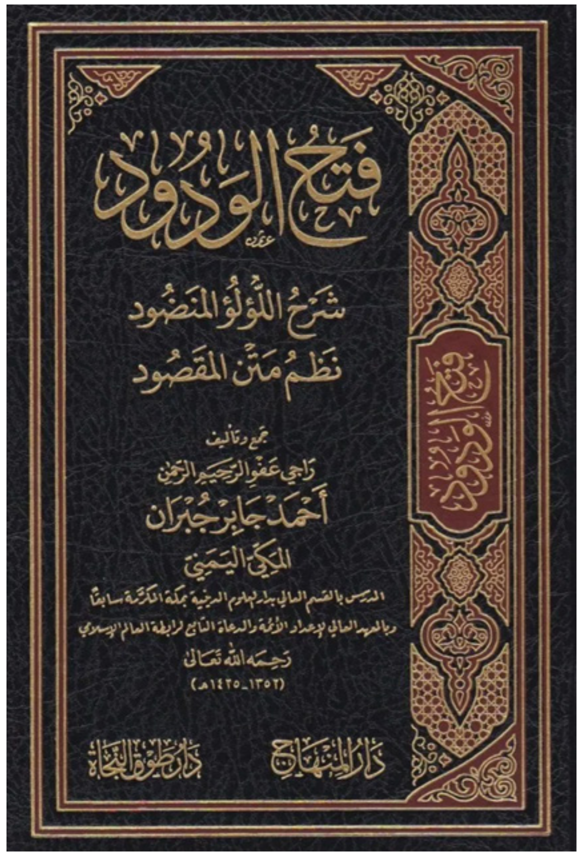

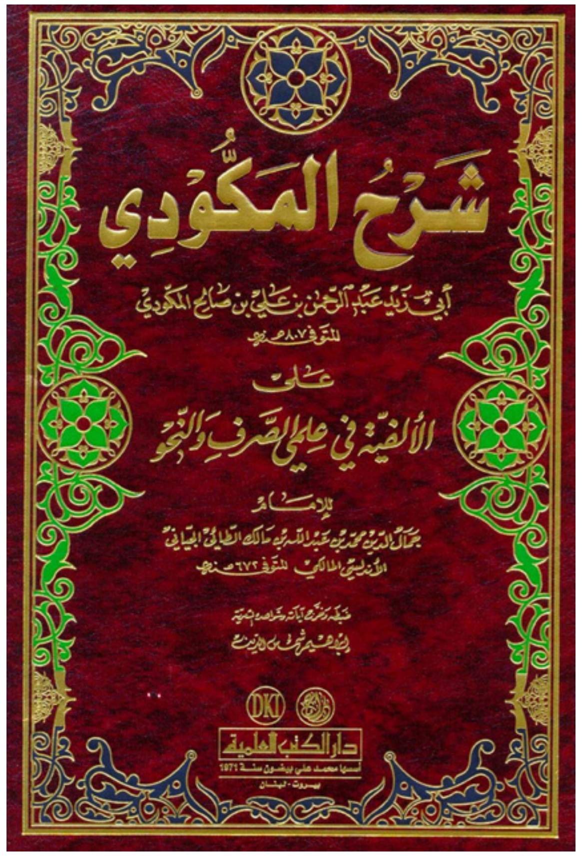

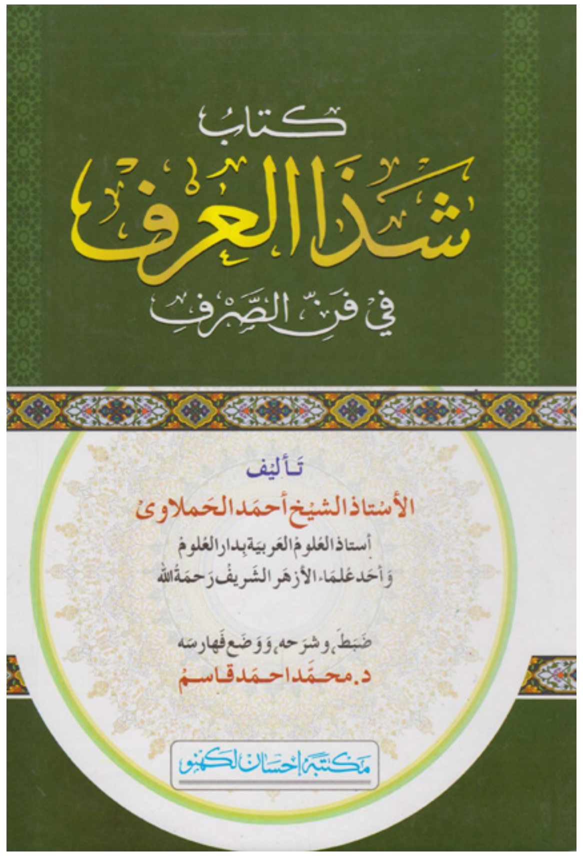

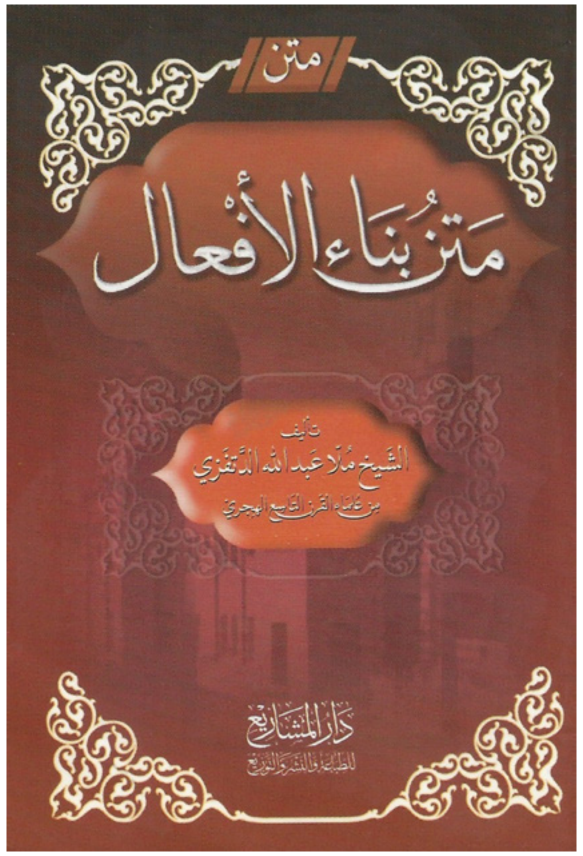

قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١]

و(**قِيْمَة**) فلا حُجَّةَ لهم في أنَّ الأصلَ ياءٌ؛ لأنَّ الأصلَ بالواوِ، وقُلبتْ ياءً لعلةٍ صرفيةٍ يعلمُهَا المبتدئُ في علومِ العربيةِ، فكما قالوا في: (قَال ـ يقُول ـ قِيل) بقلبِ الواوِ ألفاً، أو ياءً، أو بقائها على أصلِها الواوي؛ لمناسبةِ الحركةِ التي سبقتْ حرفَ العلةِ الضعيف الذي يتأثرُ بها، فكذا هنا، انظرْ أيُّها القارئُ إلى قولِ سيبويهِ: ((أمَّا سيبويهِ فقالَ: **القَيِّمُ** وزنُهُ: الفَيْعِل، وأصلُهُ: **القَيْوِم**، فلمَّا اجتمعتِ الياءُ، والواوُ، والسابقُ ساكنٌ أبدلُوها من الواوِ ياءً، وأدغمُوا فيها التي قبلَها، فصارتا ياءً مشددةً، وكذلكَ قالَ في: سَيِّد، وجَيِّد، وهَيِّن، ولَيِّن، وما أشبهَهُ، فهو فَيْعِل، أصلُهُ: مَيْوِت، وسَيْوِد، وجَيْوِد، وهَيْوِن[6])) ((وأنكرَ الفراءُ هذا، وقالَ: ليسَ منْ أبنيةِ العربِ (فَيْعِل)، إنمَا هو (فَيْعَل)، وقال في: (قَيِّم)، و(سَيِّد)، و(جَيِّد): هذا من الفعلِ: فَعِيل، أصلُهُ: قَوِيم، وسَوِيد، وجَوِيد على وزن (كَرِيم)، و(ظَرِيف)، فكان يلزمُهم أنْ يجعلوا الواوَ ألفاً؛ لانفتاحِ ما قبلَها، ثم يسقطوها؛ لسكونِها وسكونِ الياءِ التي بعدَها، فلمَّا فعلوا ذلكَ صار (فَعِيل) على لفظ (فَعْل) فزادُوا ياءً على الياءِ؛ ليكمُلَ بها بناءُ الحرفِ[7]))

وإذا ما ذهبْنَا نبحثُ عن الجذرِ (**ق.ي.م**) في معجمِ لسانِ العربِ فلنْ نجدَهُ؛ لأنَّه جذرٌ لم تستعملْهُ العربُ، ولم تَعُدْ إليه في تمييزِ الأصولِ، بينما سنجدُ كلَّ اشتقاقاتِ (**قـ و م**) تحتَ الجذرِ (**ق.و.م**)، وبهذا فأصلُ (**قِيَم**): **قِوَم**، وأصل (**قَيِّم**): **قَيْوُم**، أما (**مُقَيِّم**)، و(**تَقْيِيم**) اللذين نراهما كثيرًا في غيرِ موضعٍ فهما استعمالانِ خاطئانِ قولاً واحدًا، والصوابُ المستعملُ في لغتِنا العاليةِ (**مُقَوِّم**)، و(**تَقْوِيم**)، وهذا عينُهُ ما استعملتْهُ العربُ في ألفاظِها ومبانيها، ووجدْناه في أساليبِ الأقحاحِ الخُلَّصِ، وانظرْ – رعاك **الله** ـ إلى قولِ نظامِ الدينِ النيسابوري: ((العملُ بالاجتهادُ والقياسِ جائزٌ، وأُجيبَ بأنَّهُ لا نزاعَ في الصَورةِ الجزئيةِ، كالاجتهادِ في القبلةِ، وكالعملِ بشهادةِ الشاهدينِ، وبتَقْوِيمِ **المُقَوِّمِينَ** في قِيَمِ المُتلفاتِ ...[8])) ، وما شجَّعَنا على الجُرْأةِ بتعقيبِنَا ـ وهو تعقيبُ المبتدئينَ ـ على آراءِ عمالقةِ اللغةِ المجمعيينَ قولُهُمْ: ((المصطلحاتُ التي أقرَّها المجمعُ، والمؤتمرُ بدونِ تعريفٍ، والتي لم تُنشرْ بعدُ تُعادُ إلى اللجانِ المختصَّةِ لتعريفِهَا، وعرضِهَا على المؤتمرِ، ولا مانعَ من نشرِهَا بدونِ تعريفٍ نشْرًا مبدئيًا لتلقِّي ملاحظاتِ المختصِّينَ معَ الإشارةِ إلى ذلكَ[9])) ، وقولُهُمْ: ((تُعْرَضُ الكلماتُ، والمصطلحاتُ التي يُقرُّها المجمعُ على الجمهورِ بعدَ إقرارِهَا، ويتقبلُ المجمعُ في خلالِ تلكَ السنةِ الانتقاداتِ التي يعترضُ بها العلماءُ[10]))

خاتمة:

فهذا جُهْدُ المُقِلِّ، وعملُ المقصِّرِ المبتدئ، فإنْ عَنَّ للقارئ غيرُ ما نَرَى، وله على قولِهِ حجةٌ وبرهانٌ فليسعفْنَا بِهَا ونحنُ له من الشاكرينَ، وإذا لمسَ جَادَّةَ الصَّوابِ فيما قُلْنَا فليُعِنَّا على نَشْرِ الصَّوابِ، وليَحُضَّ المتكلَمينَ والكتّابَ على وجوبِ استعمالِ (قَوَّم)، و(تَقْوِيم)، و(مُقَوِّم)، وتركِ (قَيّمَ)، و(تَقْيِيم)، و(مُقَيِّم) ، و**الله** ـ تعَالَى ـ أَعْلَمُ ، سُبحانَهُ لا عِلْمَ لَنَا إلَّا ما عَلَّمَنَا ، إنَّه هو السَّمِيعُ العَلِيمُ .

(٦) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١/٨٥)

(٧) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٨٦)

(٨) ينظر: (غرائب القرآن، للنسابوري (٣/١٨).

(٩) ينظر: مجموع القرارات العلمية في خمسين عاماً (ص: ٢٤٨)

(١٠) ينظر: مجموع القرارات العلمية في خمسين عاماً ٢٥٣.

التطوّر الدلالي لكلمة «أدب» دراسة لغوية تاريخية

أ. خلود بنت عبد الله إبراهيم النازل

أو: أتدرون معنى الأدب؟

إنّ التفكير الإنساني بجوانبه المختلفة معرّضٌ دائمًا للتطور والتحول، والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي بنيت على هذا التفكير تتأثر بهذه التحولات، وبما أنّ الألفاظ هي وسيلةُ التعبير عن هذا التفكير فلابدّ لها من الخضوع للتطور والتغير.

وقد عرضت هذه الدراسة لنموذج للدراسات الدلالية، من خلال دراسة كلمة (**أدب**)، وما طرأ على دلالتها من تغير عبر العصور، وقد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي من خلال تتبع دلالة اللفظ وتطورها.

والتطور الدلالي: مصطلحٌ من مصطلحات علم الدّلالة الحديث، ويطلق على تغير معنى الكلمة عبر العصور التاريخية للغة، ويعرف -أيضا- بالتوليد الدلالي وهو:«**إبداع المتكلم لدلالات معجمية، وتراكيب دلالية جديدة تختلف عن تلك الدلالة، التي تفيدها الوحدة، أو البنية المعجمية، المعروفة بين أفراد الجماعة اللغوية**»[(١)] . ولهذا التطور عواملُه المسببة له وهي: العامل الديني، أو اختلاط اللغات، أو انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، أو بعض ألوان التطور الصوتي.

وللتطور الدلالي مظاهر متعددة تصنف وفق معايير محددة، منها: المعيار العقلي الإدراكي، ويظهر في تعميم الدلالة، أو تخصيصها، والمعيار الاجتماعي ويظهر في رقي الدلالة وانحطاطها، والمعيار اللغوي للدلالة ويظهر في انتقالها اللغوي[(٢)]، وعلى هذا فإنّ مظاهر التطور الدلالي يمكن حصرها في خمسة مظاهر رئيسة وهي:

١- تعـميــم الدلالـة. **٢- تخصيص الدلالة.**

٣- انحـطـاط الدلالة. **٤- رقـــــي الدلالة.**

٥- انـتـقـــال الدلالة.

لا يمكن الكشف عن التطور الدلالي للفظ ما دون تتبع هذا اللفظ في المعاجم اللغوية في عصورها المختلفة.

وقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) في كتابه **العين** دلالة اللفظ «**أدب**» بقوله: «**رجل أديب مؤدَّب يؤدِّب** غيره **ويتأدَّب** بغيره، **والآدِب**: صاحب **المأدُبة... والمأدُبة والمأدَبة** لغتان: دعوة على الطعام».

بينما أورد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في **التهذيب**: «أصل **الأدْب** الدعاء، وقيل: للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة **ومأدَبة**، ويقال للبعير إذا ريض وذلل: **أديب مؤدب**... وقال أبو عمرو يقال: جاش **أدبُ** البحر، وهو كثرة مائه.

(١) انظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص ١٢٣.

(٢) محاولات بناء المعيار الدلالي في الدلالة المعجمية، بدر الكلبي، ٢٠١٧م، عمان: دار الجنان ، ص ٢٦٠.

وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) في مقاييس اللغة:«الهمزة والدَال والباء أصل واحد تتفرع مسائله، وترجع إليه، فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك. وهي المأدَبة والمأدُبة، والآدب الدَاعي، ومن هذا القياس الأدبُ -أيضا-؛ لأنه مجمع على استحسانه»[(٣)] .

وأورد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) في أساس البلاغة دلالة مجازية، فيقول: «أدبهم على الأمر، جمعهم إليه يأدبهم، ومن المجاز: جاش أدب البحر إذا كثر ماؤه[(٤)]» .

وفي لسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ): «الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ سمي أدبًا؛ لأنه يأْدِبُ النَاس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصَنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدُبة... والأُدبة والمأدَبة والمأدُبة: كل طعام صنع لدعوة أو عرس...[(٥)]))

وذكر الزَبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) في تاج العروس: «الأدب، محركةً: الذي يتأدب به الأديب من النَاس؛ سمي به لأنه يأْدِبُ الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء.. وفي المصباح: هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.. ونقل الخفاجي في العناية عن الجواليقي في شرح أدب الكاتب: الأدب في اللَغة: حسن الأخلاق، وفعل المكارم، وإطلاقه على علوم العربية مولّد حدث في الإسلام، وقال ابن السَيد البطليوسي: الأدب أدب النفس والدرس..[(٦)]».

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، دار الفكر، د.ت، ١/ ٧٤.

(٤) أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ط١، ص ٢٢

(٥) لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م، ط٣، ١/ ٩٣.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق علي هلالي، الكويت، ١٩٨٧م، ط٢، ١/ ١٣.

وفي المعجم الوسيط: «أَدَبَ أَدْبًا: صنع مأدُبة. و- القوم: دعاهم إلى مأدُبته... و- فلانًا: راضه على محاسن الأخلاق والعادات... وتطلق الآداب حديثًا على الأدب بالمعنى الخاص والتاريخ والجغرافية وعلوم اللسان والفلسفة[(٧)]..».

من خلال تتبع اللفظ يظهر أن لفظ الأدب قد جاء بدلالات عدة أبرزها: دلالته على الدعوة إلى الطعام، والدعاء، ثم محاسن الأخلاق والتهذيب.

حين نتتبّع لفظ (أدب) عبر العصور نجد شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي يتتبع هذه اللفظة تتبعًا شافيًا، نوجزها في النقاط التالية:

١. في العصر الجاهلي لم ترد إلا بلفظ **الأدب**، وهو الداعي إلى

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٤م، ط٤، ص٩.

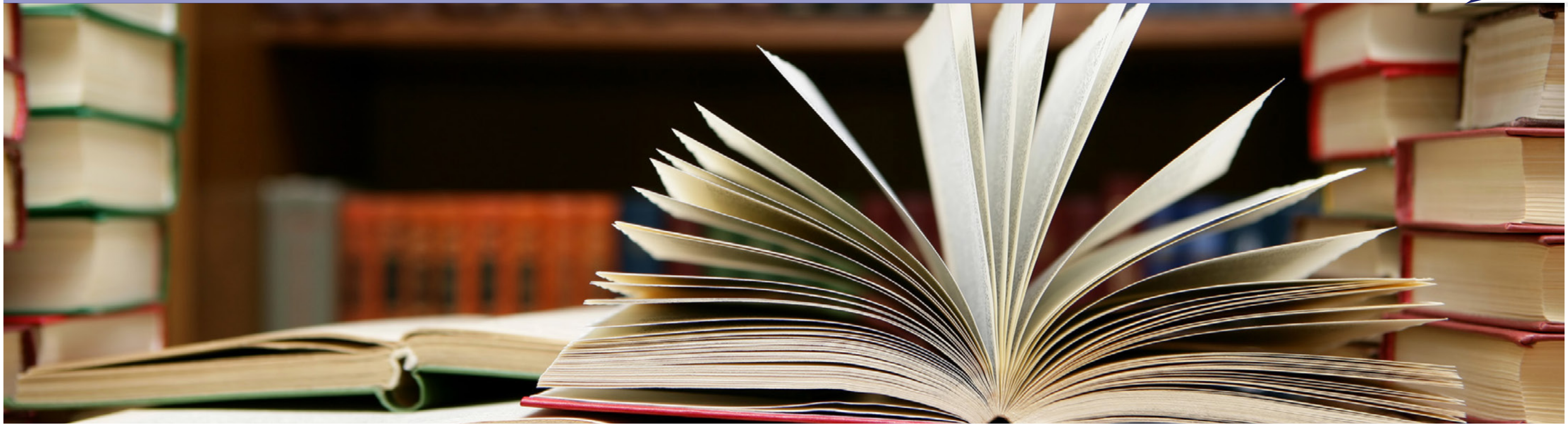

الطعام.

٢. في عصر صدر الإسلام استخدمت بمعنى التهذيب والخلق.

٣. في عصر بني أمية تدور بمعنى التهذيب والخلق، وأضيف إليها معنى جديدٌ، تجلى في ظهور **(المؤدبين)**.

٤. في العصر العباسي يتقابل المعنيان (التهذيبي والتعليمي)، فظهرت مصنفات تحمل هذه اللفظة، مثل: (**الأدب** الصغير) و(**الأدب** الكبير) لابن المقفع.

٥. في القرنين الثاني والثالث أصبحوا يؤلفون كتبًا سموها كتب أدب مثل: (البيان والتبيين) للجاحظ، و(الكامل في اللغة والأدب) للمبرد.

٦. في العصور التي تلي العصر العباسي لم تقف الكلمة عند هذا المعنى التعليمي الخاص بالنثر والنظم، بل اتسعت لتشمل كل المعارف الدينية التي ترقى بالإنسان من جانبيه الاجتماعي والثقافي.

٧. ثم أصبحت تدل على السنن التي ينبغي أن تراعى عند طبقة خاصة من الناس، وألفت في ذلك الكتب، مثل (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و(أدب النديم) لكشاجم، وتوالت الكتب، أدب القاضي وأدب الحديث وأدب الطعام.

٨. ومنذ أواسط القرن الماضي أصبحت تعني معنيين: معنى عام: وهو كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه وأسلوبه، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبًا، ومن ذلك كتاب (ديوان الأدب) للفارابي، و(جواهر الأدب) للأربلي، وهي كتب لغوية. ومعنى خاصّ وهو الأدب الخالص الذي يعبر عن معنى من المعاني، بل يراد أن يكون جميلًا بحيث يؤثر في العواطف، وهو فنون الشعر والنثر.

ولا يبعد صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب عن تقسيم شوقي ضيف ورؤيته، فيصور تطور كلمة أدب بمزيد من التفصيل فيقول:

- **في العصر الجاهلي:** أن تجمع الناس إلى طعامك. وهي المأدَبة والمأدُبة، والآدب الداعي، قال طرفة:

نحنُ في المشْتاةِ ندعُو الجَفَلَى

لا ترى الآدِبَ فينا ينتقِرْ

- **في عصر صدر الإسلام:** أصبحت تعني التَهذيب والخلق، قال ﷺ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**» وهو حديث معناه صحيح ولكنه غير ثابت السند.

- **في عصر بني أمية:** تطورت دلالتها إلى التعليم، واشتق منه بهذا المعنى «**المؤدِّبون**» الذين يعلمون أولاد الخلفاء. في العصر العباسي: أصبحت تعني التهذيب والتعليم معًا، مثال ذلك: «الأدب الكبير والأدب الصغير» لابن المقفع (ت: ١٤٢هـ).

- **في العصور المتأخرة:** تطور معنى الأدب ليشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعيًا وثقافيًا، كما ورد عند إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري، وجميع المعارف دينية وغير دينية كما ظهر عند ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)[8]

- **في العصر الحديث:** أصبحت تعني كل ما ينتجه العقل والشعور، ثم أصبح المصطلح يعني: الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، وكل ما أنتجه البشر مخطوطًا أو مطبوعًا[9].

ويقول جبور عبد النور في معجمه الأدبي عن الأدب: «فهو في مدلوله الأبعد، انطلاقًا من شيوعه على الألسنة، يتضمن معنى العادات والتقاليد والأعراف المتوارثة والمتحدرة من الأقدمين والمعتبرة، في مضمونها الخلقي نهجًا خاصًا في التعامل مع الناس.[10]» ويمكن القول إنّ الأدب في العصر الحديث الذي يعني إجادة المنظوم والمنثور على أساليب العرب، تحديدٌ بات قديمًا عامًّا، ولحقه الكثير من التفصيلات في عصر النهضة الحديثة، فقد ارتقت دلالة الكلمة من الدعوة إلى الطعام إلى الخلق الحسن، ومن دلالتها على الدعوة إلى الطعام إلى دلالتها على فن راقٍ من فنون الكلام.

(٨) مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي وافي، القاهرة، دار نهضة مصر للنشر، ٢٠١٤م، ط٧، ص ١١٣٩.

(٩) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، بيروت، مكتبة لبنان،١٩٨٤م، ط٢، ص ١٦.

(١٠) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت، ص ٣١٥.

الاشـتـقــاق
ودوره في تنظيم الرصيد المعجمي

أ. أمـيـرة المـعــلاوي
تخصص معجميات

مثّل المبحث المعجمي على اختلاف فروعه مجالاً ثريًا لبحث ومناقشة العديد من الإشكالات والقضايا المتّصلة بوجهي الدّليل اللّغويّ سواء من جهة الدّالّ، أو من جهة المدلول. فإنّ وحدات المعجم ما انفكّت تثير العديد من القضايا، خصوصاً بعد إخراجها من حيّز المعجمية التّطبيقية الصّناعية إلى رحابة البحث اللساني النّظري، وتحكّم نتائج التنظير المعجمي في مفهوم المعجم المنشود وسبل تحقيقه. فباتت مسألة البحث في الاشتقاق وعلاقته بالنظمة المعجميّة من القضايا التي تستدعي إعادة النّظر. فقد عني القدامى بدراسة العلاقات الاشتقاقيّة بين المفردات من خلال اهتمامهم الشّديد بدراسة الاشتقاق وأنواعه في ثنايا ما ألفوه من الكتب المفردة في هذا الموضوع[(١)].

ويعود الاهتمام بدراسة الاشتقاق إلى طبيعة اللغة العربيّة، **فهي لغةٌ غير سلسلية؛ إذ هي قائمة أساساً على التّوليد من نوعين من الأصول (الجذور والجذوع) لتحتلّ بذلك المشتقات النّصيب الأكبر من الرّصيد المعجمي، ويجعلها سلاسل متعالقة في ما بينها بأصلها الاشتقاقي المشترك.**

سؤال البحث وإشكاله:

فكيف يمكن تبيّن النظام الاشتقاقي في المعجم؟ وهل بالإمكان التّعويل عليه في نظمنة الوحدات المعجميّة داخل المعجم؟

العلاقات الصرفيّة الاشتقاقية ودورها في نظمنة المعجم:

تجمع مختلف التّعريفات على كون عمليّة الاشتقاق تنطلق من«أصل» هو أساس الاشتقاق، ثم تتفرّع عنه مجموعةٌ من الصّيَغ المتولدة عنه والحاملة لدلالة الأصل العامة مع وجود بعض الاختلافات الجزئية المتعلّقة بعدد الأحرف الزّائدة وبالدّلالة المضافة إلى الدّلالة العامّة. فدلالة الفرع تكون أكثر تخصيصاً من دلالة الأصل، كـ«ضرب»، فإنّه دالّ على مطلق الضرب. أما ضارب، ومضروب، ويضرب، واضرب.. فكلّها أخصّ دلالةً وأكثر حروفا[(٢)].

نلاحظ أن الدلالة العامّة وهي مطلق الضرب مبثوثةٌ في مختلف المشتقات، وهو ما يوحّد بين أجزاء هذه المجموعة ويجمع بينها في جدول صرفي اشتقاقي قائم على الائتلاف والتّوافق بين الأجزاء المكونة له.

يقول ابن فارس في تعريفه للفظ «بثّ»: الباء والثاء أصلٌ واحد، وهو تفريق الشّيء وإظهاره، يقال بثّوا الخيل في الغارة. وبثّ

(١) قال ابن السرّاج: أفرَد الاشتقاقَ بالتأليف جماعةٌ من المتقدمين، منهم الأصمعي، وقطرب، (ينظر: السيوطي: المزهر، ١/ ٣٥١).

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٧.

الصياد كلابه على الصّيد. والله تعالى خَلَق الخلْق وبثّهم في الأرض لمعاشهم. وإذا بسطت المتاع بنواحي البيت والدار، فهو مبثوث. وفي القرآن ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٦]

أي: كثيرةٌ متفرقةٌ، قال ابن الأعرابِي: تمرٌ بثٌّ، أي: متفرّقٌ.. وبثثْتُ الحديث أي: نشَرْتُهُ[(٣)]، فبثُّ الخبر بمعنى نشره، والباثُّ: هو المخبر عن الشّيء المظهِرُ له؛ وخبرٌ مَبْثوثٌ أي: منتشرٌ بين النّاس ومتفرّق، ويَبُثُّ الخبر أي: يقوم بفعل الكشف والإظهار، وبثٌّ للدّلالة على حدث إظهار الشّيء وتفريقه عامة.

يلاحظ من هذا المثال أنّ مختلف المفردات الفرعيّة المتولّدة عن الأصل (ب ث ث) تشترك في دلالة عامة هي «تفريق الشّيء وإظهاره»، كما تشترك في حفاظها على الحروف الأصول مع اختصاص كلّ واحدة من المشتقّات بمعنى زائد عن مختلف المعاني الزّائدة لباقي المشتقّات، وبأحرف زائدة مضافة إلى الأصل تفسّر تخصيص دلالة الوحدات المشتقّة. **وفي هذا الصّدد يقول ابن فارس في كتابه «فقه اللغة»: «أجمع أهل اللغة إلا من شذّ عنهم » أن للغة العرب قياساً، وأنّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض، واسم الجنّ مشتق من الاجتنان، وأنّ الجيم والنّون تدلّان أبدًا على التستر؛ تقول العرب للدّرْع: جُنَّة، وأجَنَّهُ الليل، وهذا جنينٌ، أيْ: هو في بطن أمّه. وأنّ الإنسان من الظهور يقولون آنست الشّيء: أبصرته. وعلى هذا سائر كلام العرب[(٤)].**

فإذا كان سائر كلام العرب يؤخذ من الاشتقاق قياساً كما ذكر ابن فارس، فإنّ العلاقات الاشتقاقية الواقعة بين وحدات اللّغة هي بمثابة الخيط التّنظيمي الرّابط لهذه الوحدات التي قد تبدو لنا صعبة النّظمنة لاتّساعها وامتدادها في المعجم، فيصبح من السّهل التّعامل معها وتصنيفها بحسب ما لها من خصائص صرفيّة مشتركة في جداول تعتمد على «الأصول المعجميّة» معياراً تصنيفيًّا. **وقد نذهب في تخصيص العلاقات الاشتقاقيّة**

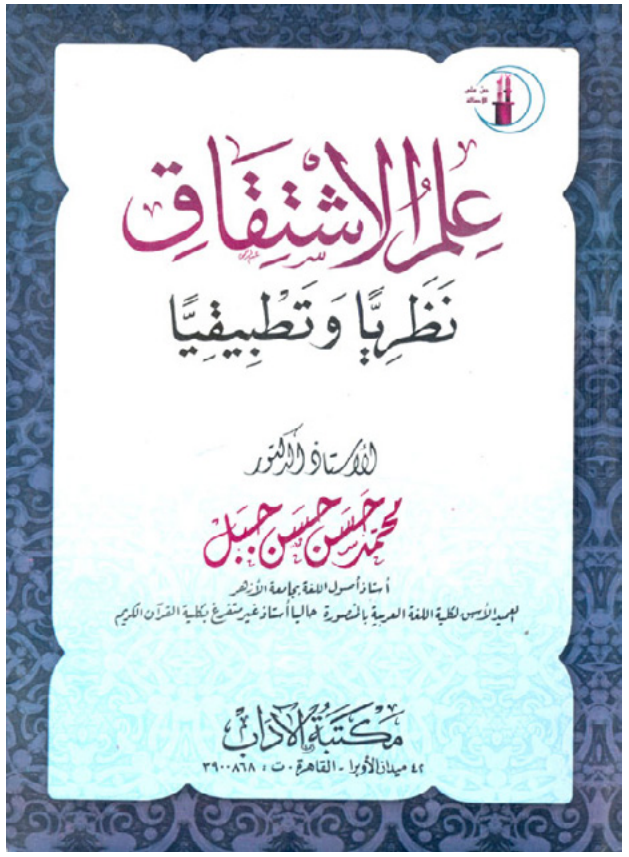

بتقسيمها إلى قسمين هما:

١- العلاقات الاشتقاقيّة المتفرعة عن أصول جذريّة، كما في: الجذر (ح ذ ذ)، قال ابن فارس في المقاييس:« الحاء والذال أصلٌ واحدٌ يدل على القَطْع، والخِفّة، والسّرْعة، ولا يشذّ منه شيء[(٥)]» الحذُّ: القطعُ. الأحذُّ: المقطوع الذَّنَب. حَذّاءُ: القطاة ذات الذَنب القصير، أَحذّ: أمرٌ قد فرغ منه. الحذّاءُ: اليمين المنكرَة يُقْتطَع بها الحقُّ. حاذٌّ: سَرِيعٌ حَثِيثٌ[(٦)]

عندما ننظر في مختلف مشتقّات هذا الجذر، نجد أنّ جميعها يدور حول دلالة عامة هي دلالة الأصل المشتقة منه. ولمعرفة مختلف المشتقات الممكنة يعود علماء العربيّة إلى تقنية التقليب الرياضيّة التي جاء بها الخليل في كتاب «العين»، وتُمكّن هذه العمليّة من إحصاء جميع الفروع المنبعثة عن «الأصل» الواحد، وبالتالي تجعل من مسألة تجميع الوحدات المعجميّة أمراً ممكنا

(٣) ابن فارس، المقاييس، ١/ ١٧٢.

(٤) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٦٧

(٥) ابن فارس، المقاييس، معجم مقاييس اللغة ٥/٢

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢\٥.

في إطار نظام صرفي اشتقاقي يسمح بجدولة الوحدات المعجميّة وفق ما يوحّد بينها من خصائص مشتركة تجعل منها تجميعات متآلفة في ما بينها بعلاقات مقولية تكون بين أجزاء المقولة الواحدة والعناصر المكونة لأجزائها، أو بين عدة مقولات و أجزائها.

٢- العلاقات التأصيلية: هي أشمل من الأولى حيث تخلق روابط بين مشتقات من أصول جذريّة مشتركة «لكنها محمّلةٌ بمعانٍ مختلفة تدلّ على أنّ الأصل الجذريّ يعطي أصولا جذعية مختلفة[٧]» . **ولا يمكن الحديث عن هذا النوع من العلاقات دون العودة إلى ابن جنّي وهو أول من تحدّث عنها وأقرّ وجودها وذلك من خلال توصّله إلى وجود نوع آخر من الاشتقاق سمّاه بالاشتقاق الأكبر**، فيجعل (ق و ل) وتقليباتها الستة، بمعنى الخفة والسرعة. والناظر في حدّ هذا الاشتقاق يلاحظ أنّ ابن جنّي انتبه إلى وجود صلات شاسعة بين وحدات اللغة التي قد تبدو للوهلة الأولى متباعدة، إلا أن المتفحِّص لها يستطيع أن يدرك مدى تقاربها من حيث التقاؤها جميعا بأجزائها المختلفة والمتنوّعة، وبجلّ الإمكانات التي يوفرها الجذر الأصلي، وما يلحق به من جذور ملتصقة به متفرّعة عنه «فالأصل الجذري الثلاثي الواحد ترتبط به نظريا خمسةُ أصول جذرية تضاف إليه لتكوّن جميعا ستة أصول، منها: «**المتوقّف**» الذي لا امتداد له في الاستعمال ...ومنها «**الحيّ**» الذي تتولّد عنه الجذوع الفعلية والاسمية والوصفية. **وهذه الأصول الجذرية النظرية تصبحُ في الرّباعي أربعة وعشرين وفي الخماسي مائة وعشرين**[٨]» . والطريف أن مختلف هذه الإمكانات التي يوفرها الاشتقاق الأكبر على اتساعها مترابطة ومتآلفة في ما بينها ترابطًا معنويًا خُلق نتيجة اتفاق في« المادة».

(٧) ابن مراد ،مقدمة لنظريّة المعجم، ص ١٢٢.

(٨) ابن مراد، المرجع نفسه، ص١٢٣.

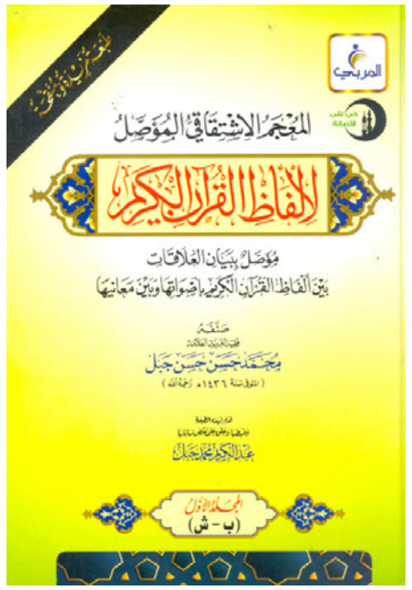

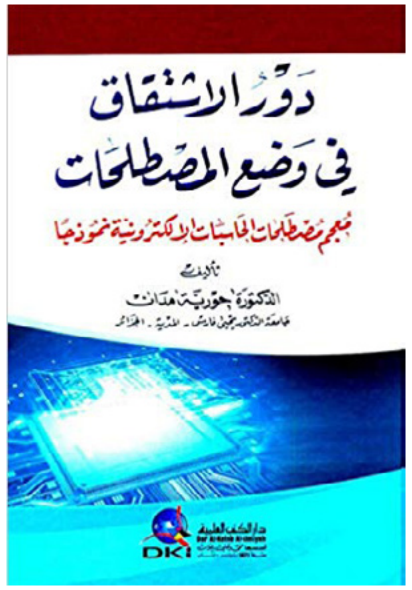

نلاحظ أن **النُّحاة العرب كانوا على دراية بأهميّة العلاقات شكليّة الرابطة بين الأدلة اللغويّة وبقدرتها على تجميع ما يبدو مختلفاً في اللغة وردّه إلى الطبيعة الائتلافيّة فيه.**

٣-العلاقات الصّرفية الاشتقاقيّة[٩] :

نُشر لإبراهيم بن مراد مقال بعنوان «**الصيغميةُ المعجميةُ**» في العددين الثاني عشر والثالث عشر من مجلة المعجميّة التونسية، وظهر هذا العدد سنة ١٩٩٧، وفيه ناقش علاقة الصيغمية بالمعجم ودورها في الكشف عن بنيته الخاصة.

انطلق ابن مراد في بحثه من تقسيم علم الصرف إلى فرعين كبيرين وبيان حدود كلّ قسم منهما. **وجعل القسم الأول من نصيب علم الصرف الاشتقاقي**، وربطه بالنظريّة المعجمية، فهو يبحث في بنية الوحدة المعجميّة، وفي قواعد تكوّنها وتولّدها صرفيًا.

أمّا القسم الثاني فهو علم التصريف، وعدّه من مكوّنات النظريّة النحوية حيث يهتمّ «بالبحث في الوحدات المعجمية» في حال تصريفها إذا كانت مستعملة في الجملة، أي: إذا أضيفت

(٩) ابن مراد، الصيغمية المعجمية، مجلة المعجمية، ١٢-١٣/١٣٠.

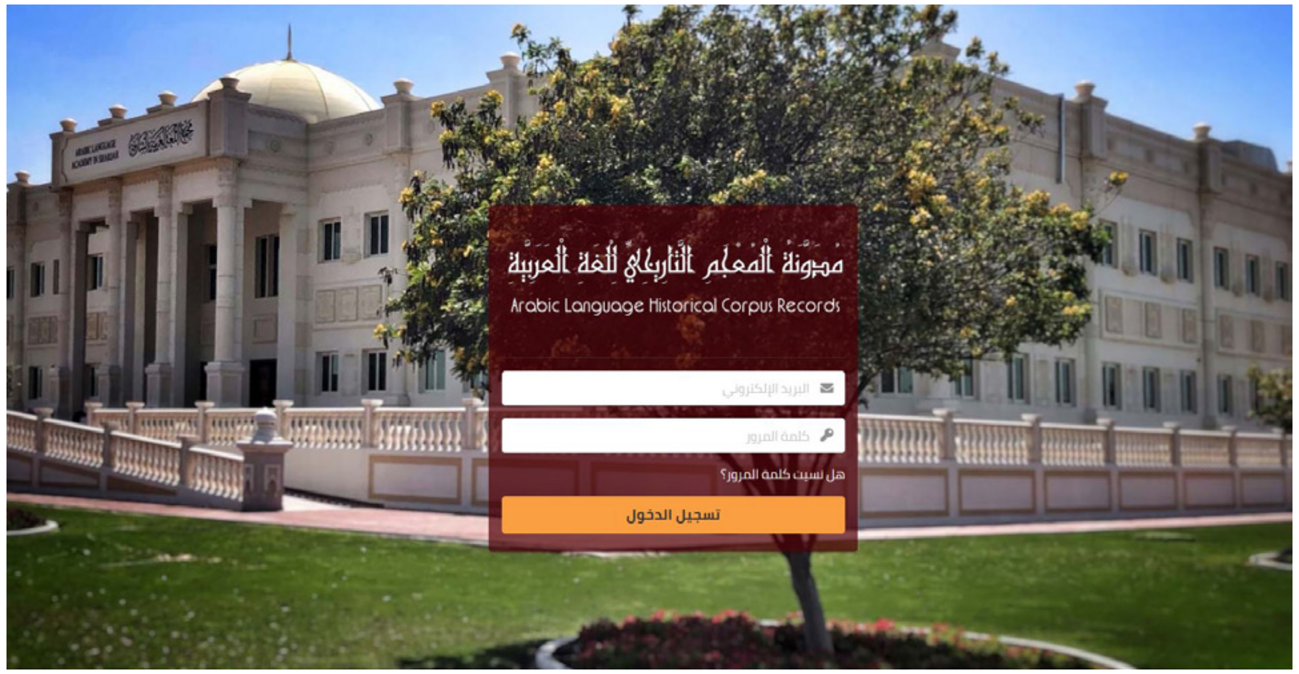

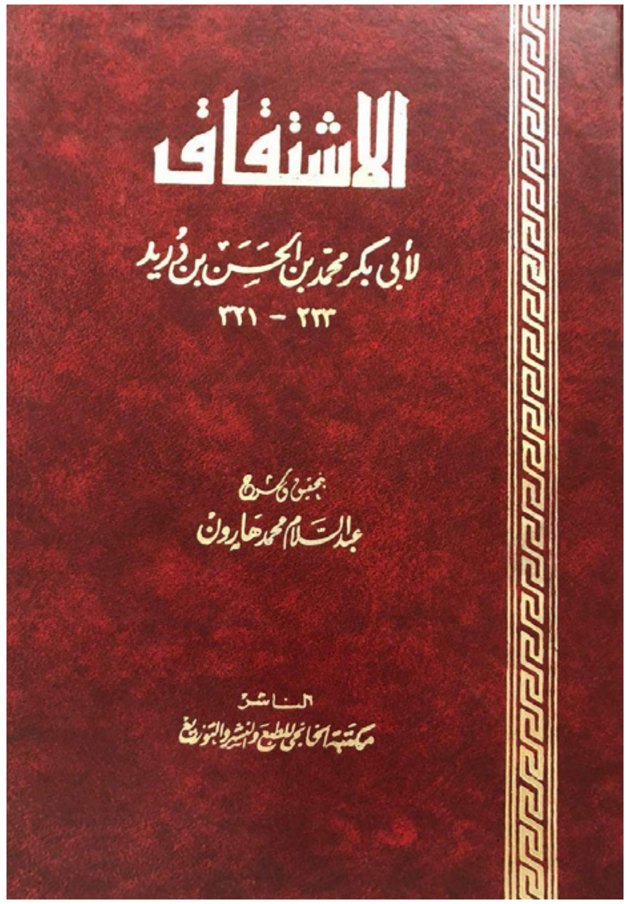

إليها الزوائد التصريفية[١٠] . **يعكس هذا التمييز بين فروع علم الصرف وضوح معالم النظريّة المعجميّة والوعي بمكوناتها وتوابعها وفصلها عمّا هو تابع للنظريّة النحوية، وهو ما سيسهل عمليّة تتبع حدود العلاقات المعجمية بين مفردات الرصيد اللغوي**، ويرى ابن مراد أنّ «ما يربط «الصيغميّة» بعلم المعجم، ويجعلها تابعة له هو دور الصياغم في تمكين الوحدات المعجمية من الاستقلال بخصيصة تمييزية تمكّنها من الاختلاف في وسط جموع الوحدات اللغوية[١١]»، أي الخاصيّة التي تكون للصياغم في التمييز بين الوحدات المعجميّة، وهذه الخاصية تدرج الصياغم في نظام العلاقات الاختلافية في المعجم[١٢] .

ويمنح هذا النمط من العلاقات الوحدة المعجميّة ذاتيتها وتفرُّدها ويبيّن وجوه تميّزها في وسط الجمع الغفير من المفردات اللغويّة. فإذا كانت اللغة العربية قائمة على نظام صيغي فلا بدّ لمفرداتها ألّا تخرج عن هذا النظام.

(١٠) ابن مراد، مجلة المعجمية، ١٢ ١٣/١٢١.

(١١) بن مراد، الصيغمية المعجمية، مجلة المعجمية، ١٢-١٣/١٣٣

(١٢) المرجع نفسه، ص١٣٠.

القاموس المحيط.. صورة غير نمطية

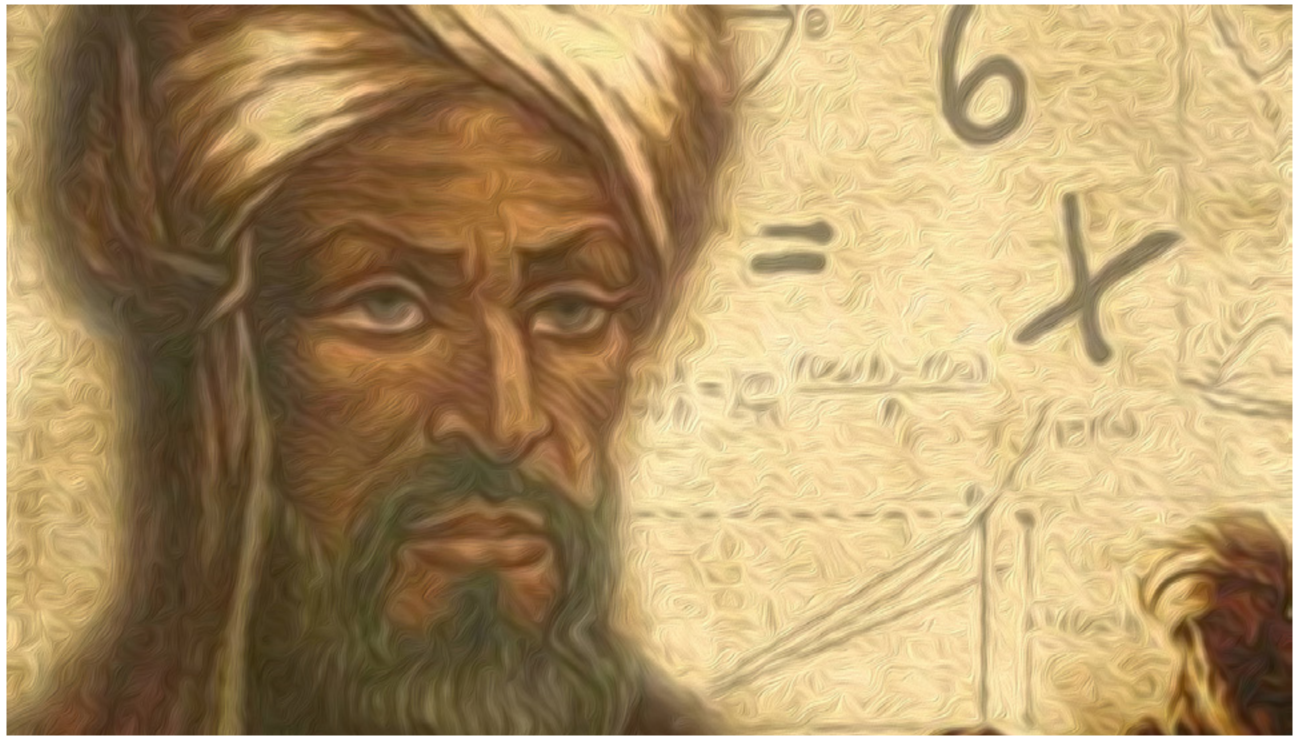

القاموس المحيط عَلَمٌ على واحد من أشهر المعاجم العربية، ألّفه القاضي واللغوي الكبير مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (٧٢٩- ٨١٧هـ/ ١٣٢٩ - ١٤١٥م) وسماه «القاموس المحيط، والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط»، والقاموس في الأصل لجة البحر كما فسّره المؤلف في مادته (ق م س)، أو «البحر الأعظم» كما علل به التسمية في ديباجته. وقد ألقى الله القبول عليه، ونَشَرَهُ ونَفَعَ به، حتى أصبح «القاموس» علمًا على المعجم أيا كان مجاله ومؤلِّفه؛ لذا فتعداد فضائله ومزاياه من باب تحصيل الحاصل.

بيد أن القاموس - مع قيمته العلمية وعلوّ كعب مؤلفه - عمل بشريٌّ، وقد «أبى الله أن يصح إلا كتابه»، ومن الطبيعي أن لا يخلو من ثغرات ومآخذ؛ بعضها من المؤلف، وبعضها نشأ من مرور الزمن وحيوية اللغة؛ لذا فقد آثرت أن أقف مع نماذج من تلك الاستثناءات التي تؤكد مكانة القاموس وفضل مؤلفه رحمه الله.

محمدو السالم جدو
عضو مجلس اللسان العربي بموريتانيا
أستاذ علوم شرعية ولغوية

أولاً: مدلول الرموز

كغيره من المؤلفين وضع الفيروز آبادي رموزا لما يكثر تكرره؛ ولي توقف مع بعضها:

١. وضع إشارةً للموضع (ع)، وثانية للبلد (د)، وثالثة للقرية (ة)، والرابط بين الإشارات الثلاث تعلقها بالأرض، **وإن أعوزتها الدقة من وجهين:**

أ. تَدَاخُلُ الدلالة، أو تقاربها في أحسن الأحوال، وكونه لم يحدد مدلول كل منها لديه، وإنما ترك تحديده للعرف.

ب. الظرفية؛ فما كان خرابًا يبابًا في عصر المؤلف قد يصبح قرية، وما كان قرية قد يصبح مدينة، وكلاهما قد يصبح أثرًا بعد عين، وبذا يفقد التعريف خاصيته مع الزمن.

٢. أشار لكل مشهور بكونه معروفًا (م) استحضارا لأنّ «تفسير الواضح يزيده إشكالا»؛ لكن كثرة المعروفات قد تضع القارئ في حيرة من أمره؛ فإذا كان الماء معروفًا، والسيف معروفًا، والقا معروفًا، والناقة معروفة، فهل السيف هو الناقة، أم القا هو الماء..؟ الحل هو في تعريف كُلٍّ على نحو علمي.

ثم إنّ ما كان معروفًا في عصر قد يصبح مجهولا في آخر، تبعا لاختلاف الأزمنة والأمكنة.. فإذا كان الرمح والخباء معروفين قديمًا، فقد اختلف الحال الآن؛ شأنهما شأن مفردات اختفت، وأخرى اكتسبت دلالات جديدة، ومن القسم الأخير (بالمعاني القديمة):

- القنبلة: الجماعة من الناس أو الخيل، جمعها قنابل.
- النيزك: الرمح القصير، جمعه نيازك.
- السيارة: المسافرون، وتكرر ورودها في القرآن العظيم، كقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] .
- القطار: ما تتابع من مُزْن أوْ إبِل أو غيرهما.
- الحانوت: دكان الخمَّار، أو الخمار نفسه (بائع الخمر).
- القهوة: الخمر، وشدة الشبع، واللبن المحض.
- الغاز: من أسماء الأعلام، ومنه هشام بن الغاز (تابعي)، وربيعة بن الغاز (قيل بصحبته) رضي الله عنهما.

وكثيرًا ما عرّف امتداد مكان ما أو المسافة بينه وبين آخر بحساب الزمن؛ كأن يقول: ثلاثة أيام، وقد تغيرت وسائل السفر، ومن ثَمّ تغيرت مدته، فصار يحسب بالدقائق ما كان يحسب بالأيام. ولو أنّه حدّد بأحد مقاييس المسافة (كما يفعل أيضا) لأمكن تحديد المكان في عصرنا الحاضر.

ثانياً: تأثير المنافسة

قصد الفيروزآبادي بيان فضل كتابه على صحاح الجوهري كما صرح به في ديباجته: «**وَلَمَّا رَأَيْتُ إِقْبَالَ النَّاسِ عَلَى صِحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُ فَاتَهُ نِصْفُ اللُّغَةِ أَوْ أَكْثَرُ؛ إِمَّا بِإِهْمَالِ الْمَادَّةِ، أَوْ بِتَرْكِ الْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ النَّادَّةِ، أَرَدْتُ أَنْ يَظْهَرَ لِلنَّاظِرِ بَادِئَ بَدْءٍ، فَضْلُ كِتَابِي هَذَا عَلَيْهِ، فَكَتَبْتُ بِالْحُمْرَةِ الْمَادَّةَ الْمُهْمَلَةَ لَدَيْهِ، وَفِي سَائِرِ التَّرَاكِيبِ تَتَّضِحُ الْمَزِيَّةُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ أَذْكُرْ ذَلِكَ إِشَاعَةً لِلْمَفَاخِرِ؛ بَلْ إِذَاعَةً لِقَوْلِ الشَّاعِرِ: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ**».

وقد يأتي بما لا تفسير له لديه لإثراء مادة القاموس؛ كما في «ع ط ر س»إذ قال: «عُطْرُوسٌ، كعُصْفُور، في شِعْرِ الخَنْساء، في قولها: إذا تَخالَفَ ظَهْرَ البيضِ عُطْرُوسُ

ولم يُفَسَّرْ. قاله ابنُ عَبَّاد، ولم نَجِدْهُ في ديوانِ شِعْرِها».

وقد راجعت أنا ديوانها فلم أجد الشاهد به، والله أعلم بفائدة إيراد لفظ لا يُعرف تفسيره ولم تثبت نسبته إلى قائل، إلا إذا كان لتقييده بالحمرة!! ومن هذا قوله: «جَحْلَنْجَعُ (...) ذَكَرُوه ولم يُفَسِّرُوه».

ثالثاً: الإغراب

- في مادة «روح» قال الفيروز آبادي ﷺ متحدّثا عن معاني الرُّوح: «ومَلَكٌ وجْهُهُ كَوَجْهِ الإنسانِ وجَسَدُهُ كالملائكَةِ»، ومن المعلوم أن الملائكة روحانية ليست لها أشكال جسدية ثابتة حتى يمكن التشبيه بها.

– وفي مادة «ب ج د» يقول: «وأبْجَدْ، إلى قَرَشَتْ، وكَلَمُنْ رَئيسُهُم: مُلوكُ مَدْيَنَ، ووضَعوا الكتابَـة العَرَبِيَّةَ على عَدَدِ حُرُوفِ أسمائِهِم، هَلَكوا يومَ الظُّلَّةِ، فقالت ابْنَةُ كَلَمُنْ:

كَـلَـمُـنْ هَــدَّمَ رُكْنـي
هُـلْـكُـهُ وَسْــطَ الْمَـحَـلَّـهْ
سَـيِّــدُ الْـقَــوْمِ أتَــاهُ الْـ
حَـتْـفُ نَــارًا وَسْــطَ ظُلَّــهْ
جُـعِلَــتْ نَــارًا عَلَيْـهِــمْ
دَارُهُــمْ كَــالْمُـضْـمَـحِلَّـهْ

ثم وجَدُوا بعدَهُم: «ثَخَذْ ضَظَغْ فَسَمَّوْهـا: الرَّوادِفَ».

ومـع مـا فـي هـذا التركيـب ممـا لا يخفـى فـإن مـن دواعـي العجب ورود مثـل هـذا عـن أحـد أعـلام اللغـة والقضـاء وغيرهمـا لأسـباب كثيـرة، منهـا:

١– انقطاع السند وبُعْد الزمن بيننـا وبيـن هؤلاء الذيـن لا ندري عنهم إلا مـا جاءنا عن طريق الوحي، وليس منه هذا.

٢– أن الحـروف إنّمـا هـي رمـوز أصـوات تتالـى علـى نحـوٍ مـا للتعبير عـن مرامٍ مـا.

٣– أنـه لا يعـرف لسـان ولـد علـى هذا النحـو الغريب؛ أحرى لسـان اختـاره الله لكتابه المعجز.

٤– أن العلمـاء اختلفـوا هـل اللغـة العربيـة توفيقيـة أم توقيفيـة، ولكن أيـا ممن يعتـد بـه من الفريقيـن – في علمي – لـم يزعم هذا الزعـم الغريب.

٥– أنـه لـم يقـل لنـا بمـاذا كان مجتمـع هـؤلاء يتخاطـب قبـل ولادتهـم وتسميتـهـم ثـم تشكيل لغـة مـن أسمـائهم، وبـأي لسـان سُمُّوا..؟ إلـخ.

٦– أن الأبيـات تضمنـت الضـاد (المضمحلـة)، والظـاء (ظلـه)، ومقتضـى الحكايـة أنهمـا مـن حـروف لـم تكـن قـد وُجِدَتْ بعدُ.

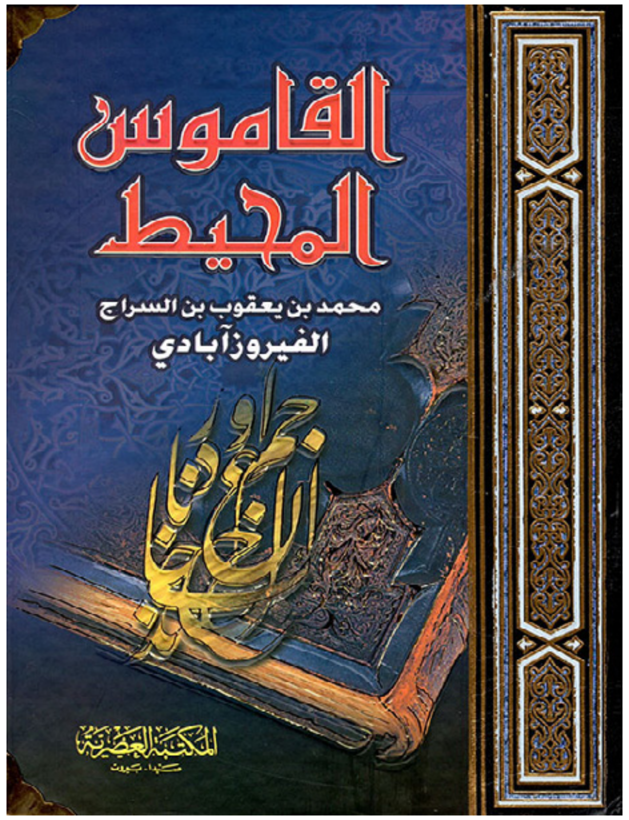

٧– أن الأبيـات المذكـورة شعر تـام المقـاييس (شكليا على الأقل، مجزوء الرمَل) ولا يمكن أن تكون لغتـهـا في طور التشكل الأبجدي!!

ومع كل هذا أورد مـا سبق دون أي تـحفظ أو تمريض!!.

أمــا أصحــاب مَدْيَـنَ فقـد وردت النصـوص القطعيـة بوجودهـم وببعـض شأنــهم.

ومـا أحسن قـول ابن سـلام فيمن يتقـول مثل مـا سبق: أفـلا يرجع إلـى نفسـه فيقـول: مـن حمـل هـذا الشعر؟ ومـن أَدَّاهُ منذ آلاف مـن السنين والله يقول: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجـم٥٠، ٥١]

(طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، ١٩٧٤، ١/ ٨ – ٩)

– وتبلـغ الغرابـة حدهـا الأقصـى في مـادة «ف ص ل» حين يقول: «مـاتَ عُمَيْرُ بنُ جُندبٍ من جُهَيْنَةَ قُبَيْلَ الإسلامِ، فَجَهَّزوهُ بِجَهازِهِ، إذْ كَشَفَ القِنـاعَ عـن رأسِـه، فقـالَ: أيْنَ القُصَـلُ؟ (والقُصَلُ أحَدُ بني عَمِّـهِ). قـالـوا: سبحـان اللهِ! مَـرَّ آنفـاً، فمـا حـاجَتُـكَ إليه؟ فقـال: أُتيتُ فقيلَ لـي لأُمِّـكَ الهَبَـلُ. ألا تَـرَى إلـى حُفْرَتِـكَ تُنثَـلُ. وقـد كـادَتْ أُمُّـكَ تَثْكَل. أرأيتَ إنْ حَوَّلْنـاك إلـى مُحَوَّلْ. ثم غُيِّبَ في حُفْرَتِـكَ القُصَلْ. الـذي مَشَـى فـاحْزَأَلْ. ثـم ملأْنـاهـا مـن الجَنـدَلْ. أتَعْبُـدُ رَبَّـكَ وتُصَلّْ. وتَتْرُكُ سَبيلَ مـن أشْرَكَ وأضَلّْ؟ فقلـتُ: نَعَـمْ. قـال: فـأفـاقَ، ونَكَـحَ النِّسـاءَ، ووُلِـدَ لـه أولادٌ، ولَبِـثَ القُصَـلُ ثلاثـاً، ثم مـاتَ ودُفِـنَ في قَبْرِ عُمَيْرٍ».

وعلـق عليـه الزبيـدي بـالقول: «وَهَـذَا الخبرُ قد رواهُ الشَّعبِيُّ بسندِهِ: أُغْمِـيَ علـى رَجُـلٍ من جُهينَـةَ، فلمّـا أفـاقَ قـالَ: مَـا فعَـلَ القُصَلُ.. وحَكاهُ غيرُه، وَفِـي السِّيـاقِ بعضُ اختـلافٍ». فـإذا كان الأمر إغماءً كمـا هنـا، لا موتًا كما هناك، فلا إشكال.

رابعاً: متفرقات

– قـد يأتـي الفيروزآبـادي بمـا يُوهـم التقييد دون أن يكـون الأمـر كذلك، أو فيمـا فيه نظر، مع أنّ من الضروري في هذا المجال الدقّة والصرامـة قـدر الإمـكان؛ ففـي مـادة «أ ز أ» قـال: «أَزَأَ الغَنَـمَ، كَمَنَـعَ: أشْبَعَهـا»، وفـي ذكر الغنـم إيهـام بتخصيص اللفظ بهـا، ولعله غير مقصود.

وفـي مـادة «ب د أ» يقـول: «وبـدأ مِـنْ أرْضِـهِ: خَـرَجَ»، وظاهـر هـذا اللفـظ تقييـد البـدء بكونـه مـن أرض الفـاعل، وهو مـا تنطق الشواهد بعكسه.

– وقـد يُقَـدِّم المعنـى المجـازي علـى الحقيقـي، كمـا فـي مـادة «ف ي أ» حيث قـال: الفَـيْءُ: مـا كـانَ شَمْسـاً فَيَنسَـخُهُ الظِّلُّ (...) والفيء الغَنِيمَـةُ، والخَـراجُ، والقِطْعَـةُ مـن الطَّيْـرِ، والرُّجُـوعُ.. وأصـل اللفظ الرجـوع فكان ينبغـي تقديمه.

وكقولـه: الرَّجْـمُ: القَتْـلُ، والقَـذْفُ، والغيـبُ، والظَـنُّ، والخليـلُ، والنَّديـمُ، واللَّعْـنُ، والشَّـتْمُ، والهِجْـرانُ، والطَّـرْدُ ورَمْـيٌ بـالـحجـارة، واسْـمُ مـا يُرْجَـمُ بـه. (ر ج م) ومراعـاة الحقيقـة تقضـي بتقديـم الرمـي بـالـحجـارة على سـائر معـاني اللفظ. قـال الجوهري: «الرجم القتـل، وأصلـه الرمـي بـالـحجـارة».

– خلافـا لمـا اطلعـت عليـه مـن المعاجـم قـد يكـرر الفيروزآبـادي التعبير في المادة الواحدة دون داعٍ لذلك؛ ففي مـادة «ح ل أ» يقول: «حَـلأَهُ، كَمَنَعَـهُ (...) وَحَـلأَ فُلانـاً كـذا دِرْهَمـاً: أعطـاهُ إيَّـاهُ» وبعد كلام عطَـفَ الرباعـيَّ مُشَدَّدَ الـلام قـائـلا: «وَحَـلَّأه دِرْهَمـاً: أعْطـاهُ إيَّـاهُ» وكان يكفيـه لـو قـال: «وَحَـلأَ فُلانـاً كذا دِرْهَمـاً: أعطـاهُ إيَّاهُ، كحـلَّأه» كمـا هو أسلوبه فـي مثل هذا.

وفـي مـادة «و ج ب» قـال: وجـب أكَلَ أكْلَـةً واحـدةً فـي النَّهـارِ كأوْجَبَ ووجَّبَ إلى أن قـال: «والوَجْبَةُ: السَّقْطَةُ مع الهَدَّةِ، أو صَوْتُ السَّاقِطِ، والأَكْلَـةُ فـي اليَـوْمِ واللَّيْلَـةِ، أو أكْلَـةٌ فـي اليَـوْمِ إلـى مِثْلِهـا مـن الغَدِ».

– قـد يجتـزئ الفيروزآبـادي ﷺ ببعـض المعانـي عـن بعـض كاقتصـاره فـي مـادة «ص ب ح» علـى الظـرف وإغفـالـه المصـدر الميمي، إذ قـال: «والمُصْبَحُ، كمُكْرَمٍ: مَوْضِعُ الإصْباحِ، ووَقْتُه». وفي «ف ر ق» أغفل ظرف الزمـان في قوله: «والمُنفَرَقُ: يكونُ مَوْضِعاً ومَصْدَراً». وفـي «ض م ر» قـال: «وأضْمَرَه: أخْفـاه، والموضعُ والمفعولُ: مُضْمَرٌ» فـأغفـل المصـدر الميمـي واسـم المكـان.. إلخ.

ختـامـا أقـول: إنّ هـذا المقـال جـاء خدمـة للحقيقـة، لكنّـه يندرج في الثنـاء على الفيروزآبادي وقـاموسـه المحيط.

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها؟
كفى المـرء نُبـلا أن تُـعد معايبه

كُتُبُ التراجِم الجزائريَّة الذَّاكرةُ الحَيَّة

د. مختـاريـة بن قبليـة
أستاذة اللسانيات وفقه اللغة والسيميولوجيا كلية الأدب العربي والفنون

عرفت حركة التأليف في الجزائر بدايتها الجادة في العصر الرُّستميّ الذي شهد نقلة نوعية في ميادين العلوم والمعرفة (الاقتصادية، والعمرانية، والسياسية، والفكرية، والفنية، والعلمية...)، غير أنّ عدد المؤلفات التي وصلتنا من هذا التراث بعيد جدًّا عن العدد الحقيقي، فمعظمها قد ضاع بمرور السنين، ولعل الجزء الأكبر منها قد أُتلِف في حادثة حرق مكتبة « المعصومة» (مرتاض، ٢٠٠٠ ؛ ٤٥) التي شُيّدت على يد الرَستميّين، فكانت ثروة فكرية وعلمية حقيقية أضاعتّها أحداث التاريخ. وفي ظل غياب الكثير من المؤلفات القديمة تبقى الإشكالية قائمة في كيفية تعريف الأجيال الجديدة بهذا التراث، ومن هنا تظهر حاجتنا إلى كتب التراجم؛ لا لأنّها عيّنة من التراث الأدبي وحسب، وإنما لكونها الذاكرة الحية التي حفظت أسماء الأعلام وتفاصيل حياتهم الشخصية والعلمية، كما أنّها تخبرنا عن المؤلفات؛ الضائع منها والباقي. ومن أشهر ما كُتب عن أعلام الجزائر:

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ت:١٠٣٦هـ).
- تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت: ١٣٦٠ هـ) بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول.
- عنوان الدراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد الغُبريني (ت: ٧٠٤هـ).
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد الله محمد بن مريم التلمساني.

علم التاريخ يعتني به كل ذي همة زكية

- معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض.

إنَّ علم التاريخ هو الحامل لخصوصيات وتفاصيل حياة الأمم في كل المجالات؛ ابتداءً من المظاهر الحياتية العادية، إلى تفاصيل الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والفكرية، وتحمل مؤلفاته –وعلى رأسها التراجم– من الأسماء ما له علاقة بكل تلك الميادين، فتُعرّفنا بأشخاصهم وسيرهم العلمية، وفي ذلك نذكر قول أحمد بابا التنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ): «لما كان علم التاريخ ومعرفة الأئمة من علماء الملة، من الأمور العلية، يعتني به كل ذي همة زكية؛ إذ هم نقلة الدين وحملة الشريعة المحمدية، وبه يتميّز الصالح من الطالح، والمسخوط من المقبول، ويعرف ذو العدل منهم ومن هو مجهول، فيعطي كل ذي حق حقه». وقد اعتنى الأئمة قديما وحديثًا بالوضع فيه على أنحاء متفاوتة، وأضرب متباينة؛ فترجموا للمحدِّثين والرواة وأهل الفقه والعلوم على اختلافها.

> **"علم التاريخ يعتني به كل ذي همة زكية"**

يَعدّ التنبكتي فنّ التراجم من الأساسيات، وهو يذهب إلى أنّ المترجمين قد اقتدوا في أعمالهم بما جاء في القرآن والسنة والأثر، فمن «أخبار الأمم السالفة ما فيه عبر لذوي البصائر. قال تعالى –وهو أصدق القائلين ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]
وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ﴾ [القمر: ٤، ٥]
وحدّث النبي ﷺ حديث أم زرع وغيره لما جرى في الجاهلية والإسلام، وبعض الأحاديث عن أخبار بني اسرائيل، وحكى عجائب الإسراء والمعراج، وقيل: «الجاهل بالتاريخ راكب عمياء، وخابط خبط عشواء، ينسب إلى من تقدم أخبار من تأخر، ويعكس ذلك ولا يتدبر»

(١٩٨٩: ٣٠).

أما ابن مريم فيقول في فن التراجم: «اعلم أنّ طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم، وكذلك معرفة أفاضل الأمة من صحابيّ وتابعيّ وفقيه، ومن الكمال معرفة تاريخ موتهم وولادتهم ليتميّز من سبق ممن لحق، ... واعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء من مهمات الطالب، وكذلك ما ألفوه في حصر المسائل» (١٩٠٨: ٣٠٨)، وينبّه ابن مريم إلى أن طلاب العلم قد يقعون في أخطاء بسبب جهلهم للسابقين واللاحقين من أهل العلم، ويشير إلى أن ابن الخطيب القسنطيني قد نبّه على ذلك أيضًا في كتاب البستان.

لقد عرف علماء الأمّة فضل معرفة أهل العلم من أمّة محمد ﷺ، فكتبوا عن هؤلاء عموما، واختار البعض أن يحدّد التراجم بحدود جغرافية، فكتب عن علماء القُطر الواحد، بل وخصّص دراسات عن منطقة بعينها، كبجاية وتلمسان وبونة وغيرها. ولم يختصّ أهل الجزائر وحدهم بدراسة علماء بلدهم، بل إنّ أحمد بابا التنبكتي –مثلا– قد اهتم بعلماء المغرب عامة، ومثلُه الكاتب المعاصر عادل نويهض الذي أُعجب أيما إعجاب بصنّاع الحضارة الجزائرية، فاهتم بجمع المعلومات عنهم من شتى المصادر والمراجع ليصنع معجمه الخاص، وفي ذلك يقول: إنّ «تاريخ هؤلاء الأعلام من أبناء القطر الجزائري موزّع في كتب التاريخ والأدب، بعضه ممتزج بغيره من تاريخ أعلام الدول المغربية والمشرقية، وبعضه مدوّن في مؤلفات الجزائريين أنفسهم أو فيما ألّفه غيرهم من كتب عن تاريخ هذا القطر وأدبه وغير ذلك» (نويهض، ١٩٧١: ٦). ومن تلك المجموعة اخترنا أن نلقي الضوء على كتابَيْ: عنوان الدراية، والبستان.

عنوان الدراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد الغُبريني:

• **بجاية Bougie:**

بجاية؛ مدينة في شرق الجزائر، اختلف المؤرخون في تحقيق اسمها، فقيل: «كلمة بجاية اسم أطلق على المدينة في تاريخ غير معلوم ولعله متأخر العهد عن كلمة صلداي الفينيقية أو سلديا، وأطلق الفرنسيون عليها اسم بوجي Bougie؛ أي: الشمعة، ولعل هذا الاسم قد اشتق من شهرة أهلها بتجارة الشمع منذ عهدٍ بعيد، ويذكر ابن خلدون في تاريخه أنّ موقع مدينة بجاية كان قرية تسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أو بقاية (بقاف معقودة)؛ فأُطلق هذا الاسم على المدينة وسميت به بقايث بقاف معقودة وثاء في آخرها، وهذا الرأي الأخير لتأويل اسم بجاية هو الرأي الصحيح؛ لأنّ البربر قد تعوّدوا أن يطلقوا اسم أوّل قبيلة تنزل بموقع ما على ذلك الموقع نفسه» (الغُبريني، ١٩٨٣: ٣٣٨، ٣٣٩).

تعدُّ بجاية منارة من منارات الثقافة والحضارة الجزائرية، وقد نالت هذا الشرف في عهد الموحدين؛ إذ يُسجّل التاريخ أنه بنهاية «دولة بني حماد (٥٤٧هـ) على أيدي الموحدين، ودخول المغرب الأوسط تحت نظام الحكم الجديد، أخذت بجاية تفتح صفحة جديدة من صفحات تاريخها الثقافي والسياسي والعمراني والعلمي. ففي هذا العصر، أصبحت معقلا من أهم معاقل الحركة العقلية التي عرفها الشمال الإفريقي، ينتقل إليه عشاق الأدب وطلاب العلم والمعرفة من مختلف المدن والقرى... وقِبلةً تهوي إليها أفئدة المسلمين من بلاد الأندلس غربا إلى أصفهان في بلاد العجم شرقا، فاستهوت ألباب عدد غير قليل من مشاهير العلماء ومدرسي العلوم وأهل الفتوى والقضاء الأندلسيين والتونسيين والليبيين، كعبد الحق الإشبيلي (ت: ٥٨١هـ)، وابن سيد الناس اليعمري (ت: ٧٣٤هـ)، وأحمد بن خالد المالقي (ت: ٦٦٠هـ)، وغيرهم، فزاروها وأقاموا بها واتخذوها وطنًا. كما نبغ في هذا العصر عدد من العلماء الشعراء والكتّاب الجزائريين الذين نشؤوا في المدينة أو أخذوا عن شيوخها» (الغُبريني، ١٩٧٩: ٧).

"كتب التراجم هي الذاكرة الحية التي حفظت أسماء الأعلام وتفاصيل حياتهم الشخصية والعلمية"

صاحب الكتاب: أحمد الغُبريني:

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغُبريني، وجاء في الوفيات لابن الخطيب القسنطيني (ابن قنفذ)

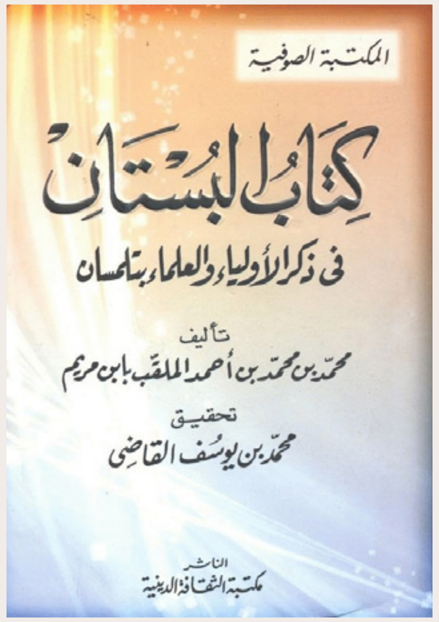

(ت: ٨١٠هـ)، ومثله في (لقط الفرائد) لابن القاضي المكناسيّ (ت: ١٠٥٢م) أنّه أحمد بن محمد، لكنّ الأرجح هو ابن أحمد حسب ما جاء في (الديباج المذهب) لابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ)، و(نيل الابتهاج) للتنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ)، وغيرها من المصادر والمراجع (الغُبريني، ١٩٧٩: ٩). وقد أغفل المترجمون ذكر تفاصيل ميلاده، لكنّ رابح بونار –أثناء تحقيقه لعنوان الدراية– يرجح بعض الآراء القائلة: إنّ ولادته كانت ببجاية أو ببني غُبرين سنة ٦٤٤هـ، ويوافقه في ذلك عادل نويهض. أما عن تفاصيل وفاته فقد اختلفت الروايات؛ إذ يورد رابح بونار قصة مقتله في السجن في سنة ٧٠٤هـ لأسباب سياسية، وينقل ذلك من تاريخ ابن خلدون (الغُبريني، ١٩٨١: ١٣). وهذا الرأي موافق لما جاء في الوفيات؛ إذ يقول ابن قنفذ القسنطيني: «توفي الفقيه المحدِّث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني صاحب ((عنوان الدراية)) وغيره شهيدا سنة أربع وسبعمائة» (١٩٨٣: ٣٣٨، ٣٣٩). بينما يرجح عادل نويهض في تحقيقه لعنوان الدراية: «أنّ الغُبريني قد توفي بمدينة بجاية سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٥م نتيجة إصابته بالطاعون» (١٩٨٣: ١٤).

> **الجاهل بالتاريخ راكب عمياء، وخابط خبط عشواء، ينسب إلى من تقدم أخبار من تأخر، ويعكس ذلك ولا يتدبر**

محتويات الكتاب ومنهجه:

(عنوان الدراية) هو معجم خاص بتراجم أعلام بجاية في القرن السابع للهجرة، وهي المدة التي عاش المؤلف نصفها الأخير، فعرف فيها الكثير ممن ترجم لهم؛ لذلك بقي كتابه إلى يومنا هذا مصدرًا موثوقًا ومعتمدًا من قِبَل معظم مؤلفي معاجم الأعلام العربية المتأخرة عنه. أما الدافع الذي جعله يخطو هذه الخطوة الجبارة في فن التراجم، فهو فهمه لضرورة تعرّف المتلقي على من يأخذ عنهم بطريقة الإسناد، إذ يقول: «فإنّه لما كان طلب العلم اللدني فرضًا على الكفاية حينًا ومتعيّنًا في الحال، ولم يكن بد في تحصيله من تلقيه عن الرجال، وكان التلقي إما بمباشرةٍ أو عن سند ذي اتصال، وكان المباشر تكفي

معرفته، والمسند عنه لا بد أن تعرف صفته؛ فلذلك اهتم العلماء بذكر الرجال» (الغبريني، ١٩٨٣: ٥٤).

اعتمد الغُبريني في جَمْعِه مادةَ المعجم على حصر أسماء أبناء بجاية، والمقيمين بها، والوافدين إليها من باقي نواحي المغرب الأوسط (الجزائر)، ومن المغرب والمشرق والأندلس. لذلك نجده يذكر أعلام قسنطينة ووهران وتلمسان وبونة وغيرها لكونهم قد زاروا بجاية لتحصيل العلم أو للتدريس أو للإقامة والاستقرار. وجاء هذا المعجم شاملا معظمَ العلوم والفنون السائدة في تلك المدة، ولم يكن من السهل التمييز بين الأديب والفقيه والمفسر واللغوي وما شابه، فعلماء ذلك العصر قد نهلوا من كل العلوم والفنون وبرعوا في معظمها. وعلى العموم؛ يمكننا أن نحصر اتجاهاتهم وتياراتهم الفكرية في المحاور التالية (الغبريني، ١٩٧٩: ٤١):

١) محور الفقه وما يتبعه من علوم الدين والتفسير والحديث...

٢) محور الأدب من شعر ونثر، وتلحق به المدائح النبوية.

٣) محور المباحث الفلسفية والتصوف بقسميه السني والفلسفي.

أما عن طريقة الترجمة لكل علَم، فكانت تلك المعروفة في معظم معاجم الأعلام، من تحقيق لاسم العَلم كاملا، وذِكْر الكُنى والألقاب إن وجدت، وذكر النسب، والمدن التي انتمى إليها صاحب الترجمة أصلا وولادةً وإقامةً، والتحقيق في تاريخ ومكان الميلاد والوفاة. ثم التفصيل في حياته العلمية أو الفكرية أو الأدبية ابتداء من مراحل الدراسة الأولى إلى مرحلة التدريس أو التأليف. كما يهتم هذا المعجم بالأحداث والتجارب والمواقف المميّزة في حياة العلَم. وقد تقصر الترجمة أو تطول بحسب المعلومات المتوفّرة عن كل شخصية. بينما نلاحظ على هذا النوع من الكتب استعمال لغة أدبية جميلة بعيدة كل البعد عن اللغة الجافة للمعاجم الحديثة، وهذا ما جعلها نوعا أدبيا نثريا مثله مثل باقي الفنون النثرية.

البستان في ذِكْر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد الله محمد بن مريم التلمساني:

- **تلمسان** :

يصفها الإدريسي بمزيج من المعلومات الجغرافية والتاريخية والاقتصادية وما شابه في نص أدبي قائلا: «تلمسان مدينة أزلية لها سور حصين متقن الوثاقة. وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين، وعلى هذا الجبل حصن بناه المصمودي قبل أخذه تلمسان، ... وهذا الوادي يمر في شرقيّ المدينة وعليه أرحاء كثيرة، وما جاورها من المزارع كلّها مسقي، وغلاتها ومزارعها كثيرة، وفواكهها جمّة، وخيراتها شاملة، ولحومها شحمية سمينة. وبالجملة: إنّها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجاراتها، ولم يكن في بلاد المغرب، بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا» (العربي، ١٩٨٣: ١٤٩، ١٥٠). ولأنّها تحتل موقعا مهمًّا بين بلدان المغرب العربي؛ يقول عنها

الإدريسي: «ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حالة» (العربي، ١٩٨٣: ١٥١). ولهذا السبب كانت مركزا من مراكز العلم والأدب. فقد استقطبت عددًا ليس بالقليل من علماء وأدباء المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، والأمة الإسلامية بمشرقها ومغربها، هذا بالإضافة إلى أبناء تلمسان أنفسهم؛ إذ عُرفوا بحبّهم الشديد للعلم بشتى فروعه، وكان ذلك دافعا رئيسًا إلى تأليف كتاب البستان.

صاحب الكتاب: ابن مريم:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم (نويهض، ١٩٨٠م: ٢٩٢) الشريف المليتي المديوني التلمساني (التلمساني، ١٩٠٨: ٥)، المتوفى في ١٠٢٥هـ/ ١٦١١م (نويهض، ١٩٨٠: ٢٩٢)، واحد من علماء تلمسان، تتلمذ على يد أبيه محمد. يقول عنه عادل نويهض إنّه: مؤرخ، بحّاث، مشارك في عدّة علوم، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان وتوفي بها، له البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، انتهى منه سنة ١٠١٤هـ (١٩٨٠: ٢٩٢، ٢٩٣). وله كتب أخرى عديدة ذكرها في خاتمة البستان (١٩٠٨: ٢٩٣). أما ابن مريم ذاته فيُؤكّدُ أنّه أنهى تأليفه هذا في سنة ١٠١١هـ (١٩٠٨: ٣١٤).

كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:

قال عنه صاحبه أثناء تعداد تآليفه: «ومنها هذا التأليف المشتمل على عدد أولياء تلمسان وفقهائها في حوزها وعمالتها الأحياء منهم والأموات، هذا ما أمكنني جمعه وأما الإحصاء فلا أقدر على إحصائهم» (١٩٠٨: ٣١٥). وقد اعتمد ابن مريم في معجمه هذا على ما يعرفه من جهة، وعلى المعاجم التي سبقته من جهة أخرى، فانتقى منها من الأسماء ما له علاقة بتلمسان (من حيث الأصل والمولد والنشأة والإقامة...)، وهو يخبرنا بذلك

في معجمه قائلا: «وقد انتخبته من نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ أحمد بابا السوداني، ومن بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد، ومن تقييد سيدي محمد السنوسي في مناقب الأربعة، ومن روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين، ومن النجم الثاقب، ومن الكواكب الوقادة فيمن كان نسبته من العلماء والصالحين القادة، ومن كتب عديدة» (١٩٠٨: ٣١٤).

من بين الكتب التي اعتمدها ابن مريم كتاب نيل الابتهاج، وهو يقر بذلك كما رأينا في خاتمة كتابه؛ وهنا يحضرني ما اطلعت عليه في ترجمة التنبكتي التي أوردها جماعة الطلبة الذين حقّقوا نيل الابتهاج؛ إذ نقلوا آراء بعض الدارسين حول المؤلِّف والمؤلَّف، ومن ذلك رأي محمد الهيلة في قوله: إنّ «التنبكتي اكتفى بنقل ما كتبه ابن مريم ونسب لنفسه ما نقله عنه، ثم أورد مقارنة بين نص ابن مريم التالي: «قلت: ذكر بعض أصحابنا وفاته سنة ٨٤٢هـ، وكذا رأيته مقيدا في بعض المواضع». وبين قول أحمد بابا، قلت: «ورأيت في بعض التقاييد أنّ وفاته سنة ٨٤٢هـ»، ولا تثبت المقارنة كما نرى تهمة النقل الحرفي غير الموثق(التنبكتي، ١٩٨٩: ٢١/٠١). والواضح أنّ الرأيين نابعان من التَخْمين والتسرّع في إصدار الأحكام، فرأي محمد الهيلة جاء متسرعا وغير موثّق، وأظنه قد حكم على التنبكتي بالنقل؛ لأنّه لا ينتمي إلى الديار الجزائرية بعكس ابن مريم، ثمّ إنّه لم يلاحظ تزامن الشيخين (ابن مريم ت: ١٠٢٥هـ، والتنبكتي ت: ١٠٣٦هـ)، بالإضافة إلى عدم اطلاعه على كتاب البستان كاملا ولاسيما الخاتمة، والملاحظ أيضا أنّه لم ينتبه حينما أورد نصّ ابن مريم أنّ هذا الأخير قال: «ذَكَرَ بعض أصحابنا» وهو يقصد معاصره «التنبكتي» وحده أو مع غيره وفقا لما صرّح به في الخاتمة. أما عن الطلبة الذين حققوا نيل الابتهاج، فيُلاحظ عليهم عدم الاقتناع بما قاله محمد هيلة، لكنّهم رفضوا رأيه لعدم وجود أدلة، إذ إن لم يكن لانتمائهم إلى إفريقيا الغربية أثر على حكمهم، والله أعلم، ولو أنّهم عادوا إلى البستان لتمكّنوا من دعم رأيهم بالحجة والبرهان.

المصادر والمراجع

١. عبد الملك مرتاض، ٢٠٠٠م، الأدب الجزائري القديم – دراسة في الجذور، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

٢. ابن مريم الشريف التلمساني، ١٩٠٨م، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر.

٣. أحمد بن أحمد الغبريني، ١٩٧٩م، عنوان الدراية ...، ط ٢، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

٤. أحمد بن أحمد الغبريني، ١٩٨١م، عنوان الدراية ...، تحقيق: رابح بونار، ط ٠٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٥. إسماعيل العربي، ١٩٨٣م، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

٦. عادل نويهض، ١٩٨٠م، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان.

٧. أحمد بابا التنبكتي (١٠٣٦هـ)، ١٩٨٩م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا.

٨. ابن قنفذ القسنطيني، ١٩٨٣م، الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدّثين والفقهاء والمؤلفين من ١١هـ إلى ٨٠٧هـ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

وقفة مع كتاب النوادر في اللغة

لأبي زيد الأنصاري

يعدّ أبو زيد الأنصاري علمًا من أعلام اللغة وإمامًا في طليعة المختصين بعلوم العربية وآدابها، وما عُرف به من سعة المحفوظ من آداب العرب وتأريخهم وأيامهم يدل على ريادة آرائه لكل ما جاءت به صفحات أمّات الكتب العربية ككتاب لسيبويه والمقتضب للمبرد والخصائص للمازني، والمنصف لابن جني، والإبدال لأبي الطيب اللغوي والغريب المصنف لأبي عبيد. واعتمد أراءه أهم مؤلفي المعاجم اللغوية التي ألّفت بعد زمانه؛ كالجوهري، وابن سيده وابن منظور. ترى أين تتجلى أهمية كتابه النوادر وما نوع المادة اللغوية التي حواها؟ وكيف عالجها أبو زيد؟ هذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال هذه المقالة التي سوف تجيب باقتضاب عن هذه التساؤلات.

د. مهدية بن عيسى
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية تلمسان

وقفة مع أبي زيد وكتابه النوادر:

أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ) إمام من أكابر أئمة اللغة والنحو والشعر والأخبار والأدب في العصر العباسي الأول، غلبت عليه اللغات والنوادر والغريب. وكانت حلقته واحدة من أكبر الحلقات العلمية في مدينة البصرة يختلف إلى مجلسه كثير من رواد العلم، فيأخذون عنه، ويعترفون له بالتقدم والفضل. فقد سُئل الأصمعي وأبو عبيدة عن أبي زيد، فقالا: «ما شئت من عفاف وتقوى وإسلام[1]» . وتردد على هذه الحلقة العلمية كبار العلماء، **قال الأصمعي: «رأيت خلف الأحمر في حلقة أبي زيد[2]»** .

كتاب النوادر في اللغة:

و يعدّ كتابه «النوادر في اللغة» أقدم ما وصل إلينا في موضوعه. والكتاب – في أصله– أمال عامة في اللغة كان أبو زيد يمليها في مجلسه بالبصرة ثم زاد عليه تلاميذه من بعده، وهو كتاب معتدل الحجم ولكنه غزير المادة اللغوية عرضها من خلال النصوص الشعرية والنثرية التي أوردها في الكتاب، ويحوي على قدر كبير من الألفاظ الغريبة.

والكتاب لا يخضع لمنهج معين أو طريقة واضحة في عرض مواده، فهو يورد النصوص الشعرية والنثرية إيرادا عفويا دون أن يضمها في إطار من نظام أو تبويب؛ ثم يتناول الألفاظ الغريبة بالشرح والتفسير، ولذا فإنه يصعب على القارئ أن يطلب مادة لغوية معينة منه.

يخلو الكتاب من مقدمة كما الخاتمة، يبتدأ بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه العصمة والتوفيق» ويختتم بـ: «تم كتاب النوادر وما يضاف إليه من كتاب مسائية بحمد الله ومنّه». أما ما نجده في أول الكتاب من كلام قبل باب الشعر، فهو من إضافة الشرّاح الذين تناولوا الكتاب بالشرح والتفسير والتعليق والإضافة. وليس جميع ما في الكتاب لأبي زيد مؤلفه، وإنّما أضاف الرّواة إلى مادته كثيرًا من آرائهم وتعليقاتهم وشروحهم، فنجد مثلاً الأخفش الأصغر ينبّه على تصحيف وقع به أبو زيد، كما نجد أبا حاتم يذكر مذهب شيخه أبي عبيدة والأصمعي، وللكتاب عدّة نماذج وفي نصوصه بعض الخلاف، تبعًا للروايات المختلفة، والملحقات التي أضافتها أجيال التلاميذ المتتابعة؛ وبعض النصوص صرفة كما أملاها أبو زيد منها: نصوص أدبية ولغات مع قليل من التفسير، وبعض آخر مشوب بشروح وروايات وتحليلات لغوية ونحوية متفاوتة في القيمة والكمية والبعض الأخير محلّى بالتعليقات والحواشي لزيادة تفسير وبيان، ومن ثمّ اختلف سياق كثير من العبارات الواردة في النص، وتعددت الظنون في أصلها وفي تحديد نوع الكتاب وتعيين مؤلفه؛ تبعا لتلك الزيادات المقحمة.

وللكتاب إسنادان متصلان بالمؤلف يبدأ بهما الأخفش عن المبرد والسكري عن تلاميذ أبي زيد، وكان قد قرأه عليه اللّخمي قال: «أخبرنا أبو الحسن علي بن سلمان الأخفش، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزديّ، قال أخبرني التَّوزيُّ وأبو حاتم السّجستاني عن أبي زيد، قال الأخفش: وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصري المعروف بالسّكري، عن الرياشي وأبي حاتم عن أبي زيد».

ومن خلال ما قدّمناه نجد أنّ الكتاب ينقله إلينا خمسة من تلاميذ أبي زيد هم: المازني والجرمي والتوزي والرياشي، والسجستاني، وهم بدورهم أخذ عنهم باجتماع أو انفراد كلّ من السكري والمبرد وابن السراج وابن دريد، وعن هؤلاء الأربعة أخذ –أيضًا– الأخفش الأصغر والقالي والفارسي.

وأمّا فيما يخصّ تقسيمه فهو لا يخضع إلى خطة معينة فالكتاب يضمّ خمسة عشر بابًا، ثلاثة في الشعر، وثمانية في الرجز، والأبواب الباقية في النوادر. وليس لهذا التقسيم في الحقيقة تفسير منطقي، فالباب الأول في الشعر لا يتميز عن الباب الثالث والحادي عشر في الشعر في شيء. وبالمثل لا يتميز

(١) معجم الأدباء، ٢١٥/١١.
(٢) أخبار النحويين البصريين، ص:٤٢.

بـاب فـي النـوادر أو الرجـز عن البـاب الآخـر فـي شـيء، «وتعليلنـا لهـذا التقسيم هـو أنّ أبـا زيـد يملـي كتابـه علـى حلقـات، فحلقـة في تفسير غريـب الشعر، وحلقـة في تفسير غريب الرجز، وحلقـة فيما روى عـن العرب من نوادر لغوية، دون مراعـاة لترتيب معين وكان أولـى بـرواة الكتـاب عنه أن يجمعوا كلّ ما يتصل بـالشعر في باب، ومـا يتصل بـالرجـز في بـاب ثـان، والنوادر في بـاب ثـالث فيصبح الكتـاب بذلك ثلاثـة أبـواب فـي كل بـاب موضـوع مستقل بذاته».

والملاحـظ فـي أبـواب الكتـاب عامـة أنـه ليس فيـه تخصيص دقيق، إذ نجد في أبواب الشعر رجزًا ونوادر، وفي أبواب الرجز شعرًا ونوادر، وبين النوادر شعرًا ورجزًا وتلك الأبواب ليست تقسيما في التصنيف، وأنهـا كانت تُملـى فـي مجالس متفرقـة، فيكون لـكل منهـا طابـع مميـز، مـع ورود شذرات مـن المضامين الأخـرى، ولذا فإننا نزعم أنّ كتاب النوادر هو ضرب من المحاضرات كمصنفات المجالس أو الأمـالي، وإن كان ثمة بعض الفروق بين هذه الضروب التراثيـة. وليس هنـاك فرق كبير بين المجالس والأمـالي في أصل استعمـالهما وكلّ منهمـا مظهـر لمـا كان يـدور فـي تدويـن أقـوال العلمـاء والمتصدرين للتعليم. أمّـا الأمـالي فكان يمليها الشيخ أو من ينوبه، فيتلقفها الطلاب في دفاترهم. وفي هذا يكون قد أعدّ ما يمليه، أو يلقى إلى الطلبة ما يشـاء من تلقاء نفسه. وأمّا المجالس فتختلف عن تلك بـأنها تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلمـاء.

أمّا المـادة اللغويـة الـواردة في كتـاب النـوادر

فهي تُمثِّل اللهجـات العربيـة المشـهورة والمغمـورة فـي الجاهلية وصدر الإسـلام في ألفاظها وعباراتها وأمثـالها وأسـاليبها تمثيلاً جيدا؛ وليست كل الألفاظ الواردة في كتب النوادر نـادرة أو غريبة كمـا تُوهِـم عنواناتهـا، فهي تُورِد النـادر الشـاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منهـا، وكثير مـن الألفـاظ التي وردت فيهـا لا يمكـن أن تعد مـن نـوادر اللغـة وغريبها، بـل تكاد تكون مـن أفصح الفصيح وتشـهد بذلك كتب النوادر نفسهـا .

ويغلب على هذه الأنماط النـادرة أنْ تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد لهم ولوع بـالألفاظ القديمة التي كانت تصدر عن الأجيال السابقة كما هو مشاهد اليوم في اللهجات الدارجة؛ إذ نجد أفرادًا قلائل في كل بيئة لُغوية يُحيون تلك الألفاظ القديمة التي لم تعد تستعمل على المستوى العامّ بـالنسبة للناطقين بـاللهجة نفسها، حتى إذا نطقوا بمثل هذه الألفاظ النـادرة بدت كأنها غير مألوفة للأجيال اللاحقة من أبناء البيئة اللغوية ومن هؤلاء الذين روى عنهم أبو زيد، وذكر أسماءهم في كتابه: العكلي، وأعرابي يقال له العلاء، والحرمازي، وأبو العامرية النميري، وأبو محرز، وأبو الصقر، والغاضري، وأبو الحجاج، وأبو الضبيب وابنه، وأبو سحيم، وأبو السياح، وأبو السمح، والصقيل، وأبو المضاء، وأبو قرة. وكمثال على تلك الاستعمالات والألفاظ التي جمعت بين الغرابة والندرة والشذوذ والحُوشي، نذكر منها أبيات أنشدها المفضل الضّبي لرجل من الأشعريّين يكنى أبا الخصيب، قال[٣] :

هَـلْ تَـعْـرِفُ الـدَّارَ بِـبَـيْـدَانَّـهْ
دَارٌ لِـخَـوْدٍ قَـدْ تَـعَـفَّـتِـنَّـهْ
فَـانْـهَـلَّـتِ الـعَـيْـنَـانِ تَـسْـفَـحِـنَّـهْ
مِـثْـلَ الـجُـمَـانِ جَـالَ فِـي سِـلْـكِـنَّـهْ

قال أبو الحسن: سألت أبـا العباس المبرَّد عن هذا الشعر، فقال: لا أعرف له مجازا، ولا أدري ما صنع[٤] . وقال ابن جنّي عن هذه الأبيات: «ومن طريف الضرورات وغريبها ووحشيها وعجيبها ما أنشده أبو زيد وأورد الأبيات[٥]» . فهذه الأبيات التي جاء بها أبو زيد شملت الغريب والوحشي حتى أنّ الأخفش والمبرّد لم يعرفا لها تفسيرا، وقد أوردها أبو زيد «وأراد في هذا »إنَّه«، فخفف الهمزة، ثمّ ذهبت الألف التي مكان الهمزة لإلتقاء الساكنين[٦]» .

(٣) النوادر، ص: ٢٦١– ٢٦٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٦٢.
(٥) الخصائص، ٣٣١/١.
(٦) النوادر، ص: ٢٦٢.

ومن الألفـاظ النـادرة –أيضـا–، نذكر: «قنواسا» وهو الطفيلي الذي يدخل مأدبة وهو غير مدعو لها[٧] ، قال أبو زيد:« وأخبرني أبو العيناء عن أبي العالية عن الأصمعي أن العرب تُسمّي الطُّفَيْلِيّ «قِنْوَاسا»، وهو حرف نـادر[٨]» . أي أنّ هذه اللفظة قليلة الاستعمال.

ثـم نرجـع إلـى مـا سمعه أبـو زيـد مـن المفضـل والعرب مـن «لغـات» ولا نعنـي بهـا مـا نعرفـه فـي أيامنـا هـذه من مجموع الألفـاظ والصيغ والتراكيب ومفـردات الـكلام وقواعـد تـأليفهـا، ممّـا تتميـز بـه الجماعـات البشـرية بعضهـا عـن بعـض (كـاللغـة العربيـة، الفرنسيـة، الانجليزيـة، الصينيـة...) وهـو لا يعنـي أيضـا اللّهجـات المختلفـة بيـن القبـائـل العربيـة، بل لفظة «لغـات» تقابل لدى أبي زيد المراد ب «النوادر». ويعني به المنثور من كلام العرب عامـة فـي مفردات أو جمل أو عبـارات، قـد يكـون فيهـا غريـب أو نـادر أو لا يكـون، وهـذا خـلاف مـا صـار شـائعا بيـن العلمـاء مـن مفهـوم للغـات أو النـوادر. والنصوص المروية والأشعار في كتاب النـوادر تنسب إلـى أصحـابهـا مـا أمكن، فـأول الأشعـار لضمرة بن ضمرة النهشلي، ثم أبي النجم العجلي، ثم عبد الله بن همام، والذي يليـه دون نسبـة وأورده أبـو زيـد مـرة أخـرى منسوبـا لخداش بـن زهير. أما فيما يخصّ المقولات النثرية فنفس الشيء ينطبق عليها في تحديد أنسابها إن توفرت: فـأولهم: تمام بن عبد السلام اللّخمي ثم أبـو الحسـن، أبـو حـاتـم، قـال بعض العرب، قـال الأصمعي: في أحاييـن أخرى يحدد فترة أو عصر قـائل الشـاهد: ضمرة بن ضمرة النهشلي، وهو جاهلي، قال مرداس بن حصين من بني عبد الله بن كلاب، وهـو جاهلـي، رجل من بكر بـن وائل، جاهلي، وقال سُحيم اليربوعـي. وأدرك الإسلام (كان مخضرمًا). وأنشد فـي المفضـل

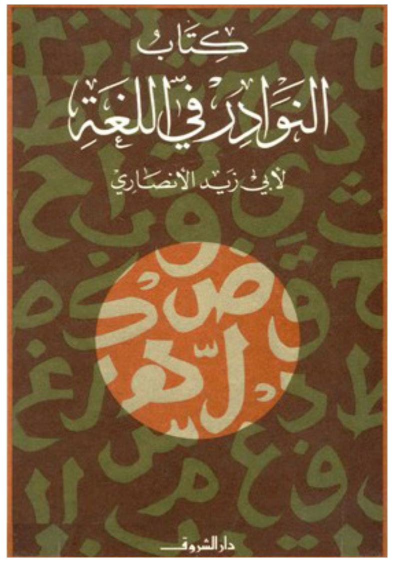

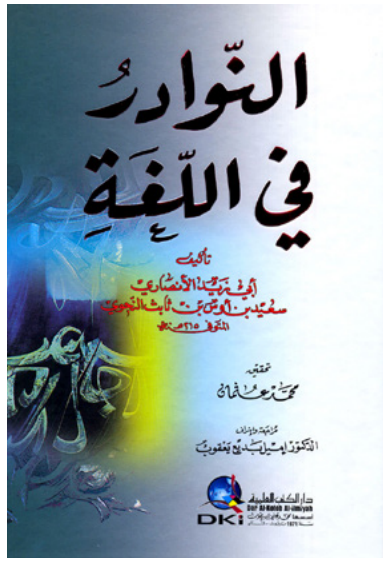

لرجل من بنـي ضبّـة هلك منذ أكثـر مـن مـائـة سنة، وقـال جُمدحُ بـن الطمَّـاح، وهو جاهلي أسديّ، قال أَشْوَسُ بـن بَشَـامَةَ الحَنْظَلِيُّ إسلامي... وغيرهـم كثير.

نقـول إنّ العلامـة أبـا زيـد كان دقيقًـا ثقـة وحجّـةً فـي الروايـة وهـذا لـم يوصـف بـه جُزافًـا إنمـا ظاهـر جلّـي فـي كتابـه النـوادر. وأهـم مـا يلاحـظ علـى الكتاب أنّ أبـا زيد لم يمحضه للنـوادر وإنما سماه بهـا، ذلك أنّ النـادر في اللغة هو السـاقط، وما سقط شذّ عن الجمهـور، وبهـذا المعنـى ينبغـي أن تكـون نـوادر الـكلام. إلاّ أنّ الـذي وجدنـاه فـي كتـاب أبـي زيد غيـر هذا، فقد تجوز المؤلف في فهم نوادر اللغة، ووسع مدلول اللفظة لتشمل ما شذّ عن القيـاس، ومـا قل فـي الاستعمال وكان معدودًا فـي بـابـه، وبهـذا وضـع أبو زيد مصطلحًـا جديدًا للنـوادر، أخذ بـه مـن جـاء بعـده ممّـن ألفوا فـي هـذا الفن. وتتمثـل أهميـة الكتاب في أنّـه سجل لنـا خطوة من الخطوات الأولـى في طريق الوصول إلى المعاجم اللّغوية، وأوصل إلينـا مجموعـة مـن الشعر والرجز لشعراء مشـهورين لا نجدهـا في دواوينهـم المطبوعـة التـي بيـن أيدينـا، واحتفظ الكتـاب بمجموعة من أسمـاء الشعراء المغمورين وأشعـارهم التي لا نجدهـا في غيره مـن المصـادر الأخـرى، كمـا حـدّد العصور التي عـاش فيهـا بعض هؤلاء الشعـراء.

(٧) ينظر: اللسان، ١٨٤/٦ (قنرس).
(٨) النوادر، ص: ١٨٩.

عالِمٌ وكتاب

من نفائس الدّراسات القرآنيّة وذخائر علوم العربيّة (جواهر القرآن ونتائج الصّنعة) «صنعة جامع العلوم الباقوليّ»

لا يـزال القـرآن العظيـم غيبًا يمُدُّ العقول والبصائر والقلوب والأرواح، ومَعينًا لا ينضُب في الإعجاز المعنويّ الأصيل، والإعجاز الأسلوبيّ في براعة البيان العربيّ، فهو حبل اللّه المتين، الّذي لا تَلتبِسُ به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَقُ على كثرة الرَّدّ، ولا تنقضي عجائبه!

وهو النّبع الأصيل الّذي تدفّقت منه روافد علوم الإسلام ومعارف العربيّة منذ شرّفها اللّه - تعالى - لسانًا لدستوره الإلهيّ وكتابه العربيّ المبين.

فأقبَل عليه العالِمون وقدَّموا بين يديه أخلصَ نيّاتهم، ونفائسَ أعمارهم، وضياءَ أبصارهم، وخلاصةَ قرائحهم، وشُفوفَ بصائرهم، ومِدادَ أقلامهم، وتسابقوا في ميادينه ودراسة منهجه وأساليبه وطرائقه، وغاص العبقريّون في بحار علومه، واقتنصوا دُرَرَهُ واستخرجوا كنوزَه وجمَعوا لآليه، وهل يُجمعُ الدُّرُّ المصون إلّا من أعماق البحار! وأخرجوا للعالمين نفائس من الأعلاق الثّمينة الّتي أُفْعِمت بها خزائن المكتبات.

أ. عبد الستار الشيخ
كاتب ومؤرخ محقق

وبين أيدينا عِلْقٌ من أعلاقِ نفائس تراثنا، لا يُعرَفُ له نظيرٌ في بابِه حتّى السّاعة، لمصنِّفه (جامع العلوم الباقوليّ).

نبسُطُ القول للتّعريف به، والتّنويه بِمُبْدِعِه، والإلماع إلى الجهد الدؤوب المُضني من محقّقه الّذي أخرجه للنور تُحفةً لأهل اللّسان العربيّ، وذوي الاختصاص بالدّراسات القرآنيّة والعربيّة، والمتلهِّفين لمطالعة نفائس تراثنا العظيم.

أوّلًا - المصنِّف:

هو أبو الحسن عليّ بن الحُسين الأصبهانيّ الباقوليّ الضَّرير، المعروف بـ(جامع العلوم) و(نور الدّين) ونُعِتَ بـ(الشّيخ البارع) و(عماد المفسِّرين) أيضًا، وهو من مُخَضْرَمي المئتَين الخامسة والسّادسة، المتوفّى سنة (٥٤٢هـ).

كان من أوعية العلم في عصره، ومن المُجوِّدين المحقِّقين في النَّحو، وواحدَ زمانه في هذا الفنِّ، ذا بصيرة نافذة، وحافظة واعية، وملَكَة ناقدة، غزيرَ العلم، واسعَ الاطلاع على الأصول المصنَّفة في علم العربيّة، ومعاني القرآن وإعرابه، والتّفسير، واللّغة، والقراءات، والفقه، والوقف والابتداء، والحديث، وغيرها، وإتقانه لهذه العلوم وراء تلقيبه بـ(جامع العلوم) حقًّا!

وكتابه هذا (جواهر القرآن) أثرٌ من آثار بَسطة علمه وتوقُّد فكره وحضور ذاكرته، وقدرته على الإحاطة والضَّبط والتَّنظيم، وضمِّ الأشباه إلى الأشباه والنّظائر إلى النّظائر.

وحَسبُه جلالةً ومنزلة سامقة ومعرفةً وتبحُّرًا في علوم القرآن والعربيّة، مصنَّفاته الّتي حبَّرها بقلم بصيرته، ودُرَّة تاجها الكتاب الّذي نتحدّث عنه (جواهر القرآن)، وما ظنُّك بإمام يستدرك على الفارس أبي عليّ الفارسيّ، وعلى أستاذ علم (الإعجاز) عبد القاهر الجرجانيّ، وأمثالهما من الأكابر في هذه الحلبة!

صنَّف (جامعُ العلوم) عدّة كتب متفرِّدة، منها:

١. مسائل في علم العربيّة والتّفسير.
٢. ما تلحن فيه العامّة في التّنزيل.
٣. الاستدراك على أبي عليّ الفارسيّ في (الحُجّة).
٤. الإبانة في تفصيل «ماءات» القرآن وتخريجها على الوجوه الّتي ذكرها أرباب الصّناعة.
٥. شرح «اللُّمَع» لابن جنّي.

وجميع هذه الكتب محقّقة مطبوعة، وله غير ذلك.

ثانيًا: الكتاب (جواهر القرآن ونتائج الصّنعة):

نظَرَ (جامع العلوم الباقوليّ) بعينِ بصيرته، وتأمَّل بحدَّة ذِهنه وجودة قريحته، ثمَّ رَجَع البصيرة وكرَّرَ التّأمّل في: كتاب الله –تعالى– وقراءاته المتواترة والشّاذّة، ومعانيه وإعرابه وأحكام آيه، والوقف والابتداء فيه، ومعاني النّحو في الآي ومسائله وقضاياه، واختلاف النّحويّين والمفسّرين فيما اختلفوا فيه منها، وانتهى نظرُهُ وتأمُّله وفكرُه فيه وإقامَتُه على درسِه إلى تصنيف ما اجتمع له في أبواب عَقَدها لمسألةٍ من مسائل النَّحو أو الصَّرف أو اللّغة أو البلاغة أو القراءات، وذِكْر ما جاء في التَّنزيل من أمثلة كلّ باب من الآي.

وقد أفصح في خُطبة الكتاب عن موضوعه فقال: «أردْتُ أن أُصنِّفَ لك كتابًا يشتمل على ما ورد في كتاب الله –تعالى– الّذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فُصِّلت:٤٢] من أبواب النّحو، وأسوق لك من كلِّ باب ما وَرَدَ فيه من أوّل التّنزيل إلى آخرِه بقَدْر الطّاقةِ والمُكنة، ولم أقتصِرْ على إيرادِ آيةٍ أو اثنتَين فَصاعِدًا...» ثُمَّ سَرَدَ أبوابَه وعنواناتها، وذلك في تسعين بابًا.

وطريقته في البحث والتّأمّل والتّصنيف:

أنَّهُ يَعْمِدُ إلى بابٍ من أبواب كتابه، وليكُن مثلًا: (باب ما جاء من حذف المضاف في التّنزيل)، فيأخذ –وهو العالِم الباحِث

الأعمى- بالتّأمّل والتّفكّر في آي القرآن، وكأنّه على مرآة من نور، تتهدّى أمام فؤاده، فيمرُّ عليها ببصيرته النافذة وذِهنه الشّفاف آيةً آيةً من أوّله إلى آخره، حتّى إذا صحَّ (حذف المضاف) في موضع قَنَصَه، وسَكَبَه في الموضع اللّائق به.

وما إن يَفرُغُ منه حتّى يدخُلَ في بابٍ آخر، مثل: (بابٌ في المبتدأ إذا أُخبِرَ عنه بخبَرَين)، ويستقصي كُلَّ آية حُمِلَت على وجود خبَرَين للمبتدأ، فيُثْبِتُها شاهدًا، وهَلُمَّ جرًّا حتّى يستوعب آيَ التّنزيل كلّها.

ومن براعته أنّه يمهِّدُ لكلّ باب أو ظاهرة عن حكم المسألة، مثلًا: (الأسماء الّتي سُمِّيَت بها الأفعال): ماذا قال سيبَوَيه، وماذا رُوِيَ عن الأخفش، وماذا قال أبو عليّ الفارسيّ، وهكذا يفعل بابًا بابًا.

ومن عجائبه، وما أكثر وأجَلَّ عجائب الكتاب ومصنِّفِه! ما يُحيِّرُك في قوّة عقله وتوقّد فهمه وسعة مداركه، ومن ذلك: (الباب الحادي والثّمانون: باب ما جاء في التّنزيل وظاهِرُهُ يُخالِفُ ما في «كتاب» سيبَوَيه)!

وهذا باب لا يقوى عليه إلّا البُزَّل الحُذّاقُ الّذين ازدَرَدوا العربيّة وهضموها وتمثّلوها حتّى ترقرقت على أطراف ألسنتهم هيّنةً طيّعةً!

يقرأ «كتاب» سيبَوَيه موضعًا موضعًا، ويتمثّل كلّ حرف نحويّ جاء فيه، ثُمَّ يكون القرآن أمام بصيرته على صفحة من نور، فيُقاطِعُ كلامَ سيبَوَيه بما جاء في آي القرآن، وهل حكَمَ سيبَوَيه على شيء بالضّعف والقرآن جاء به، وقد أحصى هذه المواضع، وهذه براعة إليها المنتهى في العبقريّة.

وهذه أمثلة كاشفة ممّا جاء في هذا السِّفْر العُجاب:

أ- ما جاء في التّنزيل من الأسماء الّتي سُمِّيَت بها الأفعال:

١- من ذلك (هَلُمَّ) في قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام:١٥٠]

٢- ومن ذلك (أُفٍّ) في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]

٣- ومن ذلك (هاؤُمُ) في قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقّة: ١٩].

ب- ما جاء في التّنزيل من (هو) و(هم) و(أنا) و(أنت) فَصلًا:

١- فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٥]

(أولئك) مبتدأ، و(المفلحون) خبر، و(هُم) فصْل. ويجوز أن يكون (هُم) ابتداءً ثانيًا، و(المفلحون) خبر، والجملة خبر (أولئك).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

(هو) فَصْلٌ، و(يبور) خبر المبتدأ الّذي هو (ومكر أولئك)، و(أولئك) جرٌّ بالإضافة.

ت- ما جاء في التّنزيل من المفرد ويُراد به الجمع:

١- فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [البقرة٢١٣]

يعني: الكُتُب؛ لأنّه لا يجوز أن يكون لجميع الأنبياء كتاب واحد.

٢- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]

أي: سُمَّارًا، لقوله: (مستكبرين) قبله، وبعده (تهجرون).

٣- وقال تعالى: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾ [النّساء: ٤]، أي: أنفسًا.

٤- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧]

أي: أطفالًا.

ث- باب ما جاء في التّنزيل من القلب والإبدال:

١- فمن ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ﴾ [التوبة: ١٠٩]

أصلها (هائر) فصار (هارٍ) مثل: قاض.

٢- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [المرسلات: ١١]

أصله (وقِّتَتْ)؛ لأنّه من الوقت، أي: جُمِعَتْ لوقتِها.

٣- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]

الهمزة بدل من الواو في (وَحَدَ)؛ لأنه من (الوَحْدَة).

ثالثًا: التّحقيق والطّباعة:

وقد تصدّى لهذا الكتاب الفذّ الماتِع العُجاب عالِمٌ جهبذٌ درّاكةٌ نقّاد، قد لانت له العربيّة، ووطَّأت له أكنافها، وباحَت له بأسرارِها، وأظْهَرَت له كنوزَها، ونَفَحَتْهُ أصل أرومَتِها، ولا عجب في ذلك فقد تخرَّجَ في مدرسة إمام العربيّة وعلّامة القراءات في زمانه، في دمشق الشّام، الأستاذ الأجلّ أحمد راتب النّفّاخ المتوفّى سنة(١٩٩٢)، هذا فضلًا عن أنَّ العلّامة المحقِّقَ الدكتور محمّد أحمد الدّالي، قد لازم أئمة اللّغة وأصحاب اللّسان القدماء، وأدام البحث والدّرس في ذخائرهم، زِدْ على ذلك تمرُّسه بمصنَّف الكتاب (جامع العلوم الباقوليّ)، وتحقيقه نفائس كتبه، وهو عضو عامل في مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، وأستاذ في جامعة دمشق، وحاليًّا عضو هيئة التّدريس في جامعة الكويت.

ومن يستقرئ عمله في (جواهر القرآن ونتائج الصّنعة) يدرك مقدار الجهد الّذي بذله، والزّاد الّذي قدّمه، والتّحقيق الّذي سطّره ووضعه بين أيدي العلماء وأهل الاختصاص ومتذوّقي اللّسان العربيّ المبين.

لقد شارك المحقِّقُ المصنِّفَ في كتابه، وضَبَطَ عباراته، وتتبَّعه وناقشه، وفاتَشَهُ، ورَدَّ عليه، واستدرك عليه أشياء تراها في حواشي الكتاب تسامي كلام (الباقولي) في الضّبط والنّقد والتّحرير، إن لم نَقُلْ تتفوّق عليه أحيانًا.

ويَصدُق في تلك التّعليقات والحواشي قول إمام العربيّة وجهبذ التّفسير جار الله الزّمخشريّ: «الزّيتُ مُخُّ الزّيتون، والحواشي مِخَخَةُ المُتون»!!

وأضاف إلى ذلك عملًا جليلًا آخر، فَصَنَعَ للكتاب فهارسَ علميّةً متنوّعة، عدَّتها (٢٨) فهرسًا، منها فهرس لا عهد للنّاس به وهو: المصادر الّتي استقى منها الباقوليّ ولم يُسَمِّ أسماء المصادر ولا ذَكَرَ أصحابها، وأيضًا الّتي ذَكَرَ أصحابها وترك أسماء كُتُبِهم.

وقد كان المحقّق يعمل في هذا الكتاب سحابة نهاره، وتمّ إنجازه في خمسة أعوام، وأربعة أشهر إلا أيّامًا.

ومن تمام نعمة الله على هذا (العِلْق النَّفيس) أنّه ظَفِرَ بأروع و أدقّ وأنْفَسِ وأجمل ما توصَّلت إليه الطّباعة، شكلًا ومضمونًا وإخراجًا، حيث طُبِعَ الكتاب ملوَّنًا بالقطع الكبير (٢٨X٢٠) في أربعة مجلّدات ضخام، تقع في ١٩٦٠ صفحة.

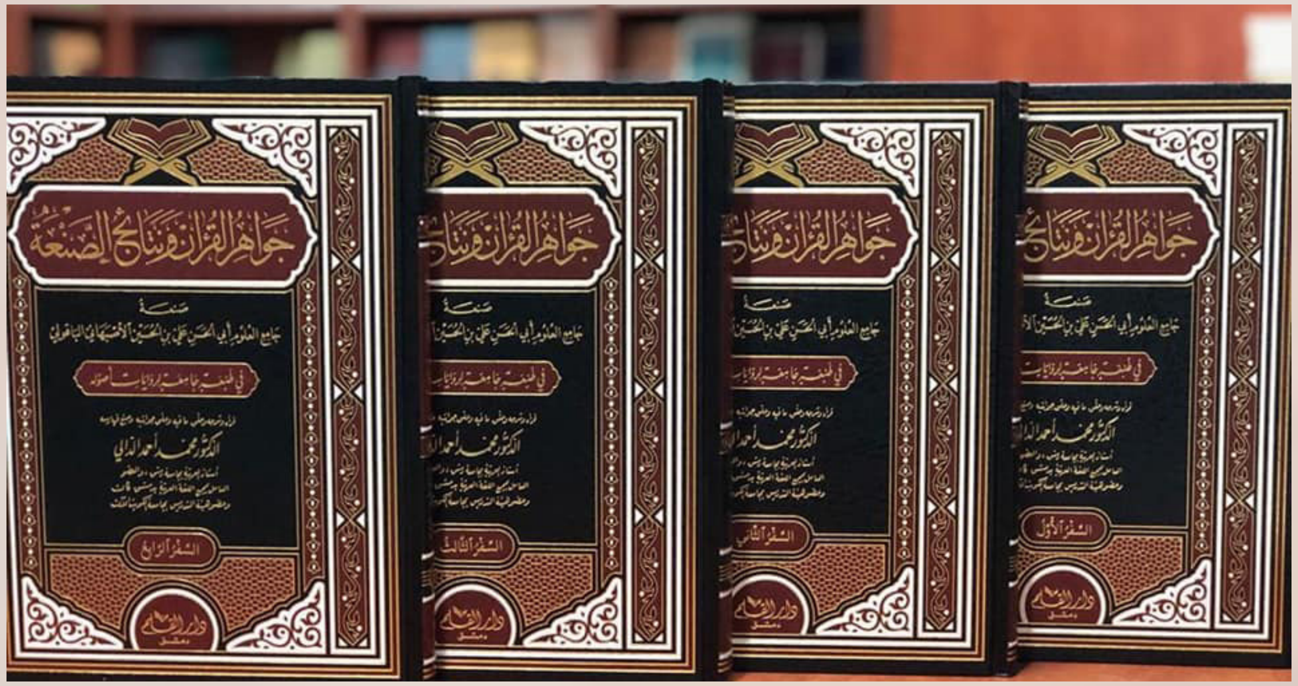

من أدب المنصّة «قف المنصّة»

د. الشريف الفقيه
باحث بالمركز الرسمي للإفتاء
أبوظبي

قد أُعجِبَ الشناقطةُ بمختصر خليل بن إسحاق الجندي (ت: ٧٧٦هـ) أيَّما إعجابٍ، فحفِظوا نصَّه وشرحوا مضمونَه ونظموا ألفاظَه وعلَّقوا على اصطلاحاتِه وقيدوا شواهدَه واستدركوا فوائتَه، ولم يتركوا منه حرفا إلا وقفوا عنده ولا كلمةً ولا عبارةً إلا قتلوها بحثا وتمحيصا.

ولم يكن مختصر خليل بالنسبة لهم كتابا جَمَعَ في ورقاتٍ فقهَ الإمام مالكٍ، ورواياتِ ابنِ القاسمِ، واستظهاراتِ ابن رشدٍ، وأقوالَ المازريِّ واختياراتِ اللخميّ وغيرَ ذاك فحسب، بل كان بالنسبة لهم ثقافةً قائمةً بذاتها وأدبا ثرًّا لم يزالوا يمتاحون من مَعينه في حياتهم اليومية، وينسجون على منواله كلَّ مُهِمٍّ في محيطهم وبيئتهم الاجتماعية، واقتداءً بهم وسيرا على طريقهم جمعتُ هذا «القف»[1] ، مبيِّنا لما به الفتوى من أحكام منصة المعجم التاريخي للغة العربية؛ لينضاف إلى المختصر وتعم به الفائدة، فأقول وبالله تعالى التوفيقُ: لزم لمُريدِ عَمَلٍ في كمُعجمٍ تعلُّمُ فرضِ عينِها، ونُدِبَ كونه مهندساً، وتعيّنَ في إشرافٍ، وهل يجوزُ شُروعٌ في تحريرٍ من غيرِ تدريبٍ على جذور تجريبيةٍ خمسةَ عشر يوماً كأقلِّ الطُّهْر أو يمنع – وهو ظاهرها – خلافٌ.

ورُكنُهُ: معرفةُ حاسوبٍ، وأبجدياتُ بحثٍ، وإلمامٌ بلغةِ الضاد، وتمييزٌ بين جذورٍ ومداخلَ، واستيعابٌ لمنهج تطبيقٍ، وخطواتِ تحريرٍ، ولَزِمَ بَدْءٌ بكفِعْلٍ فمشتقٍّ فمصدرٍ فاسمٍ، فاستخراجُ شاهدٍ للخمسة العصورِ، ووجَبَ كونه لأولِ مستعمِلٍ، وتحتَّمَ مطابقةُ شاهدٍ لمعنى مَدخَلٍ، وإدْراجُ رقمِ صفحةٍ، فاختيارُ حالةٍ، فحِفظٌ.

وفضائلُهُ: دِقَّةُ تعريفٍ لمعنى مدخلٍ، (واختصاره) وضبطُ شاهدٍ، وتحديدُ نوعِه، ومعرفةُ محتوى أيقونة «صفحاتٍ»، كمصادرَ مساعدةٍ وإعدادِ بطاقةٍ معجميةٍ من خارجِ مدونةٍ، وإضافةُ كمرجِعٍ أو عَلَمٍ أو مستعمِلٍ تعذَّر في مُنْسَدِلَة، وحِفظٌ لغير مكتمِلٍ.

ونُدِبَ ذِكرُ محاسنِ منصَّةٍ، والكفُّ عن مَساويها كالمَيِّتِ، وصَبْرٌ على دَوَرانِها، وتظليلِ مُضَلِّلٍ، وضغطٍ على تحميلِ مَزيدٍ، وإنْ طالَ، وتقَبُّلُ مراجعةِ خبيرٍ، وردٌّ لجذورٍ لم تُستَوفَ، إنْ لم يكثُر الردُّ إلا أن يُبَيِّن وجهاً، وامتِثالٌ لتوجيهِ مقرّرٍ، وتعليماتِ مهندسٍ.

وتأكَّدَ احتيالٌ ومُراوغَةٌ بتنويعِ خياراتِ بحثٍ، بكلمةٍ أو كلماتٍ، وتعطيلِ خاصّيةِ «بحث تقريبي» أو تفعيلِها، وتصفير خاصيةِ (proximity)، واستعانةٌ بكشاملةٍ أو مكتبةِ جوجلٍ، أو موسوعةٍ شعريةٍ أو عنقاءَ، أو أيِّ محركاتٍ بحثيةٍ موثوقةٍ.

وهل تُكره المماطلةُ في تحرير جذورٍ تأخَّرتْ وإن خافَ عِتاباً من كمُقرّرٍ أو خبيرٍ بَعُد وإن بخُراسانَ أو باريسَ، أو تُمنع مطلقا، وهو المختارُ، تأويلان، لا إنْ اجتهَد فنَدَّ الشاهدُ مِنْ كتَرْنَقَ وتَرْمَلَ، أو حَرَنَت المنصةُ فالأظهرُ الجوازُ.

وحرُم تحريرٌ من غيرِ حِسابِهِ، أو دخولُ غيرِه لحسابه، أو تفويضُ اسمَيْ مستخدِمٍ أو سِرِّيٍّ، أو استغلالٌ لوسائلِ مدونةٍ؛ لِسابِقِ إقرارٍ وتعهُّدٍ، وعُنِّفَ إن تَعَمَّدَ بلا تأويلٍ قريبٍ، وضَمِنَ إنْ أَتْلَفَ، ورُخِّصَ في أخذ فوائدَ لا إنْ نَسَخَ أو ألصقَ أو نَزّلَ مرجِعاً فيُمنعُ، وفيها جوازُ نسخِ فقرةٍ لا كصفحةٍ، فالأظهرُ المنعُ.

وكُره استخراجُ شاهدٍ من كمرجِعٍ مساعدٍ إن لم يتعيّنْ، وتكريرُ شاهدٍ لعصرٍ، لا إن تغيَّرَ معنى مدخلٍ فيتعيَّنُ.

فصلٌ: جازت مناقشةُ المسائلِ التِّقنيةِ في المجموعات الوتسابيةِ بلا قيدٍ، وهل كذلك العلميةُ إن لم يَكثُر اللغَطُ وظَنَّ الإفادةَ؟ وهو المقُولُ، أو إن لم يكثُر العددُ – وهو الأرجحُ، أو تُكرَهُ مطلقاً – وهو ما لِلْمُقرّرين – أقوالٌ.

فصلٌ: تعيَّن على اللجنة العُليا إصدارُ نشراتٍ دوريةٍ لقواعدَ ذهبيةٍ، وحثٌّ على اتّباعِ منهج معجمٍ كبيرٍ، وطلبُ إضافة مداخلَ نَقَصَتْ، وتمييزُ جذورٍ عقِمت أو أُهمِلت، وبدءٌ بأفعالٍ مجرّدةٍ، فمزيدةٍ، فأسماءٍ، فمشتقّاتٍ، فمصادرَ إن تمحّضَت للاسمية. وإفرادُ الأخيرَيْن بمدخلٍ إن أضافَ معنًى أو تمحّضَ للاسمية، وضبطُ عين مضارعٍ ثلاثيٍّ، وتجنُّبُ شواهدَ من معاجمَ إلا من لغة حية، ولا من مقدمة محقِّقٍ أو هوامشَ، ولا من مجموعةٍ شعرية مع وجود ديوانٍ، ولا للحديث من غير كتبه. وتجنبُ تكثير معاني مداخلَ أمكن اختصارُها في معنى مشترك، طلبا لتكثير شواهد أورثت دراهمَ مشبوهةً، وعزوُ الشاهد إلى الشاملة. وتأكّدَ تقديمُ الشواهدِ القرآنيةِ على غيرها، والنثريةِ على الشعرية إن اتفقا عصرا، ونسبةُ الشاهد إلى قائله لا إلى المؤلف، واستقصاءُ البحث عن الشاهد من داخل المنصة وخارجها، والتحلي بالصبر والمصابرة، طلبا للأجر والمكافئة.

فصلٌ: ويُسْتَحَبُّ انتقالٌ مِن كلجنةٍ عَجْميةٍ إلى ياسينيةٍ إنْ حَسُنَ القَصْدُ وأُمِنَ تواطؤٌ مع غيرٍ أو خاف ضررا أو تقصيرا في عمَلٍ، واستُحسن انتظارُ كشهرين، وتذكيرُ مسؤولٍ وإنْ كمصطفًى ولو بهاتفٍ أو وتسابٍ، واستُحسن كونه صباحا لا عصراً، ولو فعَلَ ذلك قبل فواتِ مُختارِ الدوامِ لَحَسُنَ واخْتِيرَ، والأرجحُ تحيُّنُ كفرصةٍ لتصفيةِ حساباتِ لمفقودين أو مقصّرين أو عاجزين عن عملٍ، وهل يُكره الانتقالُ وإن أجادَ تحريراً أو يمنعُ مطلقاً تَرَدُدٌ، (وإلا فلا إشكال). والله تعالى أعلم.

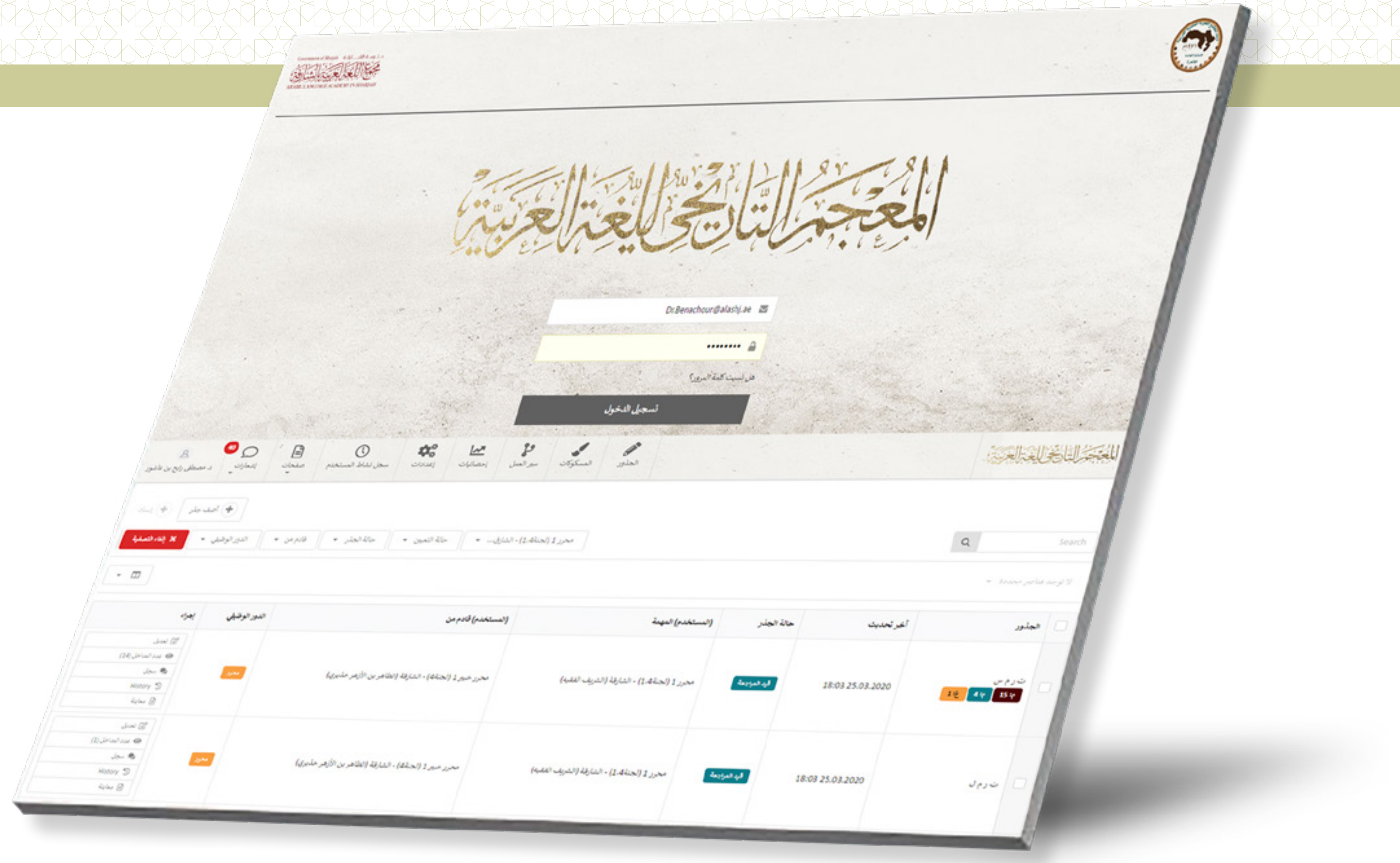

---

(١) القفّ مصطلح مرتبط بمختصر خليل، ومن جاء بعده من شراح مختصره، وقد قسّم الشناقطة مختصر خليل إلى ٣٣٣ وحدة سموها أقفافا، جمع (قفّ)، تسهيلا للحفظ، وإعانة للطالب على معرفة قدر ما يناسب استعداده من الدرس اليومي؛ إذ القف وإن كانوا يقولون إنه دائما يتضمّن عشرين مسألة لا يزيد عليها ولا ينقص، فإنه يكبُر حجمه ويصغُر حسب سهولة الموضوع وصعوبته. وقد اشتهرت عنهم مقولاتٌ بالدارجة الحسّانية مقتضاها أن قراءة قف بكامله تذهب أدراج الرياح، وأن قراءة نصفه يستفيد منها نُبهاء الطلبة فقط، أما قراءة ثلثه فهي الحدّ الذي يمكن أن يستوعبه عوامُّ الطلبة ويحافظون عليه. وقد سلكتُ نهجَ المدرسة الخليلية في كتابة هذا القف، اقتفاءً لأثرهم، وتشبّها بصنيعهم لعَلِّي أنال بركة علمِهم.

على أعتاب الموت

قصة شاعر جاهلي فيها العبر

د. محمد هاشم عبد السلام
أستاذ الأدب العربي المساعد
كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، مصر

كانت العرب – لا سيما في العصر الجاهلي – تحتفي بالشعراء وتحفظ لهم مكانتهم؛ **وليس أدل على ذلك مما جاء في كتاب العُمْدة لابن رشيق القيرواني من أن القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعرٌ أتت القبائلُ فهنأتها**، وصنعت الأطعمة، وكان الشعراء بدورهم لا يتوانون في الدفاع عن قبائلهم، وكم من شاعر قد هدد خصمه، وأنذره عقابه، وأنه إنْ لم يرعوِ، فسيريش له سهام هجائه؛ فتكون أشد إيلامًا له من السهام، وهذا مصداقًا لقول أحدهم:

وجُرْحُ السَّيفِ تَدْمُلُهُ فَيَبْرا
ويَبْقَى الدَّهرَ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

وكما أن أثر الهجاء يظل باقيًا، فإنَّ مدح الشعراء – هو الآخر– كان يدوم، مُخلِّدًا ذكر صاحبه؛ فمما جاء في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني أن عمر بن الخطاب ﵁ لَقِي ذات يوم ابنًا للشاعر الجاهلي زُهَيْر بن أبي سُلمى– وقد كان هذا الشاعر كثير المدح لسِّيد من العرب يسمى هَرِم بن سِنان– فسأله الفاروق قائلًا: «ما فعلت الحُلَلُ التي كساها هرمٌ أباك؟ قال: أَبْلاها الدَّهْرُ. قال: لكنَّ الحُلَلَ التي كساها أبوك هَرِمًا لم يُبْلِها الدَّهْرُ».

وإذا ما علمنا أن الشعراء كان بمقدورهم أن يضعوا بهجائهم من قدر الشريف الكامل، كما أن بوسعهم أنْ يرفعوا بمدحهم من قدر الوضيع الجاهل، إذا علمنا هذا من حال الشعراء، فلا ننسى أنهم كانوا في حياتهم يُجْزون بما يقولون، ويَلْقَون لأمرهم عاقبة؛ فكم منهم – لقاء مدحه– أُنعش بعد فقر، وغني بعد عوز، وكم منهم – جراء هجائه– عاش طريدًا، وربما قضى عليه شعره وأهلكه، ولعل هذا ما حَمَل ناقدًا مثل ابن رشيق القيرواني على أن يحذِّر في كتابه العمدة الشعراءَ من النَّيل من الأشراف، أو الدخول في معترك السياسة، فيقول: «وأحمقُ الشعراء عندي مَنْ أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له، وما للشاعر والتعرض للحُتُوف؟ ولا ريب في أن الشاعر الجاهلي بشر بن أبي خازم الأسدي يدخل في زمرة أولئك الشعراء الذين تعرضوا للحتوف، وقد ضيَّع في فترة من فترات حياته رأس ماله، بل كاد أن يضيّع حياته نفسها؛ ذلك أن هذا الشاعر قد أقدم على هجاء سيد من سادات العرب يُدْعى **أوس بن حارثة الطائي**، وكان هذا الرجل يُضرب به المثل في الجود والكرم، وإذا كانت **لأوس** هذه المنزلة بين العرب، وبرغم ذاك ذَمَّه **بشر**، كما هجا قومه بصفات قبيحة دنية، فترُى ما أصل العلاقة بين هذين الرجلين؟ وما الذي حمل **بشرًا** على النيل من **أوس**؟ وكيف تعامل هذا السيد الشريف مع شانئه **بشر**؟ جميع هذه الاستفسارات قد أُميط عنها اللثام في كتب التراث وذلك على نحو ما رواه لنا المبرّد في كتابه الكامل بقوله: «كان النعمان بن المنذر دعا بحُلَّة، وعنده وفود العرب من كل حيّ، فقال: احضروا في غد، فإني ملبسٌ هذه الحُلَّةَ أكرمَكم، فحضر القوم جميعًا في غدهم إلا أَوْسًا، فقيل له: لمَ تتخلف؟ فقال: إنْ كان المراد غيري فأجملُ الأشياء بي ألا أكون حاضرًا، وإنْ كنتُ المرادَ فسأُطلب ويُعرف مكاني. فلمَّا جلس النعمان لم يرَ أوسًا، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضُرْ آمنًا مما خِفْتَ، فحضر فأُلبس الحُلَّة، فحسده قوم من أهله، فقالوا للحُطَيْئَة: اهجُه ولك ثلثمائة ناقة، فقال الحُطَيْئَة: كيف أهجو رجلًا لا أرى في بيتي أثاثًا ولا مالاً إلا من عنده، ثمّ قال:

كيف الهِجَاءُ وما تَنْفَكُّ صالحةٌ
من آلِ لَأْمٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ تَأْتِيْني

فقال لهم **بشر بن أبي خازم**: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل وفعل؛ فأغار **أوس** عليها، فاكتسحها وطلبه، فجعل لا يستجير حيًّا إلا قال له: قد أَجَرْتُك إلا من **أوس**، وكان في هجائه إياه قد ذكر أمَّه، فأُتي به فدخل أوس على أُمِّه فقال: قد أتينا **ببشر** الهاجي لك ولي، فما ترين فيه؟ فقالت: أو تطيعني؟ قال: نعم، قالت أرى أن تردَّ عليه ماله، وتعفو عنه، وتحبوه، وأفعل مثل ذلك، فإنه لا يغسلُ هجاءه إلا مدحه، فخرج فقال: «إنَّ أُمّي سُعْدَى التي كنتَ تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا، فقال لا جرم، واللهِ لا مدحتُ حتى أموت أحدًا غيرك».

وإذا كانت هذه الرواية لم تذكر لنا كيف تَمَكَّن **أوس** من **بشر**، كما سكتت عن بعض ما أذاقه إياه من النكال، فإن مظان أخرى قد أتت على ذكر هذين الأمرين؛ فقد أورد البغدادي في خزانته نقلًا عن مَعْمَر بن المثنى في شرحه أن **بشر بن أبي خازم** غزا طيئًا ثمّ بني نبهان، فجُرح فأثقل جراحة، وهو يومئذ بحمى أحد أصحابه وإنما كان في بني والبة، فأَسَرَتْه بنو نبهان، فخبَّئوه كراهية أن يبلغ **أوسًا**، فسمع **أوس** أنه عندهم فقال: **والله** لا يكون بيني وبينهم خير أبدًا أو يدفعوه، ثم أعطاهم مائتي بعير وأخذه منهم، فجاء به وأوقد له نارًا ليحرِّقه «وقال بعض بني أسد: لم تكن نارًا، ولكنه أدخله في جلد بعير حين سلخه، ويقال جلد كبش، ثم تركه حتى جفَّ عليه فصار فيه كأنه العصفور» وبعد مطالعة هذا الكلام، فإن الفضول المشروع يدفعنا دفعًا لنتساءل عما قاله بشر في

حق أوس؛ فأغضبه هذا الغضب، وأوغر صدره إلى هذا الحد؟ كما يدفعنا هذا الفضول أيضًا لمعرفة شيء عن هذا المدح، الذي أسمعه بشرٌ أوسًا؛ فأثلج به صدره، وضمد به جراحه المُثْخَنَة؟

يكفي أن نعرف أن بشرًا قد جرَّد أوسًا – قبل أن يعفو عنه– من كل فضيلة ومنقبة، كانت تفتخر بها العرب، كما نسب إلى قومه ما يشينهم من المخازي، فكان كمن هال عليهم التراب، ودفن رؤوسهم في الرمال؛ فمن جملة ما قاله عن هؤلاء القوم أنهم لا ذمة لهم ولا خلاق، ولا يردون الأمانات إلى أهلها، ولا الحقوق إلى أصحابها، وإن كانت متاعًا قليلًا، وذلك قوله:

ألا بَلَحَتْ خَفَارَةُ آلِ لَأْمٍ
فلا شَاةً تَرُدُّ ولا بَعِيْرَا

ثم ذكر أيضًا أنهم في حياتهم قد عاشوا لئامًا؛ فكانت النتيجة المنطقية لذلك أنْ يُعاقَبوا بسوء الخاتمة، وليت هذه العاقبة قد خفيت على الناس، بل عُلمت لهم جميعًا، وعرفوها بسبب ما انبعث من قبور آل لأم من نتن ورائحة كريهة:

لِئامُ النَّاسِ ما عاشوا حياةً
وأَنْتَنُهمْ إذا دُفِنُوا قُبُوْرا

وأي قلب كان يحمله هذا الشاعر عندما تابع القول، واقتحم مناطق لقوم أوس الطائيين كان الدخول إليها محرمًا من قبل؛ فقد اجترأ على وصفهم بالضعف التام، وذكر أنهم يفرُّون من حومات الوغى وسوح المعارك، بل أشد من ذلك وأنكى أنهم لا يقدرون على حماية نسائهم، ويتركونهنَّ عرضة للسبي، ولأنْ تنتهك أعراضهنّ:

وأَنْكاسٌ غَداةَ الرَّوعِ كُشْفٌ
إذا ما البِيْضُ خَلَّينَ الخُدُوْرا

وأنت إذ تظن أن **بشرًا** قد أوفى على الغاية في النَّيل من آل لأم، تجده لا يفتأ ينزع من كنانته سهامًا جديدة، يصوبها إليهم غير آبِه بما يقول؛ إذ يهجوهم بأنهم مجرد أتباع (ذُنَابى) في مؤخرة القوم.

ذُنَابَى لا يفُونَ بعهدِ جارٍ
إذا ما جِئْتَهمْ تَبْغِي قِراهُمْ
وليسوا يَنْعَشُون لهمْ فَقِيْرا
وجدتَ الخيرَ عندهمُ عَسِيْرا

وبعد أنْ اطمأنَ **بشرٌ** إلى أنه قد أزرى بقوم **أوس**، ولم يُبْقِ لهم خصلة واحدة من خصال الخير، نراه يتخلص من ذلك إلى هجاء سيدهم أوس، وبالطبع لم يكن شفيقًا به، كما لم يكن رحيمًا بقومه؛ وإنما أخذ يسخر منه ومن العهد الذي قطعه على نفسه من السعي الحثيث للظفر بهاجيه، وهو الذي يقعد عن طلب المكرمات! ويغدر بجاره

إذا ما المَكْرُماتُ رُفِعنَ يومًا
غَدَرْتَ بجارِ بيتِكَ يا بنَ لأمٍ
مَدَدْتَ لنَيْلِها باعًا قصيرا
وكنتَ بمِثْلِ فَعْلتِها جَدِيْرا

ولنا أن نتخيل معًا أن **بشرًا** قد جمع كل هذه المثالب على أوس وقومه في إطار قصيدة واحدة، فما بالنا وقد هجاه بخمس أو بست على ما ذهب إليه محقق ديوانه.

كان هذا الهجاء في أول الأمر، أما بعد أن صفح أوس عن هذا الشاعر؛ فقد اختصه بمدحه، ولم يستنكف أن يعلن على الملأ خضوعه واعتذاره له، راجيًا إياه أن يقبل توبته وأوبته قائلًا:

وإنِّي لَرَاجٍ منكَ يا أوسُ نعمةً
فهلْ يَنْفَعنِّي اليومَ إنْ قلتُ إنَّني
وإنِّيَ قد أَهْجرتُ بالقولِ ظالمًا
وإنِّي لأُخْرَى منكَ يا أوسُ راهبُ
سأَشْكرُ إنْ أَنْعَمتَ والشُّكرُ واجب
وإنِّي منهُ يا بنَ سُعْدَى لتائبُ

وإلى جانب هذا الاعتذار الصريح الواضح من قِبَل **بشر**، أتى في مدائحه **لأوس** – وقد كافأت في عددها القصائد التي هجاه بها– ما يمكن أن نسميه الاعتذار الضمني؛ إذ كان في هذه المدائح حريصًا على أن يطري ممدوحه، فمن ذلك أن **بشرًا** في هجائه أوسًا قد ركَّز على قصر باعه في نيل المكرمات والسعي لها، أما في مدحه له فقد جعل له قصب السبق في السمو والوصول إلى هذه المكرمات دون جميع منافسيه من الأغنياء والسادة:

إذا ما المَكْرُماتُ رُفِعْنَ يوماً
وضاقتْ أَذْرُعُ المُثْرِينَ عنها
وقَصَّرَ مُبْتَغُوْها عن مَدَاها
سما أَوْسٌ إليها فاحتواها

وإذا كان بشر في هجائه قد جعل **أوسًا** يغدر بجاره، فانظر كيف جعل – بعد الصفح عنه– هذا الجار في ظل **أوس** أكثر أمنًا وطمأنينة من الصدع (الوعل) الذي اتخذ له بيتًا في مكان لا يستطيع أحد الوصول إليه فيه:

فما صَدَعٌ بجُبَّةَ أو بِشُوطٍ
بأَحْرزَ موئلًا من جارِ أوسٍ
على زُلُقٍ زوالقَ ذي كِهافِ
إذا ما ضِيمَ جيرانُ الضِّعافِ

وكان بشر أول الأمر يتوعد أوسًا، ويخبره أنه قِرْن له وند عنيد، وبمكنته أن يسعر عليه نار الحرب، قائلًا له:

فلولاقَيْتَني للَقِيْتَ قِرْنًا
لِنَارِ الحَرْبِ إذ طَفِئَتْ سَعُورا

أَمَا وقد كان ما كان، فأنت ترى بشرًا يعتذر – كما سبق التنويه– لأوس، ويذكر في أكثر من مِدْحة أن هذا السِّيد هو مَنْ أنقذه من الموت ومَنَّ عليه؛ لذا فهو يضعف أمامه، ويتمنى أن يفديه بنفسه.

فِدًى لكَ نَفْسي يا بنَ سُعْدَى وناقتي
لِمُسْتَسْلمٍ بين الرِّماحِ أَجَبْتَهُ
إذا أبدت البيضُ الخِدَامَ الضَّوائعُ
فأَنْقَذْتَهُ والبِيْضُ فيهِ شَوارعُ

وعلى الرغم من أن **بشرًا** قد خضع لأوس وبات مغلوبًا على أمره لديه، فإنه ربما رأى نفسه أفضل حالًا من أولئك الأقران الذين ينازلون أوسًا، فيعدو عليهم – برغم ما أُوتوا من قوة وجسارة–

كما يعدو الأسد على فريسته:

وما لَيْثٌ بِعَثَّرَ في غَرِيفٍ
بِأَبْأَسَ سَوْرَةً لِلْقِرْنِ منهُ
يُغَنِّيهِ البَعُوضُ على النِّطافِ
إذا دُعِيَتْ نَزالِ لَدى الثِّقافِ

وكما أكثر بشر في مدائحه من الإشادة بشجاعة أوس، لم ينسَ أن يذكر ما له من أياد بيضاء على طالبي رفده وعطائه، وهذا المعدن الأصيل لديه يظهر وقت الجدب والعوز وقلة الميرة:

غِيَاثُ المُرْمِلِينَ إذا أَنَاخُوا
بهِ في اللَّيْلَةِ الغالي قِرَاها

وفي بعض مدائح بشر نراه يربط بين كرم أوس وشجاعته في خوض المعارك، وهو في هذا يتخذ من كفي ممدوحه أداة للجمع بين هاتين الصفتين؛ فإحداهما – فقط– تكفيه، وتكفي المرهقين عُرَّة الحرب وويلاتها، كما أن الأخرى – وحدها– تكفي المحتاجين العوز والفقر، وبهذا يخيل إلينا أن هذا الممدوح ينفذ –بكفاءة عالية– فِعْلَي القتال والعطاء في آن واحد، دون أن يشغله فعل عن آخر، ولعل هذا ما يفهم من قول الشاعر:

لهُ كَفَّانِ: كَفٌّ كَفُّ ضُرٍّ
إذا ما شَمَّرَتْ حَرْبٌ عَوانٌ
يُجيبُ المُرْهَقِينَ إذا دَعَوْهُ
وكَفُّ فَواضِلٍ خَضِلٌ نَداها
يَخافُ النّاسُ عُرَّتَها كَفاها
ويَكشِفُ عن أَطاخِيها دُجاها

وكما خصَّ بشرٌ قوم أوس بكثير من الأوصاف المذمومة، نراه في الطَّوْر الثاني من علاقته به يثني خيرًا على قبيلتهم طَيِّئ، وعلى هذا البطن منها بصفة خاصة؛ فوصفهم بأنهم وارثو المجد، وأن هذا المجد نبت عندهم نباتًا حسنًا، وتغذى في كنفهم، حتى صارت له أغصان وفروع وارفة، عاش في ظلها أولادهم من بعدهم، فصاروا – وأوس أولهم– أهلا لأنْ يحوزوا المكارم، فلا تنفك عنهم –وقد اتخذوها رداءً– إلى غيرهم:

نَمَى مِن طَيِّئٍ في إرْثِ مَجْدٍ
وأضحى مِن جُدَيْلَةَ في مَحَلٍّ
نَمَوْهُ في فُروعِ المَجْدِ حتّى
إذا ما عُدَّ مِن عَمْرٍو ذُراها
لهُ غاياتُها ولها لُهاها
تَأَزَّرَ بِالمَكارِمِ وارْتَداها

هذه باختصار هي قصة الشاعر الجاهلي بشر بن أبي خازم مع سيد طَيِّئ أوس بن حارثة، وبعض ما قاله في هجائه ومدحه، وبرغم مرور وقت طويل على هذه القصة، فإنها تصلح لأنْ نستخلص منها بعض العبر والعظات؛ من أهمها أن للكلمة خطرها؛ فبكلمة قد يستعجل الإنسان على نفسه الشر، ويوقد نار الحرب (والحرب مبدؤها كلام)، وبكلمة ينجي نفسه من الأذى، ويطفئ نار حرب مستعرة، وصدق مَنْ قال: (إن الكلام اللين يغلب الحق البين)، ومَنْ قال –أيضًا–: (فضول الكلام يحرك من عدوك ما سكن)؛ فبشر لمَّا استجاب – بباعث شخصي أو قبلي– لمحرضيه، كاد يدفع حياته ثمنًا، وكان بينه وبين أن يقتله أوس إبهام الحُبارى.

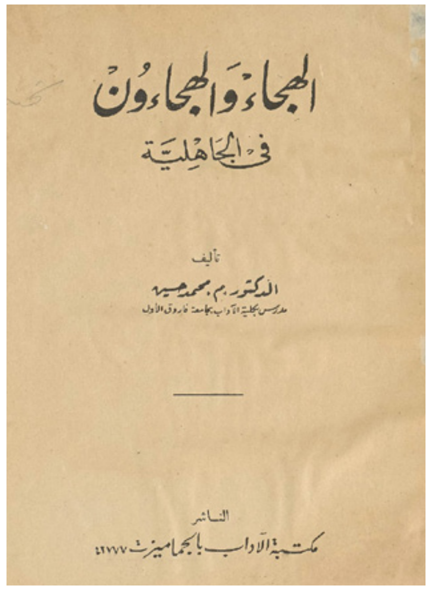

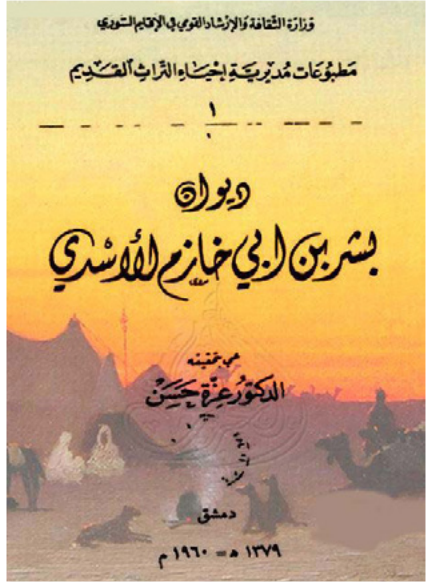

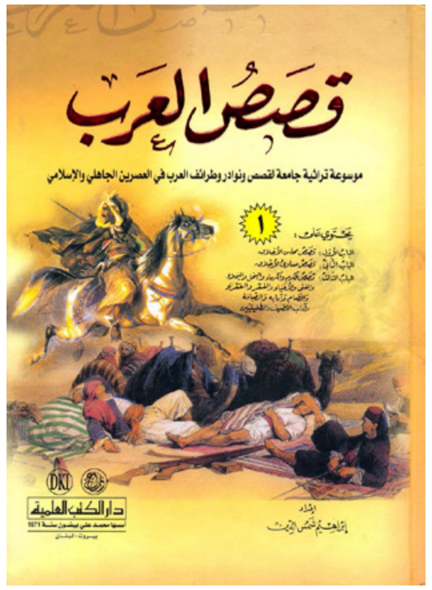

بين النص السردي والتاريخي

يرتبط التاريخ بالرواية ارتباطًا عضويًا، ليس في الرواية التاريخية وحدها - وإن كانت هي الجنس السردي الذي يتجلى فيه التاريخي في أوضح شكل- لكن -أيضا- في انطواء بنية التاريخ في بعض مستوياتها على بعض الخصائص السردية، كما أنهما التاريخي والسردي يخرجان من سراج واحد ليؤديا وظيفة ثقافية متقاربة، يمكن وصفها بأنها وظيفة الكشف عن التجارب الإنسانية ورصدها، ولئن كان التاريخيّ ينقّب عن هذه التجارب في آفاق الماضي، فإن السرديّ يتوجه إلى شبكات الراهن المعقدة يكشف المطمور منها والمتداخل. ويمكننا رصد هذا التواشج في هذه النقاط.

د. شحاتة محمد الحو
باحث أكاديمي بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

أولاً: إن النظرة إلى التاريخ بوصفه علما جامدا يخضع لمنهجية صارمة لا تتعاطى مع الخيال البشري، وهي نظرة تفتقد الوعي الكامل بطبيعة هذا العلم، فالعناصر التي يستقى منها التاريخ مادته الأولية (كالوثائق والنقوش وغيرها) لا تكفى وحدها لتقديم تفسير مشبع لتجربة الإنسان في الكون، فالوثائق تقدم رموزا يصوغ منها المؤرخ أحداثا، أو تسرد أحداثا تتخللها فجوات، يسعى المؤرخ لأن يملأ هذه الفجوات من تأملاته الخاصة في دوافع الإنسان الكامنة وراء الحادث ليربط بين الحوادث الجزئية، وكذا بين المقدمات والنتائج، وهذه التأملات لا تنفصل عن الجانب التخييلي، وعلى هذا فإن تدخُّل العنصر التخييلي في السرد التاريخي ليس ترفا بقدر ما هو ضرورة حتمية، يلجأ إليها المؤرخ ليجيب عن «كيف»، و«لماذا»؛ الأمر الذي يجعله يصل إلى أقرب صورة ممكنة ومنطقية للحقيقة التاريخية.

ومن ثم يصبح السؤال مشروعا عن ماهية هذا التاريخ الذي نتلقاه في صورة تامة، هل هو ما وقع بالفعل من حوادث الماضي؟! أم أنه صناعة المؤرخ نفسه وصورة ذهنية شكَّلها بتصوره الخاص للماضي، اعتمادا على ما وقع بين يديه من مادة خام لهذا التاريخ؟! يقول ابن خلدون عن فن التاريخ:

«هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدّول، والسّوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال، وتؤدّي لنا شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال، واتّسع للدّول فيها النّطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتّى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزّوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق[1]».

ففن التاريخ إذن ينطوي على وجهين: ظاهر يتمثل في الإخبار عن الوقائع والأحداث، وباطن يتمثل في تأمل هذه الوقائع وسبر أغوارها للوقوف على سببية حدوثها، واستنباط قوانينها الداخلية التي سيَّرت حركتها. ولربما كان الوجه الثاني أكثر هيمنة في صناعة الخطاب التاريخي، إذ إن الماضي المثبت بالوثائق أو المؤكد يعدُّ ضئيلا (مثل تاريخ معركة أو سنة وفاة) في مقابل التاريخ المتصور. ومن ثم فالتاريخ لا يمكن أن ينفصل عن المؤرخ الذي يبث رؤيته عبر خطابه التفسيري لوقائعه قد يحمل

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، جـ١، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٨٢.

في أثنائه مضامين راهنة، وهذه لا شك نقطة التقاء تعمق الصلة بين السرد التاريخي والروائي، بين المؤرخ والروائي، فالروائي يسعى لبث خطابه الخاص من خلال التوجيه السردي للأحداث، والتصرف في مصائر الشخصيات، والمؤرخ يطرح خطابه الخاص عبر تقديم تصوراته عن أخبار الماضي.

ثانيا: صحبت الصيغ الحكائية التاريخَ منذ بداياته الأولى، حيث تكشف التسجيلات التاريخية الأولى لدى كثير من الأمم عن احتوائها على جانب كبير من تلك الصيغ– إن لم تكن جلها ضربا منها–، فجاءت في شكل أساطير وملاحم، وحكايات غرائبية تفسر نشأة الكون، وبداية الحياة البشرية، وترصد البطولات الخارقة وكرامات القديسين والأولياء؛ ولذا نجد تداخلا في الكتابات التاريخية القديمة بين ما هو تاريخي موضوعي وما هو مخترع مستمد بالمقام الأول من الخيال الديني.

ولا تخلو ثقافتنا العربية بتاريخيها الرسمي والشعبي (المهمش) من هذا الجانب، ولعل نظرة سريعة على بعض مصادر التاريخ في تراثنا تكشف هذا الأمر، فنجد بعض المصادر التاريخية تبدأ التسجيل من خلق الأرض وحياة البشرية الأولى، وعناوين الأبواب الأولى دالة على ذلك (القول في أول الزمان ما هو، القول في ابتداء الخلق ما كان أوله، ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماوات والأرض وما بينهما، القول في خلق آدم عليه السلام، ذكر البحر المحيط وما فيه من العجائب،... إلخ[٢].

ويمكننا أن نورد تمثيلا لهذا الجانب الذي يتجلى فيه الخيال الأسطوري، حيث يصف المسعودي (ت ٣٤٦هـ) فضاء مكانيا يسمى «البحر المحيط» وصفا عجائبيًّا، لا تربطه صلةٌ بالمرجع بقدر ما ينبع من الخيال الديني الذي يستمد منه الوصف مفرداته المكانية، وشخصياته الشريرة التي تسكن هذا المكان.

(٢) انظر على سبيل المثال: محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، دار التراث ، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ. وابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، طبعة دار الفكر، ١٩٨٦م. وكذلك على بن الحسين بن على المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م. ص٣١، وما بعدها.

«إن فيه عرش إبليس – لعنه الله– فوق البحر المظلم يتشبه بالباري عز وجل، ويحمله نفر من الأبالسة والعفاريت العظام لحمله، ويحيط به عفاريت من الجن الذين هم في طاعته فمنهم من في لجحه لا يفارقه، ومنهم من يتصرف عن أمره، وإنه لا يزول مرتبته إلا إلى من يطمع في فتنته أو عبد صالح يريد كيده، والباقون من أعوانه الذين يسعون إلى الناس ويضلونهم، وسجنه في جزيرة منه يحبس فيه من خالفه من الجن والشياطين. وفيه هيكل سليمان النبي عليه السلام، وفيه جسده وهو قصر عجيب في جزيرة، وفيه مواضع لا تزال على مر الزمان ترمي نارًا ترتفع على مائة ذراع، وفيه أسماك طول الحوت مدة أيام، وكل صورة عجيبة مختلفات الأشكال والصفات الملونة في كل لون من الألوان. وفيه مدائن تطفو على الماء وتغيب عنهم. وفيه الثلاثة أصنام التي عملها أبرهة أحدها أصفر يومئ بيده كأنه يخاطب من جاوزه، ويأمره بالرجوع، والصنم الثاني أخضر رافع يديه باسط لهما كأنه يريد إلى أين تذهب، والصنم الثالث أسود مفلفل الشعر يومئ بأصبعه إلى البحر: من جاز هذا المكان غرق، مكتوب على صدره « هذا ما صنع أبرهة ذو المنار الحميري لسيده الشمس تقربًا إليه»[٣].

ثالثاً: تزامن صعود فن الرواية في القرن التاسع عشر مع صعود علم التاريخ حيث «اتكأ الطرفان على مقولة الإنسان الباحث عن أصوله بعد أن رأى في نفسه أصلا لما عاداه»[٤]. وهذا التصاحب في الصعود يشير إلى أنهما إفراز نسق ثقافي اقتضى وجودهما معا، في إطار جملة من التحولات الاجتماعية غير المسبوقة في أوروبا، تضمنت الثورة العلمية والقومية، والثورة البرجوازية، منتهية إلى مجتمع جديد يؤمن بالحرية والعدالة والمساواة[٥].

أما الرواية العربية فلم تكن بدايتها رهينة النسق الثقافي الأوروبي، فلم يزامنها صعود في علم التاريخ أو قيام ثورة علمية، لكن على الرغم من ذلك نمت بواكير الرواية العربية في حضن التاريخ، فاستثمرت ما فيه من بنية سردية تمثلت في التجارب الإنسانية الهائلة التي يزخر بها الماضي.

ويمكننا القول إن الرواية العربية مرت في هذا السبيل بمرحلتين:

١- المرحلة الأولى: التعبير عن التاريخ

ونعني بالتعبير عن التاريخ تمثيله سرديًّا دون أن يُحمِّله الكاتب مضامين الراهن أو المعيش؛ وذلك لغايات عدة، تأتي في مقدمتها النسق السائد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين المتعلق بإحياء الماضي، وتكريس قيم الاعتزاز القومي والتغني بمفاخره؛ فنشطت الحركة الإحيائية في الشعر العربي وأخذت طريق العودة إلى الينابيع والاتصال بالجذور لتكون العودة قاعدة للانطلاق.

ولئن كانت الشعرية العربية قد تحاورت مع الأسلاف في ضوء المعارف الأدبية والفكرية الوافدة، فإن السردية العربية لم يكن لها أسلاف – وإن كانت هناك أشكال حكائية راسخة في التراث العربي– تماثل حرفيًّا هذا الوافد الجديد تستلهم منه موضوعاتها أو تستقي منه قواعدها، فاتخذت من التاريخ ميدانا للتعبير عن أحداثه من جهة، وأشبعت الرغبة الدفينة في عدم الشعور بالانسحاق أمام التيار الغربي الهادر الذي يواصل وفوده وتأثيره من جهة أخرى.

(٣) المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، السابق، ص ٤١، ٤٢.

(٤) فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥.

(٥) فيصل دراج: السابق، ص٥.

ويبدو أن اللجوء إلى التاريخ لم يكن وليد هذه النزعة فحسب، وإنما يدخل فيه –أيضا– ما كان سائدا في هذه المرحلة من الإقبال على التعريب وشيوع المعربات القائمة على التخييل التاريخي، حيث يرصد «عبد الله إبراهيم» اكتساح هذا النوع من المعربات عالم السرد العربي، وحُظْوه بمقروئية كبيرة آنذاك، من أمثال «روايات دوماس الأب التي وصفت بأنها (نهر خارق من السرد) واستوحى فيها جوانب من تاريخ فرنسا هادفًا من ذلك إلى جذب القراء الذين كانوا يجهلون أشياء كثيرة عن تاريخ بلادهم بعد أن تربعت بوصفها إحدى الإمبراطوريات الأوروبية الكبرى»[(٦)].

ونخلص من ذلك إلى أن سلطة المتلقي لعبت دورا لا يُنكر في لجوء كتاب الرواية في تلك المرحلة إلى التاريخ، وفي التزامهم بحرفيته أو إسرافهم في النقل عن المصادر دون إعطاء التخييل مجالا أوسع، فظل في مستوى التخييل المتعلق أو المحدود، حتى إن جورجي زيدان كان حريصًا على ذكر المراجع التي استقى منها أحداثه عقب ذكره أسماء الشخصيات؛ ليضفي على سرده طابع المصداقية ويعمق الإيهام بواقعية السرد، كما أضاف بعض الوقائع المتخيلة كالحب، ولقاء العشاق ونحو ذلك إلى حوادث التاريخ المحورية –التي نسبها إلى صانعيها الحقيقيين– كنوع من التشويق؛ الأمر الذي يُقَرِّب التاريخي عبر قناة سردية طيعة، فضلا عن اهتمامه بأحداث هامشية وسلوكيات إنسانية ليست من صميم اهتمام التاريخ التقليديّ.

(٦) د.عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ص ٢٥٢.

٢- المرحلة الثانية: التعبير بالتاريخ

وفيها يتجاوز الروائي التعبير الحرفي عن التاريخ بحيث يكون أكثر حرية في صياغة وقائعه وخلق وقائع أخرى محايثة ينفذ من خلالها إلى قضايا الراهن، بل إنه قد يكتفي ببنى التاريخ بوصفها زمنا خارجيًّا للأحداث أو خطوطا عامة للجو السردي، على حين تبقى المضامين مسقطة على الحاضر، وتبقى الشخصيات رغم اختلاف هيئتها والمستوى اللغوي لملفوظها والفضاء المكاني الذي ترتاده متماهية مع إنسان الحاضر، وهنا يبرز التاريخ قناعا يتخفى السارد وراءه؛ ليقول ما يتعذر قوله صراحة، لاسيما إن كان زمن الكتابة يرسخ في وعي المبدع حواجز تكبل تمثيله للواقعي، ويحاصره نظام سلطوي يجرم الاختلاف، هنا يلجأ الروائي إلى التاريخ بوصفه وسيلة تمويهية تمكِّنه من تمرير خطابه محمَّلا برؤاه وتحيزاته الخاصة، التي يكشف عنها محاورة المتلقي مع النص التاريخي (المُسَرَّد) زمن التلقي فكل قراءة هي أي أن التاريخ يصبح وفق هذا التوظيف الدلالي مرآة للحاضر. ويبقى النص التاريخي معينًا محملا بالنماذج البشرية والتجارب الثرية التي يمكن للكاتب تحميلها بالرموز والدلالات بما ينسجم مع طرحه، وعليه أن ينقب في ثنايا هذا التاريخي عن الوقائع والشخصيات التي تتماثل من حيث الجوهر مع الراهن الذي يعبر عنه.

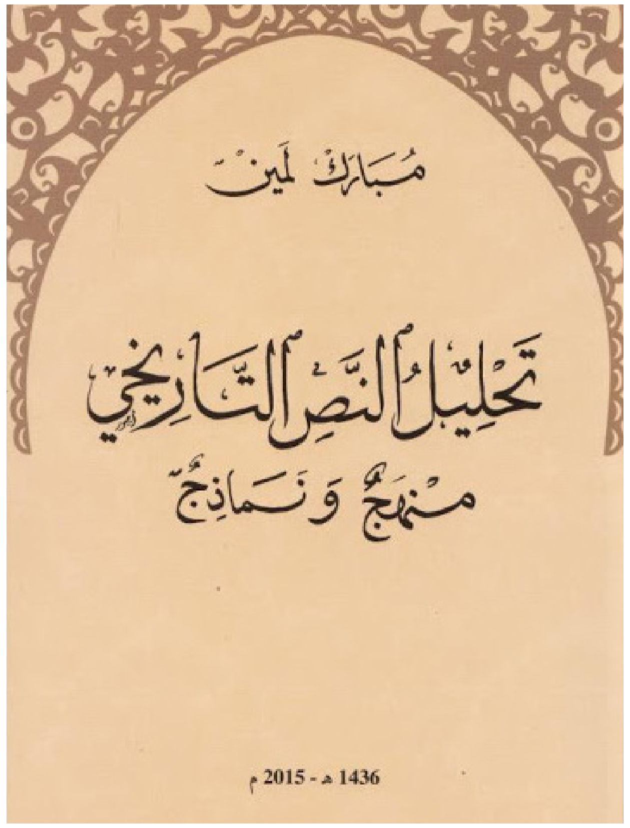

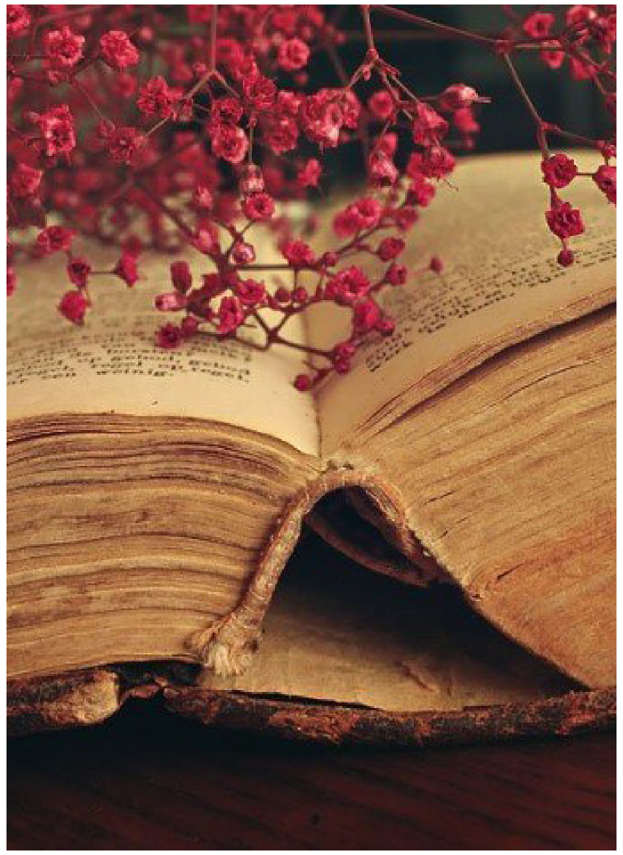

ماذا سَيُضيفُ المُعجَمُ التّاريخيّ للّغة العربيّة؟

د. ياسين بوراس

أستاذ علوم اللّغة بجامعة محمّد البشير الإبراهيميّ
والخبير بالمجلس الأعلى للّغة العربيّة

كَثيرًا ما يُطْرَحُ التَّساؤُل حول مشروع المعجم التّاريخيّ، عند من اختصّ في هذا المجال أو لم يختص، ما الذي سيضيف هذا المعجم للّغة العربيّة؟ وإن كان له ما له من الأهميّة، فلماذا تَأخّـر النَّاطقون بهذه اللّغة في إعداده؟ والحَقيقَة إنّ الإجابة عن هذا السُّؤال أو السّؤالَيْن الأوّل والثّاني، تقتضي منّا الدّقة أمام مشروع وُصِفَ في أكثر من مرة عند الباحثين المُختصّين بأنّه (مشروع حضاريٍّ) و(مشروع أُمّة) و(مشروع نَهْضَة)، وقَبْلَ إجابتنا عن هذا السُّؤال أو السُّؤالَيْن تحديدا، لا بُدَّ من تحديد مفهوم المعجم التّاريخيّ، ومن ثمّ تبرير وصفه بهذه الصّفات.

يُقْصَدُ بالمعجم التّاريخيّ في مجال الصّناعة المعجميّة، ذلك المُعْجَمُ الذي يقف على حياة اللّغة مُتَتَبِّعا مختلف مراحل تَطَوُّرها من حيث اللّفظ والمعنى، بين نُمُوٍّ بعض الألفاظ وضمور بعضها، وتجدُّد بعض المعاني فيها واختفاء بعضها، وهو بذلك يُقدِّم صُورة نَموذجيّة عن تاريخ الألفاظ ومعانيها في لغة من اللغات.

وهو يَعْتَمِد في هذا العمل قاعدة عامّة، تقول كما جاء بها أصحاب المشروع الخاصّ (بالمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة)، وهما مَجْمَعُ اللغة العربيّة بالشّارقة و اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالقاهرة:

«هذا اللّفظ بهذا المبنى بهذا المعنى لهذا القائل في هذا التّاريخ ضمن هذا الشّاهد»

هذا عن مفهومه، أمّا سَبَبُ وصفه بهذه الصّفات، ومن بينها أنَّه مشروع حضاريّ؛ فلأنّه يُؤَرِّخ للغة امتدّت حضارتها لأكثَرَ مِنْ خَمسَّة عشر قرنا، وهِيَ مُدَّة لَمْ تُتَحْ لأيِّ لغة من اللّغات البشريّة مَهمَا بلغ شأوها أو عمّرت، وهو السّبب الذي أَخَّر النّاطقين بالعربيّة من أبناء وطنها قرونا لإعداده؛ بسبب طول المدة بين تاريخ نشأة هذه اللّغة وتاريخها الحاضر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فلأنّه يُؤَرِّخ لألفاظ اللغة العربيّة عبر مختلف مراحل تاريخها، بدءا بأوّل تاريخ لها وهو العصر الجاهليّ، وانتهاءً بآخر عصر وهو العصر الحديث، ليُغطيَ بذلك خمسة عصور من تاريخ اللغة العربيّة، وهي: العصر الجاهلي، والإسلاميّ، والعباسيّ، وعصر الدّول والإمارات، والعصر الحديث، ويُعَدُّ بذلك شاهدا مادّيا على مرحلة كاملة من تاريخ اللغة العربيّة في هذه الحضارة. أمّا سبب وصفه بأنّه (مشروع أمّة)؛ فلأنّه مفتوح على مختلف الشُّعُوب العربيّة النّاطقة بهذه اللّغة، إفادة واستفادة، كُلٌّ بما يملك من أفكار للتّخطِيطِ أو مال للتّمويل أو جُهْدٍ للعمل، من دون استثناء؛ ليكون هذا المَشْرُوع من بين المَشارِيعِ الّتي تَجْتَمِعُ عَلَيْهَا أُمَّة بِأكْمَلِها لِضَخَامَتِه، في شَكْلِ عمل جماعيٍّ، يدعمه التَّحلِّي بروح المَسؤوليَّة تُجاه لغة هي الأمّ بالنّسبة إلينا، بعد أنْ حباها الله بقرآنه واختارها أن تكون لسانا للعالمين؛ فضلا عمّا قَدّمته للبشريّة والحضارة الإنسانيّة ولا تزال، وما قدّمته ولا تزال تقدّمه للنّاطقين بها من خِدْمَات جليلة أقلُّها شأنّا التَّعبُّد بِهَا كطريق للجنّة؛ بله الحديثَ عن التَّعلُّم، والسِّياسَة، والإعلام، والتِّجارة... إلخ، وعَهْدِي بالمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: كَفَى بِالمَرْءِ أنْ يُولَدَ مُسْلِمًا، وهذه اللّغة من دون شكّ وَحْدَها هي التي تضمن على الأقلّ للإنسان في صِبَاه هذه العَقِيدَة. أمّا سَبَبُ وَصْفِهِ بَأنَّه (مشروع نَهْضَة)؛ فلأنّه حَقًّا يُقدِّم الكَثِيرَ لحاضر اللّغة العربيّة قبل ماضيها، باعتباره يعالج الكثير من المشاكل التي تواجه اللغة العربيّة في هذا العصر كصعوبة فهم النّصوص التّراثيّة القديمة، وغياب المصطلح العلميّ، وصعوبة التّرجمة إليها، وصعوبة تحقيق مخطوطاتها. ولَعَلَّ المجالات الَّتي يُمْكِنُ فيها الاستفادة من هذا المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة كفيلة بتبرير هذا الوصف، وأُولَى هَذِهِ المَجالات تحديدا هي التَّعليم، والتّرجمة، والصّناعة المعجميّة والتّحقيق، وعلم الدّلالة العربيّ:

١- التّعليم: لا ينكر أحد منا بأيّة حال من الأحوال الصّعوبات التي تواجه متعلّمي اللّغة العربيّة، استنادًا إلى النّصوص الأدبيّة القديمة وحتّى الحديثة منها، لتَميُّز كُلّ كاتب أو شاعر بأسلوبه في الكتابة، فاللّغة في جميع الأحوال هي للجميع، لكن الإبداع فيها يبقى المزيّة الأساسيّة والخاصّة بأسلوب الكاتب، ومن هنا تظهر دوما مشكلة صعوبة فهم النّصوص الأدبيّة التي يُعتمَد عليها بالدّرجة الأولى في تنميّة المهارات اللغويّة، وأمام عجز المعاجم اللغويّة القديمة والحديثة منها عن استيعاب جميع ألفاظ اللّغة ومعانيها، بشكل يُمكِّن من فهم جميع مفردات اللّغة العربيّة التي يمكن أنْ ترد ضمن هذه النّصوص، يغدو المُعجمُ التّاريخيُّ الوسيلة الأولى التي تُمكِّن من فهم معاني مفردات اللّغة في أيّ نصّ من النّصوص من خلال تحديد مرحلته التّاريخية، وبالتّالي فهو يُمكِن أن يساعد إلى حدٍّ بعيد المُعلِّمين والمتعلّمين على فهم مختلف النّصوص الأدبيّة على اختلاف مراحل تاريخها، كما يُمكِّن من تحليلها تحليلا صَحيحًا وفق ما تقتضيه العَمَليَّة التَّعليميَّة.

٢- التّرجمة: لا يَخفَى على أحد من المُتخصِّصين في مجال التّرجمة أو التّرجمة من العربية و اليها، أنّ التّرجمة إلى هذه اللّغة قد أضحت من الصّعوبة بمكان، لِعدّة أسباب منها غياب

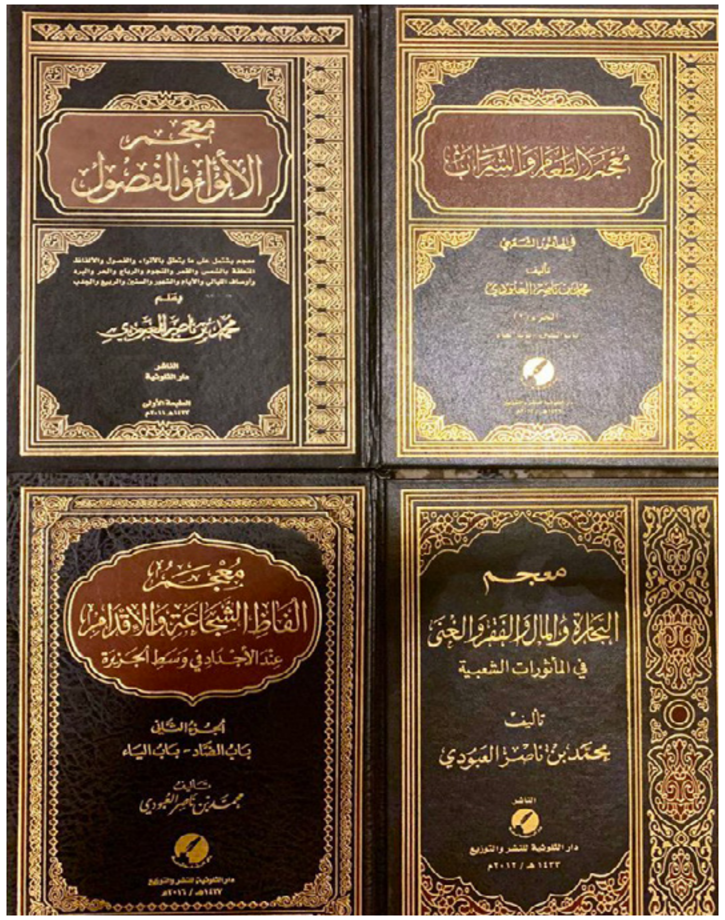

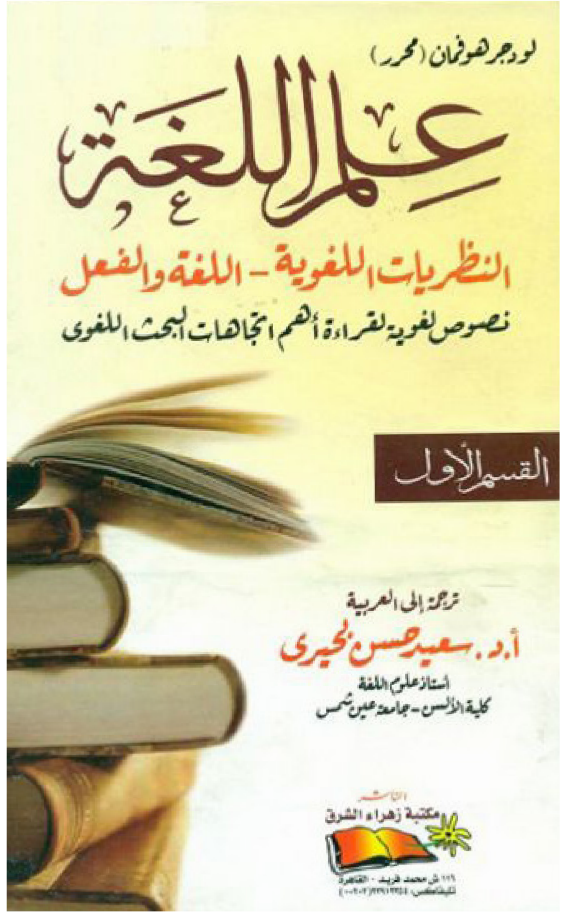

المصطلح العلميّ، وعدم دقّة بعض المصطلحات في نقل المعنى، وقلّة تجربة العربيّة مع هذا العمل العلميّ الذي يحتاج بالضّرورة إلى أيدٍ عاملة كثيرة لاستيعاب الإنتاج العلميّ في اللّغات الأجنبيّة، وأخيرا عجز التّرجمة الآليّة عن نقل النّصوص من لغتها المصدر إلى اللغة الهدف وهي العربيّة، نقلا صحيحًا؛ إذ كثيرا ما ولّدت التّرجمة الآلية إلى اللّغة العربيّة، عدّة إشكالات على مستوى هذا العمل ممّا استدعى تدخُّل اليد البشريّة في كلّ مرّة لتصحيح النّصوص التي ينتجها هذا النّوع من التّرجمة.

وأمام هذه المشاكل التي تواجهها اللّغة العربيّة في مجال التّرجمة والتّرجمة الآليّة، يُعَدُّ المعجم التّاريخيّ بمثابة حلّ جزئيّ لمشكلة من مشاكل التّرجمة وهي تقريب المصطلح العلميّ من الباحثين، باعتباره مدوّنة لغويّة يعود إليها المُترجِم كلّما استدعى الأمر ذلك، لوضع المصطلح أو اللفظ المناسب للمعنى المناسب، وكذا تسريع عمليّة التّرجمة إلى العربيّة التي عادة ما تستدعي تَوقُّف المُترجِم عن هذا العمل للبحث في المعاجم اللغويّة القديمة أو الحديثة عن مقابل عربيّ، وهو ما يَحدث مع معظم المترجمين إلى العربيّة في مختلف دول الوطن العربيّ.

٣- الصِّناعة المُعجميَّة: تُعدُّ الصِّناعة المُعجميّة من المجالات العلميّة الرّائدة في مجال الدّراسات اللغويّة الحديثة، نظرا لأهميّتها بالنّسبة لمجالات عدّة في حياة الإنسان المعاصر: كالتّعليم، والسّياحة، والإعلام، والتّجارة، وغيرها من المجالات التي تقوم أساسا على وظيفيّة اللّغة، حيث تهتمّ الصّناعة المعجميّة في هذه المجالات بصناعة المعاجم اللّغويّة، والقواميس المصطلحيّة، المُوجَّهة لأغراض علميّة أو تعليميّة، وكذا الأدلّة الوظيفيّة، وأدلّة المحادثة اليوميّة، والإعلانات والإشهارات، والأدلّة الخاصّة باستعمال الأجهزة الإلكترونيّة والميكانيكيّة في المؤسّسات الصّناعيّة أو التّجاريّة، إلى جانب طريقة ترتيبها وتبويبها داخل هذه المعاجم أو القواميس أو الأدلّة؛ لتسهيل عمليّة استخدامها داخل هذه المؤسّسات الخاصّة بها. وهنا من دون شكّ فإنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يقدّم ثروة لغويّة هائلة من شأنها أن تُسهِم في بناء هذه المعاجم اللغويّة أو القواميس المصطلحيّة أو الأدلّة الوظيفيّة أو الخاصّة بالمحادثة أو التّواصل أو استعمال الأجهزة والأدوات، مع إمكانيّة تحديثها باستمرار كلّما استدعت الحاجة إلى ذلك، كما من شأنه أنْ يُغطّي هذا العجز المصطلحيّ الذي تعاني منه العربيّة في مختلف المجالات العلميّة، من خلال توفيره لمعلومات كافيّة عن طبيعة المُستعمَل والمُهمَل من ألفاظها لتوليد معانٍ جديدة من هذه الألفاظ، أو استخدام المهمل منها في التّعبير عن هذه المعاني.

٤- التّحقيق: يُقصَد بالتّحقيق هنا فنُّ تحقيق المخطوطات الذي يُعنَى بتخريج النّصوص إلى جانب الشّواهد الشّعريّة والنّثريّة وتخريج أسماء الأعلام والأمكنة. ولا شَكّ هنا في أنّ اشتغال المُحقِّق على النّصوص القديمة، كثيرا ما يطرح لديه عدّة إشكالات كالتّصحيف والتّحريف وسقوط بعض الكلمات وعدم وضوح بعضها، وتشابه بعضها مع بعض في ما تجانس من هذه الكلمات وبخاصّة مع غياب نسخة ثانية يعود إليها المُحقّق في كثير من الأحيان للمقارنة والتّرجيح. وهنا لا شكّ في أنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، يُمكّن المُشتغلين على النّصوص القديمة بالتّحقيق، مِنَ التّثبُّت مِنْ طبيعة الكلمات التي وَقَعَ عليها الغُموض، من خلال تحديده لمختلف المعاني التي وردت عليها الكلمات المُتشابهة في سياقات مختلفة، أو تحديده للكلمة التي تناسب السّياق فيما سقط من هذه الكلمات أو مسّه تصحيف أو تحريف.

٥- علم الدّلالة العربيّ: يَصِحُّ القول بأنّه لا يُمكِن قَصْرُ علم من العلوم على جِنْس بشريّ محدّد أو لغة بعينها، ولكن من باب التّخصيص أو الاختصاص، يمكن أن نعدّ علم الدّلالة في لغة من اللّغات أو حضارة من الحضارات، ذلك العلم الذي يهتم بقضايا الدّلالة فيها أو في لغة من لغاتها، ومن هذا المنطلق تبنّينا مصطلح علم الدّلالة العربيّ كما تبنّته بعض الكتب العربيّة، إيمانا منّا باختصاص هذا العلم في مرحلة من تاريخه بقضايا الدّلالة في اللّغة العربيّة، وإذا كانت موضوعات هذا العلم بالتّحديد تقف على مختلف العلاقات الدّلاليّة القائمة بين الألفاظ: كالاشتقاق، والتّرادف. أو القائمة بين المعاني: كالمشترك اللفظيّ، والتّضاد، والمجاز، والحقول الدّلاليّة، فإنّ المعجم التّاريخيّ يُمكِن أنْ يُقدِّم نظريّة عامّة عن كلّ هذه العلاقات الدّلاليّة في اللّغة العربيّة، في ما يقدّمه من شرح لمعاني الألفاظ في مختلف سياقاتها التي ترد فيها، وعبر مختلف مراحل تاريخها، بما يمكّن من بناء معاجم دلاليّة خاصّة بمختلف هذه العلاقات، كبناء معاجم للمُشتقّات، أو الأضداد، أو المشترك اللفظيّ، أو المترادفات، أو الحقول الدّلاليّة، وغيرها مما يرتبط بقضايا الدّلالة.

ومن دون التّوسُّع في هذه المجالات أكثر، يبقى مجال الثّقافة المجال الأوسع للاستفادة من هذا المعجم (المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة) في تقديم ثقافة عامّة عن ألفاظ اللّغة العربيّة ومعانيها عبر مختلف مراحل تاريخها، مع أمل أن نكون من خلال هذه المجالات قد أجبنا عن السّؤال المُتضمَّن في فاتحة هذا المقال (ماذا سيضيف هذا المعجم للّغة العربيّة؟ ولماذا تأخّر النّاطقون بهذه اللّغة في إعداده؟).

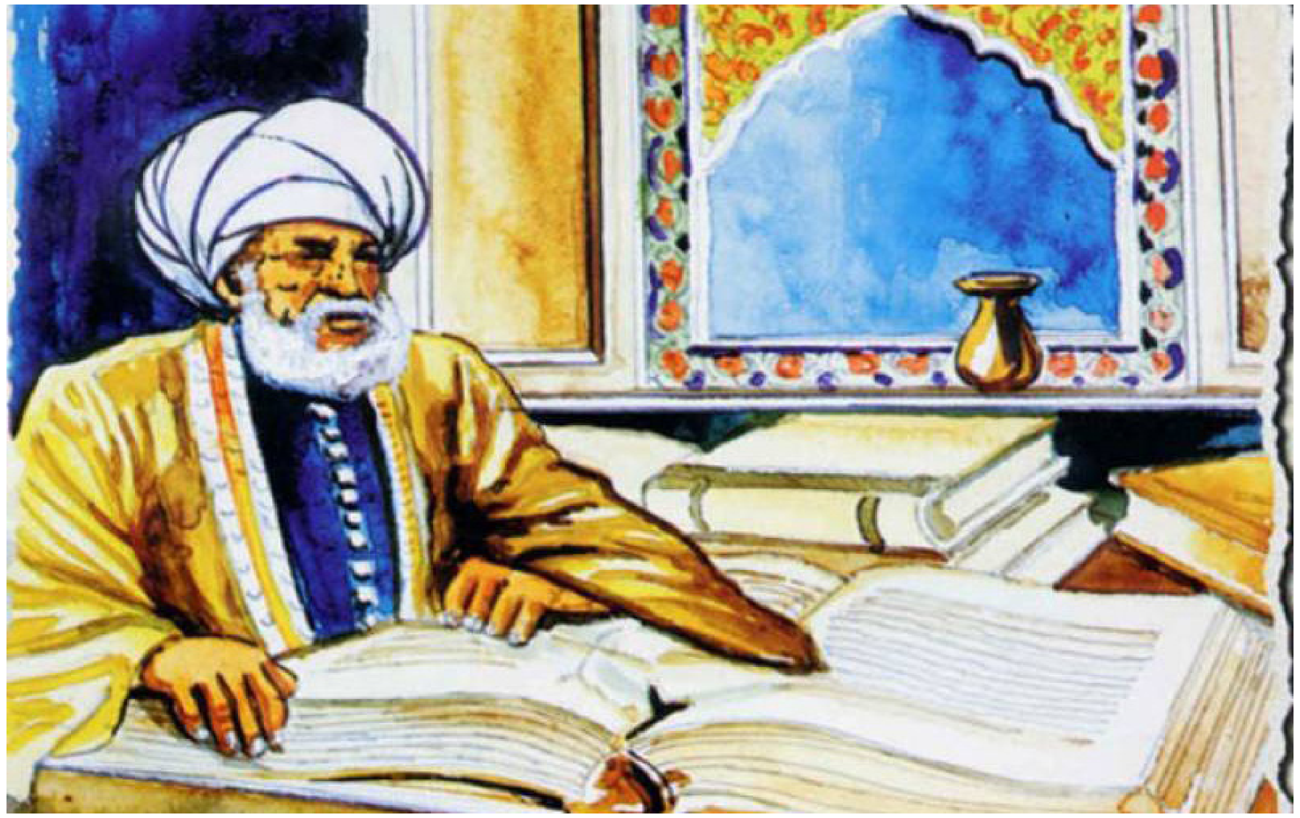

قراءة في المسيرة العلمية لأبـــي حيّـــان الأنـــدلســـي أحد أئمّة النحو والصرف

من أبـرز أعـلام العربية في القـرن الثامن الهجري أبـو حيّان الأندلسـي (٦٥٤-٧٤٥هـ)، فقـد كان عالِمًا مبـرّزًا في النحـو، والصـرف، واللغـة، والتفسير، والقـراءات، والحديـث، والتاريـخ، والتراجـم، والأدب وغير ذلك.

ويُعدّ كتاب (التذييـل والتكميل شـرح التسهيل) لأبي حيّان من أوسـع الكتب المؤلَّفة في علمَي النّحو والصّرف، ومَن يطالع هذا الكتاب يعجب من تمكّن أبي حيّان وسَعة اطلاعه، واستيعابه آراء البصريين والكوفيين، وغيرهـم، حتـى صار كتابه بحرًا غـرف منه جِلّة من معاصريـه أو ممّن جـاء بعده، كابن أم قاسـم المـرادي (ت: ٧٤٩هـ).

معتز وسام المحتسب
باحث في شركة روافد المعرفة للأبحاث والعلومات

فكيف حقّق أبو حيّان هذه المكنة العلميّة؟

وُلد صاحبنا أثير الدين أبو حيّان محمّد بن يوسف النَّفْزيّ الجيّانيّ في أحدِ أحياء مدينة غَرناطة بالأندلس، في أواخر شوّال (سنةَ ٦٥٤هـ)، الموافق لمنتصف تشرين الثاني سنةَ ١٢٥٦م.

ويعود أصله إلى قبيلة نَفْزة البربرية، وقد سكن أهلُه مدينةَ جَيّان الأندلسية، ثمّ هاجروا إلى غَرناطة التي وُلد فيها، توفّي أبو حيّان رحمه الله بالقاهرة، في يوم السبت بعد العصر، الثامن والعشرين من صفر، (سنة ٧٤٥هـ)، الموافق للحادي عشر من تمّوز سنة ١٣٤٤م.

ومن خلال تأمّل سيرته وترجمته -خاصة ما ذكره تلميذُه الصفدي في الوافي بالوفَيات[١] ، وأعيان العصر[٢] ، وما ذكره المقّري في نفح الطيب[٣] - يظهر أن من أبرز أسباب سعة تحصيله العلمي ما يلي:

١- بدْوُه طلبَ العلم في سنّ مبكرة، فقد بدأ بذلك قبل سنّ الخامسة عشرة؛ فإن الصّفديَّ ذكر أن أبا حيّان خدم العلم مدّةً تقارب الثمانين سنةً، وقد عُمّر تسعين سنةً تقريبًا، فيكون قد بدأ بطلب العلم واشتغل به وهو في العاشرة من عمره تقريبًا.

٢- تنوّع العلوم التي سعى إلى تحصيلها، بدءًا بالقرآن الكريم وقراءاته، ثمّ الحديث النبوي وعلومه، وعلوم العربية نحوًا وصرفًا ولغةً وبلاغةً وأدبًا وشعرًا، وعلم الفقه وأصوله، وعلم أصول الدين، وعلم المنطق، والتاريخ والتراجم، وقد كان له محفوظ جيّد في هذه العلوم، خاصّةً القرآنَ الكريم وقراءاتِه والحديثَ النبوي والأدبَ شعرًا ونثرًا.

٣- جدّيته في الطلب وحرصه على وقته، فقد قال فيه تلميذُه الصفدي:

«اجتهد وطلب وحصّل وكتب وقيّد، ولم أرَ في أشياخي أكثرَ اشتغالاً منه؛ لأني لم أرَه إلا يُسمِع أو يشتغل أو يكتب».

(١) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٥/ ١٧٥)

(٢) انظر: أعيان العصر (٥/ ٣٢٥)

(٣) انظر: نفح الطيب، للمقرَي(٢/ ٥٣٥).

٤- كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم، فقد كانوا نحو خمسين وأربعمئة شيخ. وكان من أبرز من أخذ عنهم علومَ العربية: أبو الحسين بن أبي الربيع (٥٩٩- ٦٨٨هـ)، وحازم القرطاجنّي (٦٠٨-٦٨٤هـ)، وأبو الحسن الأُبّذي (٦١٣-٦٨٠هـ)، وأبو جعفر أحمد بن يوسف اللّبْلي (٦١٣-٦٩١هـ)، وأبو الحسن ابن الضَّائع (٠٠٠ - ٦٨٠ هـ)

٥- رحلته في طلب العلم، فقد بدأ بالأخذ عن علماء بلده غَرناطة، ثم أخذ عن علماء بعض بلاد الأندلس، ثمّ ارتحل عنها مفتتحَ سنة ٦٧٩هـ إلى شمال إفريقيا، فأخذ عن علماء بجاية وتونس، ثم انتقل إلى الإسكندرية، وقرأ على بعض علمائها، وسمع من بعض علماء مكة، ثم قدم إلى مصر سنة ٦٨٠هـ، فنزل بالقاهرة واستقرّ بها والتقى بعلمائها، وفي أثناء استقراره بالقاهرة كانت له رحالات إلى أنحاء مصر والشام والعراق والسودان.

٦- إيلاؤه الكتبَ المهمّة في كلّ فنّ عُني به اهتمامًا خاصًّا، ففي فنّي النَحو والصَرف مثلًا اهتمّ في مرحلة الطَلب بـ(كتاب) سيبويه(ت: ١٨٠هـ)، و(الإيضاح) و(التَكملة) كلاهما لأبي عليّ الفارسيّ(ت: ٣٧٧هـ) و(المفصّل) للزّمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، و(الجُمل) للزَّجّاجيّ (ت: ٣٤٠هـ)، كما أشار إلى ذلك هو في إجازته للصّفديِّ التي أوردها في ترجمته لأبي حيان، وقد كان لأبي حيّان عناية بكتاب سيبويه وبمؤلّفات ابن عصفور الإشبيليّ (ت: ٦٦٩هـ)، وبمؤلّفات ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)،

أولًا: عناية أبي حيّان بكتاب سيبويه:

فإنَ أبا حيّان قرأ كتاب سيبويه غيرَ مرّة على عدد من كبار النحويّين في عصره، فقد ذكر المقّري في نفح الطيب[٤] أن أبا حيّان قرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء ابن النحاس الحلبي، بإسناده المتّصل إلى سيبويه.

ولأبي حيّان كتابان يتعلّقان بكتاب سيبويه، أحدهما: شرح

(٤) انظر: نفح الطيب (٢/ ٥٦١)

لـه، اختصره مـن شرح قـاسم بـن علي الصّفّار البطَلْيَوسي (ت بعد ٦٣٠هـ)، وسمّاه: (الإسفار الملخَّص من كتاب الصّفّار)، والآخر هو: (التجريد لأحكام سيبويه).

وحين تصدّر أبو حيّان للتدريس في مصر التزم ألا يُقرئ أحدًا النّحوَ إلا إن كان في كتاب سيبويه، أو في (التسهيل) لابن مالك، أو في تصانيفه[٥]، كما ذكر ذلك تلميذه الصفديُّ في الوافي بالوفَيات

ثانيًا: عناية أبي حيّان بكتب ابن عصفور:

اهتمّ أبو حيّان بكتب ابن عصفور، وكان يرى أنّها من أحسن كتب المتأخّرين المصنّفة في النّحو والصّرف، واختصر ثلاثة كتب منها؛ هي: (المقرّب في النحو) و(الممتع في التصريف) و(الشرح الكبير على جمل الزجاجي؛ فاختصر (المقرّب) في كتاب سمّاه: (تقريب المقرَّب)، واختصر (الممتع) في كتاب سمّاه: (المبدع الملخّص من الممتع)، واختصر (الشرح الكبير) في كتاب سمّاه: (الموفور من شرح ابن عصفور).

ثالثًا: عناية أبي حيّان بكتب ابن مالك.

عُني أبو حيّان بكتب ابن مالك، (الخلاصة في النحو) المشهور بـ(ألفية ابن مالك)، وكتاب (تسهيل الفوائد) على وجه الخصوص، أمّا (الألفية) فقد شرحها في كتابه (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك)، إلا أنه لم يُتمّه، ووقف فيه عند آخر باب أفعل التفضيل، وكان فيه كثيرَ الانتقاد لابن مالك.

وأما (تسهيل الفوائد) فقد كانت عناية أبي حيّان به أكثر من عنايته بـ(الألفية)، فهو أحد الكتب التي التزم ألا يُقرئ غيرها كما مرّ في كلام الصَفدي آنفًا، وهذا يدل على إعجابه به، وقد صرّح بذلك في مقدّمة (التذييل والتكميل)، والذي وصلنا من مختصرات أبي حيّان لكتب من سبقه هو مختصراته لكتب ابن عصفور:

(٥) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٥/١٧٥) و وأعيان العصر (٥/٣٣٢).

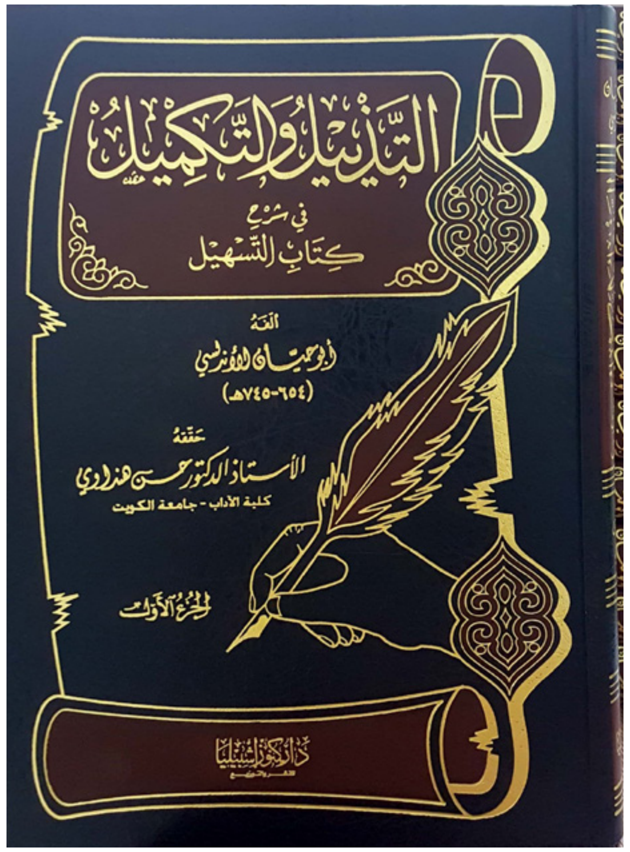

(تقريب المقرّب) و(المبدع الملخَّص من الممتع) (الموفور من شرح ابن عصفور)، وقد صرّح في مقدّماتها بمقصده من اختصارها، ويمكن إجمال هذا المقصد في أنه أراد تيسير الاستفادة ممّا في أصول تلك الكتب، حفظًا واستظهارًا ومراجعةً.

التسلسل الزمني في تأليف كتب النحو والصرف عند أبي حيان:

يُعدّ اختصار أبي حيّان بعضَ الكتب مرحلةً من مراحل التأليف في حياته العلمية، وقد كان لهذه المرحلة أثرٌ كبيرٌ في مصنّفاته النّحويّة اللاحقة، ويبدو أنّه ألّف أكثرَ كتبه بعد أن رحل عن الأندلس واستقرّ به المقام في مصر سنة ٦٨٠هـ. يظهر أنّ أوّلَ كتاب ألّفه في النّحو هو (تقريب المقرّب) الذي اختصر فيه (المقرّب) لابن عصفور، وذلك (سنة ٦٨٧هـ)؛ أي بعد أن استقرّ بمصر بنحو سبع سنوات، وبعد ذلك بسنتين ونصف تقريبًا فرغ أبو حيان من تأليف كتابَين مختصرَين في النّحو؛ هما: (اللَّمحة البدرية) و(غاية الإحسان)، وذلك (سنة ٦٨٩هـ).

وبعد عشر سنوات فرغ أبو حيان من تأليف كتاب (المبدع) الذي اختصر فيه (الممتع) لابن عصفور، وذلك سنة ٦٩٩هـ، ويبدو أنّ أبا حيّان ألّف في تلك السّنوات العشر كتابَيه (النكت الحسان في شرح غاية الإحسان)، و(التّدريب في تمثيل التقريب)، أمّا كتاب (الموفور) فلا يظهر ما يدلُّ على سنة الفراغ من تأليفه، فالنّسخة الخطية لهذا الكتاب التي بخطّ أبي حيّان فُقِد آخرُها، وعادته أنه كان يكتب تاريخَ الفراغ من التأليف في آخر النسخة، والمتيقَّن منه أنه ألّف (الموفور) بعد (المبدع)، ولعلّ تأليفه كان بين عامَي ٧٠٠ و٧١٠هـ. وبعد أنْ ألّف أبو حيّان هذه الكتبَ المختصَرة في النّحو والصّرف شرع في تأليف الكتب الموسّعة، وأهمّها أربعة: (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك)، و(البحر المحيط في التفسير)، و(التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل)، (ارتشاف الضرَب من لسان العرب). وأوّل هذه الكتب الأربعة تصنيفًا هو (منهج السالك)، فقد ذكره أبو حيّان وأحال عليه في مواضع عدة في (البحر المحيط) و(التذييل والتكميل) و(ارتشاف الضرب). وتلا كتابَ (منهج السالك) كتابُ (البحر المحيط) وكتابُ (التذييل والتكميل)، وقد صرّح أبو حيّان في مقدّمة (البحر المحيط) أنه شرع في تصنيفه في أواخر سنة ٧١٠هـ، أي بعد أن جاوز سنّ الخامسة والخمسين، ويبدو أنّه شرع في تصنيف (التذييل والتكميل) في الوقت نفسه بعد أن كُفي مؤونته وتفرغ للتعليم والتأليف. وقد مكث في تصنيفهما سنوات عدّة، ويدل على أنّه صنّفهما في وقت واحد أنه أحال في كلّ واحد منهما على الآخر في مواضع عدّة منهما، وأمّا آخرُ كتبه تصنيفًا من تلك الأربعة فهو (ارتشاف الضرَب من لسان العرب)، فقد ذكر في مقدمته أنه اختصره من كتابه (التذييل والتكميل)، فهو بعده قطعًا.

والمقصد من ذكر ما سبق هو بيان أن المكانة العلمية التي حازها أبو حيّان لم يصل إليها في يوم وليلة.ثم إنه لما شرع في التأليف تدرّج في ذلك؛ فبدأ باختصار كتب غيره، ثم بوضع كتب مختصرة له، ثم بعد نصف قرن من الزمن قضاها في التعلّم والتعليم شرع في تأليف الكتب المطوّلة مثل (التذييل والتكميل) و(ارتشاف الضرب).

أبو جعفر ابن النّحاس (ت: ٣٣٨ هـ)

- ومضاتٌ في فِكْره ومؤلفاته -

يدركُ الدّارسون والمهتمون باللّغة العربيّة مدى العناية والاهتمام الذي نالته هذه اللّغة من أبناء جلدتها بداية، تلاهم في ذلك الاهتمام مجموعة ليست بالقليلة من المستشرقين والأعاجم الذين أبصروا بعين الحقيقة ما تملكه العربيّة من أصول وقواعد وبلاغة فريدة شاركت في بثّ الحياة في العربيّة حتى يومنا هذا، بل إلى أجَلٍ غير مسمّى.

د. محمد عدنان الصمادي

وما كنّا ونحن في القرن الواحد والعشرين لنصل إلى فهْم عميق لدقائق لغتنا لولا تلك الجهود العظيمة التي بُذلت خدمةً للغة القرآن الكريم من علماء نذروا أنفسهم وأوقاتهم في سبْر أغوار العربيّة. ومن بين هؤلاء العلماء يلمعُ اسمٌ في القرن الرّابع الهجريّ لم يحظَ بعناية الباحثين والدّارسين، ولم تُطرقْ جهودَه المقرّراتُ الجامعيّة أو الرّسائلُ العلميّة إلّا نزرًا يسيرًا، وتبقى الدّراسات قاصرة عن إعطائه مكانته التي يستحقها بين علماء اللّغة والنّحو في القرون الهجريّة الأولى. نعم، إنّه أبو جعفر أحمد بن محمد ابن النّحاس المتوفّى عام (٣٣٨ هـ) صاحب أوّل كتاب متخصّص في إعراب القرآن المسمّى « إعراب القرآن »، وصاحب الكتاب الذي جمع بين صحائفه الرّكائز الأساسيّة التي تقوم عليها العربيّة ؛ النّحو والصّرف والبلاغة والعروض. إنّه الكتاب الموسوم بـ« شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلّقات»، الذي أدار له المحققون ظهورهم؛ فلم أقف إلّا على تحقيق منفرد له في عام ١٩٧٣م من الأستاذ أحمد خطّاب، ولعلّ الله تعالى يسهّل لي الصعوبات ويفتح لي أبواب فضله وعلمه بأنْ أنشرَ التّحقيق الثّاني للكتاب في عام ٢٠٢٠م؛ فقد وصلت بي رحلة التّحقيق إلى منتصف الطّريق.

فالحديثُ عن بعض المقتطفات اللّغويّة في فِكْر ابن النّحاس الذي يُعدُّ بحقٍّ علَمًا بارزًا من أعلام العربيّة في القرن الرّابع الهجريّ، هذا القرنُ الذي يمتلئ بالجهود العلميّة من كبار اللّغويين والنّحاة كالزّجاج، وابن السّراج، وأبي سعيد السّيرافيّ، وأبي علي الفارسيّ، والرّمانيّ، وابن جنيّ. ولعلّ هذه الأسماء الكبيرة أسهمت في صرْف النّظر عن دراسة مصنّفات ابن النّحاس، وهو لا يقلّ مكانة عنهم.

ولا يُدرَك جُهدُ عالم ما إلّا بما يتركه من مصنّفات وآثار علميّة وراءه، أو بما يرويه عنه طلابُه أو ممّن له اهتمام بالعلوم من العلماء أو الرّواة، وقد أدركتُ من خلال مسيرتي العلميّة المتواضعة، وما قرأته من مصنّفات وبحوث علميّة أنّ آراء ابن النّحاس لم تحظَ بكثير اهتمامٍ في كتب اللّغة والنّحو، ممّا يوجّهنا لدراسة مصنّفاته وآثاره العلميّة التي تعدُّ بحقٍّ مؤلّفاتٍ نفيسة في علوم العربيّة كافة؛ فقد ألّف ابن النّحاس في إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والنّاسخ والمنسوخ، وشرح أبيات سيبويه، وشرح المعلّقات.

وتظهر القيمة العلميّة الكبيرة لابن النّحاس وآرائه من خلال عِظَم شيوخه الّذين أخذ عنهم العلم، وهم: المُبرِّد، والزّجّاج، وأبو الحسن علي بنُ سليمان المعروف بالأخفش الأصغر، وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد المعروف بنفْطويه. فقد أكثرَ ابن النّحاس من النّقل عنهم في كتابَين اثنين على وجه الخصوص، هما: إعراب القرآن. وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلّقات؛ فمن خلال هذين الكتابين ستظهرُ لنا المكانة الحقيقيّة لابن النّحاس؛ ففي كتابه «إعراب القرآن» إشاراتٌ ودلالاتٌ واضحةٌ لفهْم منطلقات المدارس اللّسانيّة الحديثة كالمدرسة التّوليديّة التّحويليّة عند تشومسكي. وفي كتابه «شرح القصائد المشهورات» جهد عظيم في دراسة المسائل النّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة والعَروضيّة الواردة في المعلّقات، مدعومة بآراء أئمة العلماء من أهل البصرة والكوفة؛ فهو كتاب استوفى فيه صاحبُه كثيرًا ممّا يحتاجه الدّارس للأدب العربيّ بمسائله اللّغويّة.

فعند حديثنا عن كتاب «إعراب القرآن» نجد أنّ مؤلّفَه قد ضمّنه مادة علمية غزيرة، شهد لذلك الزّبيديّ بقوله: «**وكتاب إعراب القرآن جلب فيه الأقاويل، وحشد الوجوه**[1]» . والناظر في هذا الكتاب يجدُ صاحبه قد استقى مادته العلمية من أمهات كتب اللغة والنحو، كـ «معجم العين» للفراهيديّ، والكتاب لسيبويه، ومعاني القرآن للزّجّاج، والمسائل الكبير للأخفش الأوسط، والمصادر في القرآن للفراء، وغيرها من المصادر.

وقد جُمع في هذا الكتاب كثيرٌ من آراء البصريين والكوفيين والبغداديين، كما نُقل فيه عن الرواة والمُحدِّثين، وهذا يعطي الكتابَ مزيَّةً علميّةً متقدّمة؛ ذلك أنّ ورود الآراء المتعددة في المسألة الواحدة يعطي دلالة على سعة علم المؤلّف واطّلاعه على ما سبقه من آراء ومصنفات. وتظهر قيمة علميّة مُضافة لكتاب «إعراب القرآن» تتمثّل في تأثُّر عدد من النّحويين والمفسرين به؛ فأوردوا كلام ابن النّحاس في مصنفاتهم، ومنهم: مكيّ بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) في كتابه « مُشْكل إعراب القرآن»، وأبو البركات الأنباريّ(ت: ٥٧٧هـ) في كتابه «البيان في غريب إعراب القرآن»، وكذلك أبو عبد الله القرطبيّ (ت: ٦٧١هـ) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».

ومن المسائل النّحويّة التي ذكرها ابن النّحاس في كتابه «إعراب القرآن» وتأثّرت بها المدارس اللّسانيّة الحديثة « إنْ سلّمنا بذلك » مسألة الحذف اللّغويّ؛ فقد نصّ ابن النّحاس على أنّ علّة الحذف ترجع لأسباب هي[2] : **دلالة السّياق على المحذوف، والتّخفيف والاختصار، وكثرة الاستعمال، وعلم السّامع بالمحذوف.**

وينسجم كلام ابن النّحاس مع مبدأ الاقتصاد اللّغويّ عند المدرسة الوظيفيّة الّتي قالت: إنّ الجملة ينبغي لها «أنْ لا تحتوي أشكال

(١) طبقات النحويين واللغويين، ص: ٢٢٠.

(٢) انظر شواهد على ذلك في إعراب القرآن. ص: ٢٢٧، ٤٤٨، ٥٢٧، ٤٤٤، ٧١٥، ٩٦٤.

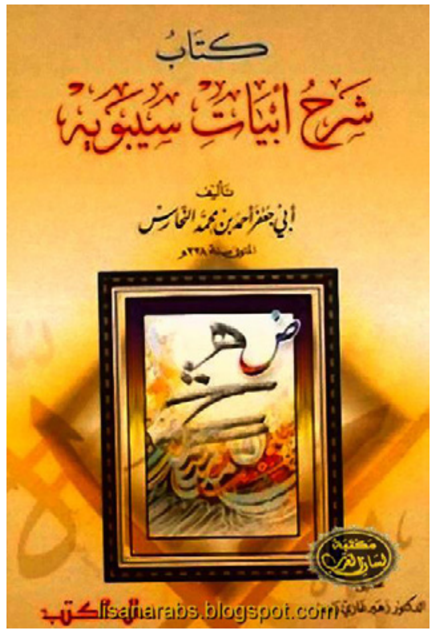

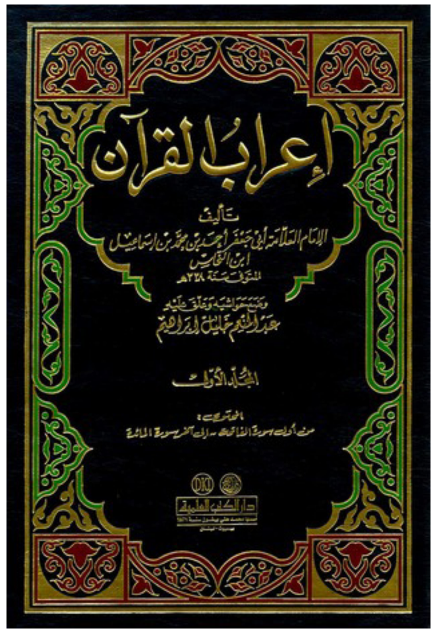

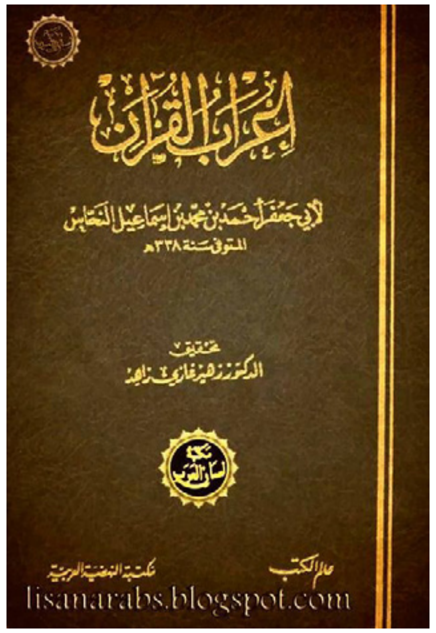

التعبير أكثر مما يحتاجُ إليه السّامع[٣]» . كما أنّ سياق الحذف اللّغويّ عند ابن النّحاس دلّ بصورة واضحة على كوْن الحذف أداة يلجأ إليها العربيُّ بفطرته لإيجاد مساحة من إحدى الدّلالتين: السّطحيّة الظّاهرة أو العميقة الخفيّة؛ فالسّطحيّة واضحة لا تحتمل كثيرًا من التأويلات، أمّا العميقة الخفيّة فيذهبُ العقلُ فيها كلَّ مذهب، ذلك أنّها تخضعُ لمؤثّرات منها: أثر السّياق في المعنى، وفهْم المتلقّي، واختلاف هذا الفهم للمعنى يؤدّي بالضّرورة إلى اختلاف الإعراب والدّلالة، وقد أطلق الدّكتور نهاد الموسى على هذه الجزئيّة عبارة: «تعدد المعنى على توحّد المبنى[٤]» . وما نادتْ به مدرسة تشومسكي من أنّ اللّغة: «تستخدمُ وسائل محدودة استخدامًا غير محدود[٥]» ، منبثقٌ بصورة جليّة من مسألة الحذف اللّغوي في اللّسان العربيّ؛ إذ نرى أنّ الحذف قد طرق أبواب اللّغة كلّها، وأسهم في توليد خيارات لُغويّة متعدّدة. ولعلّي في حديثي هذا عن مسألة الحذف أشيرُ إلى واقع الكتابات العربيّة على اختلاف مستوياتها، فالكتابة العربيّة في المؤلّفات والأبحاث والقصص والرّوايات تعجز في كثير منها عن إدراك الغاية المرجوّة من الحذف؛ فالعلّة عند القدماء هي الإيجاز والاختصار، وحريٌّ بنا في العصر الحديث أنْ نضيفَ هدفًا آخر للحذف وهو الإثارة والحماسة والتّشويق، وهذا ما لا نجده في كثير من الكتابات العربيّة، وإذا أخذنا النماذج الأدبيّة المشهورة على مستوى العالم العربيّ ككتابات نجيب محفوظ أو الطّيب صالح، فإنّنا نجدهم قد استخدموا مسألة الحذف بصورة سطحيّة لا تُسهم في إذْكاء عنصر التّشويق والإثارة، لكنّنا نراهم قد أبدعوا في عناصر أدبيّة أخرى أدّت إلى انتشار كتاباتهم على نطاقٍ واسع.

وفي هذه المشاركة العلميّة المتواضعة أدعو الكتّاب والأدباء واللّغويين العرب وغيرهم إلى الرّجوع إلى كتاب «إعراب القرآن»، والنّظر بعين فاحصة في منهج ابن النّحاس في تناوله لمسألة الحذف اللّغويّ وغيرها من المسائل، والأخذ منه وإسقاط منهجه على الكتابات الحديثة، عوضًا عن الإقبال على النّظريات اللّسانيّة الغربيّة واعتبارها نموذجًا يُحتذى لتطوير الدرس اللّسانيّ العربيّ؛ ففي تراثنا ما يكفينا من عوامل التّطوّر والنّموّ.

(٣) الظاهرة اللغوية ومناهج وصفها وتفسيرها، سهير سيف، ص: ١١٨.
(٤) نظرية النحو العربي في مناهج النظر اللغوي الحديث، ص: ٨١.
(٥) نفسه، ص: ٦١.

والكتاب الثّاني الذي تتجلّى فيه براعة ابن النّحاس وسعة علمه هو «شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلّقات»، وقد ظُلم الكتابُ وصاحبه بندْرة مَنْ نظر إليه من المحقّقين الّذين وجّهوا جهودهم وصرفوها لمُصنّفات أخرى عُنيت بشرح المعلّقات على اختلاف عددها، وما يميّز كتاب ابن النّحاس المادة المجموعة فيه؛ فهي تخدم فنون العربيّة كلّها، وتعطي صورة جامعة للمسائل النّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة والعروضيّة في المعلّقات الّتي بلغ عددها في الكتاب تسع معلّقات، بينما نرى الشّروح الأخرى للمعلّقات تقتصرُ على تفسير معاني المفردات وبعض الأخبار المرويّة عن المعلّقات وأصحابها، ولا تلقي بالًا للمسائل النّحوية والصّرفيّة. كما جمع المؤلّف في كتابه آراء كبار اللّغويين والنّحويين من بصريين وكوفيين في مسائل خلافيّة كثيرة؛ فهو كتاب يوثّق الآراء النّحويّة وينسبها لأصحابها.

لقد نظر ابنُ النّحاس للمعلّقات نظرة شموليّة توزّعت على أبواب اللّغة؛ فأسهمت هذه النّظرة الواسعة في تسهيل الطريق أمام الدّارسين بتأليف كتاب ذي قيمة علميّة عظيمة، وجعلت منه مصدرًا لا يُستغنى عنه في الدّراسات النّحويّة والأدبيّة.

وفي نهاية كلماتي هذه أدعو الأساتذة والدّارسين والمهتّمين باللّغة العربيّة إلى إيلاء مزيد من الاهتمام والعناية لأبي جعفر ابن النّحاس ومصنّفاته؛ فيقبلون عليها بالدّراسة والتّحقيق، وينشرون ما توصّلوا إليه من نتائج وتوصيات.

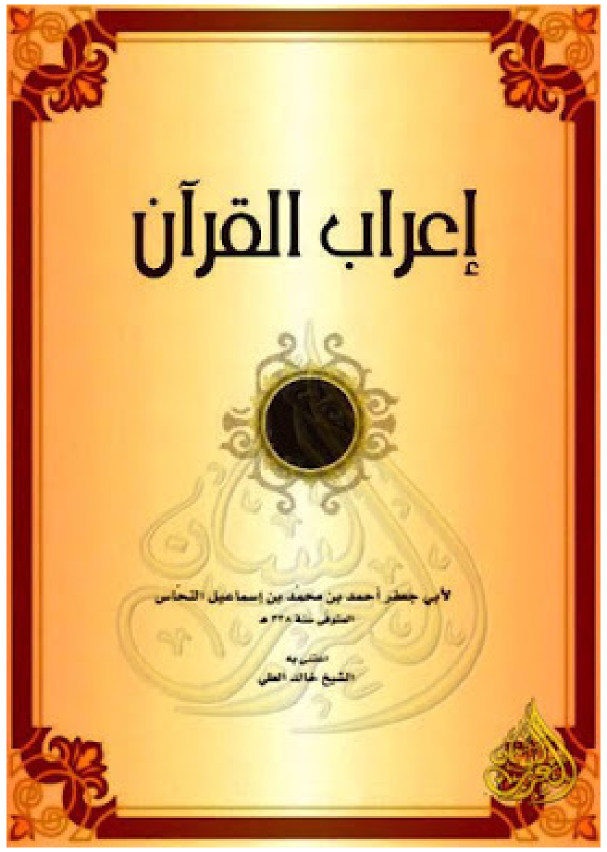

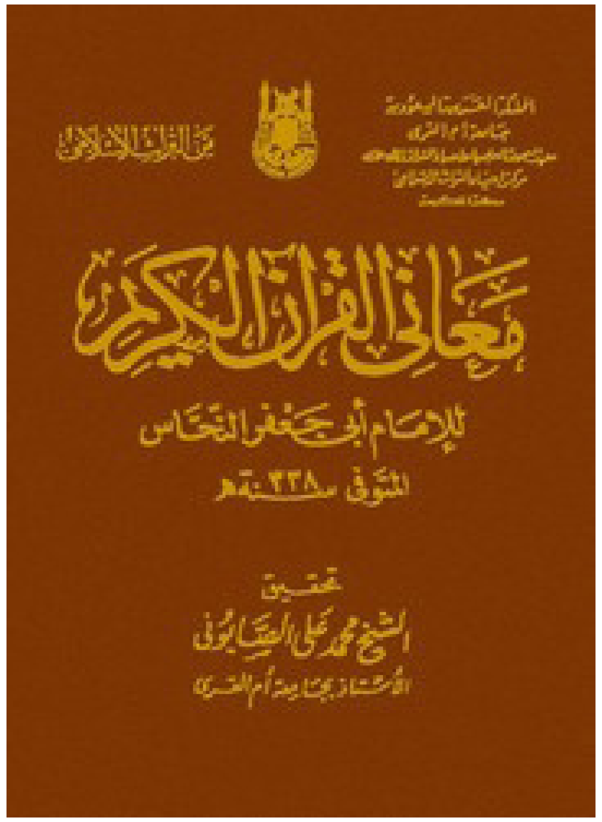

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

التّرشّح لـ :

جائزة الألكسو.الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية

الدّورة الرابعة 2020

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول
هاتف : 400 60 51 6 971+ , فاكس : 410 60 51 6 971+ , ص.ب : الشارقة ، 1973
البريد الإلكتروني : info@alashj.ae , الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

الشارقة
عاصمة عالمية
للكتاب
2019
SHARJAH
WORLD BOOK
CAPITAL

افتح كتاباً.
تفتح أذهاناً.

OPEN BOOKS.
OPEN MINDS.

@sharjahwbc

sharjahwbc.com